ريع هذا الكتاب لصالح
إدارة المساجد بالأحساء

ولا تكتب بخطك غير شيء

يسرك في القيامة أن تراه

وأدهى من الموت

ما وراءه

فماذا يا ترى أعددنا له !!؟؟

جمع و ترتيب الراجي رحمة ربه العلي

أبو عبد الملك أحمد بن عبد الله السلمي

طبع برعاية إدارة المساجد والمشاريع الخيرية بالأحساء



وأدهى من الموت

ما وراءه

فماذا يا ترى أعددنا له ؟!!؟

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع الرياض ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السّلمي، أحمد بن عبدالله

وأدهى من الموت، ما وراءه، فماذا يا ترى أعددنا له!!؟؟/

أحمد بن عبدالله السّلمي. الأحساء ١٤٣٢هـ.

٤٢٢صفحة ١٧×٢٤

ردمك: ٦-٧٤٠٠-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١. الموت ٢. الحياة الأخرى أ- العنوان

ديوي ٢٤٣ ١٤٣٢/٤٢٨٥

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٤٢٨٥هـ

ردمك: ٦-٧٤٠٠-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

طبع برعاية

إدارة المساجد والمشاريع الخيرية بالأحساء

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

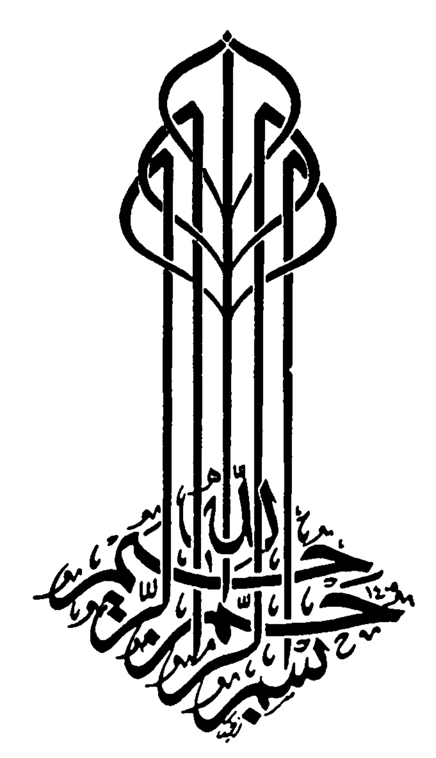


دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٩١٤٧٧٦- ٤٩١٨٩٩٤ فاكس: ٤٤٥٣٢٠٣

E-mail:eshbelia@hotmail.com



والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام
على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم

[تنبيه لطيف وكلام نفيس]

قبل قراءتك لهذا الكتاب رأيت أن أوقفك على- «تنبيه لطيف وكلام نفيس»- في بابه لفضيلة شيخنا ووالدنا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرحه لكتاب رياض الصالحين حتى لا يداخلك وسوسة أو خوف بلا موجب يؤديان لليأس والقنوط من رحمة الله والتشاؤم - أسأل الله لي و لك السلامة والعافية - .

باب الجمع بين الخوف والرجاء:

اعلم أن المختار للعبد في حال صحته أن يكون خائفاً راجياً، و يكون خوفه ورجاؤه سواء، وفي حال المرض يمحض الرجاء. وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك متظاهرة على ذلك،

قال الله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار:١٣-١٤]. وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦-٩]. والآيات في هذا المعنى كثيرة. فيجتمع الخوف والرجاء في آيتين مقترنتين أو آيات أو آية.

١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنته أحد)[1].

---

(١) رواه مسلم.

٢- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا وضعت الجنازة واحتملها الناس أو الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة، قالت: قدموني قدموني، وإن كانت غير صالحة، قالت يا ويلها ! أين تذهبون بها ؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعه صعق)[1].

٣- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك)[2].

الشرح:

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: باب الجمع بين الخوف والرجاء، وتغليب الرجاء في حال المرض.

هذا الباب قد اختلف فيه العلماء هل الإنسان يغلب جانب الرجاء أو جانب الخوف؟.

فمنهم من قال: يغلب جانب الرجاء مطلقاً، ومنهم من قال: يغلب جانب الخوف مطلقاً.

ومنهم من قال ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه سواء، لا يغلب هذا على هذا، ولا هذا على هذا ؛ لأنه إن غلب جانب الرجاء ؛ أمن مكر الله، وإن غلب جانب الخوف ؛ يئس من رحمة الله.

وقال بعضهم: في حال الصحة يجعل رجاءه وخوفه واحداً كما اختاره النووي رحمه الله في هذا الكتاب، وفي حال المرض يغلب الرجاء أو يمحضه.

وقال بعض العلماء أيضاً: إذا كان في طاعة ؛ فليغلب الرجاء، وأن الله يقبل منه، وإذا كان فعل المعصية ؛ فليغلب الخوف ؛ لئلا يقدم على المعصية.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواره البخاري.

والإنسان ينبغي له أن يكون طبيب نفسه، إذا رأى من نفسه أنه أمن من مكر الله، وأنه مقيم على معصية الله، ومتمنٍ على الله الأماني، فليعدل عن هذه الطريق، وليسلك طريق الخوف.

وإذا رأى أن فيه وسوسة، وأنه يخاف بلا موجب ؛ فليعدل عن هذا الطريق وليغلب جانب الرجاء حتى يستوي خوفه ورجاؤه. ثم ذكر المؤلف رحمه الله آيات جمع الله فيها ذكر ما يوجب الخوف، وذكر ما يوجب الرجاء، ذكر فيها أهل الجنة وأهل النار، وذكر فيها صفته عز وجل وأنه شديد العقاب وأنه غفور رحيم.

وتأمل قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾ [المائدة: ٩٨-٩٩]؛ حيث إنه في مقام التهديد والوعيد قدم ذكر شدة العقاب ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

وفي حالة تحدثه عن نفسه وبيان كمال صفاته قال: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]؛ فقدم ذكر المغفرة على ذكر العذاب ؛ لأنه يتحدث عن نفسه عز وجل، وعن صفاته الكاملة ورحمته التي سبقت غضبه.

ثم ذكر المؤلف أحاديث في هذا المعنى تدل على أنه يجب على الإنسان أن يجمع بين الخوف والرجاء، مثل قول النبي ﷺ: **(لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ؛ ما طمع بجنته أحد)**.

والمراد لو يعلم علم حقيقة وعلم كيفية لا أن المراد لو يعلم علم نظر وخبر ؛ فإن المؤمن يعلم ما عند الله من العذاب لأهل الكفر والضلال، لكن حقيقة هذا لا تدرك الآن، لا يدركها إلا من وقع في ذلك ـ أعاذنا الله وإياكم من عذابه.

(ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنته أحد)، والمراد حقيقة ذلك، وإلا فإن الكافر يعلم أن الله غفور رحيم، ويعلم معنى المغفرة، ويعلم معنى الرحمة.

وذكر المؤلف أحاديث في معنى ذلك مثل قوله: (الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك).

شراك النعل يضرب به المثل في القرب ؛ لأن الإنسان لابس نعله، فالجنة أقرب إلى أحدنا من شراك نعله ؛ لأنها ربما تحصل للإنسان بكلمة واحدة، والنار مثل ذلك، ربما تحدث النار بسبب كلمة يقولها القائل، مثل الرجل الذي كان يمر على صاحب معصية فينهاه ويزجره، فلما تعب قال: والله لا يغفر الله لفلان.فقال الله تعالى: (من ذا الذي يتألى عليَّ ألا أغفر لفلان ؛ قد غفرت له وأحبطت عملك)[1]، قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.فالواجب على الإنسان أن يكون طبيب نفسه في كونه يغلب الخوف أو الرجاء، إن رأى نفسه تميل إلى الرجاء وإلى التهاون بالواجبات وإلى انتهاك المحرمات استناداً إلى مغفرة الله ورحمته ؛ فليعدل عن هذا الطريق، وإن رأى أن عنده وسواساً، وأن الله لا يقبل منه ؛ فإنه يعدل عنه. هذا الطريق.أهـ.

***

أقول: المؤمن يجمع بين الخوف والرجاء وعند الموت يحسن الظن بالله ويغلب جانب الرجاء، فعَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلاَثٍ يَقُولُ: (لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عز وجل)[2]، ولا يصح حسن الظن بلا عمل، يقول الحسن البصري: «إن قوما ألهتهم أماني المغفرة ورجاء الرحمة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة، يقول أحدهم: إني لأحسن الظن بالله وأرجو رحمة الله وكذب لو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة». - وتقدم من كلام الشيخ ابن عثيمين - يقول ابن القيِّم: «السَّلف استحبُّوا أن يُقَوِّي في الصِّحَّة جناح الخوْف على جناح الرَّجاء، وعند الخروج من الدُّنيا يقوِّي جناح الرَّجاء على جناح الخوْف».

---

(١) رواه مسلم (٢٦٢١).

(٢) رواه مسلم (٢٨٧٧).

ومن باب حسن الظن صدرت هذا الكتاب بهذه النماذج:

* قال: «عن يحي بن يمان قال: قال سفيان الثوري رحمه الله: ما أحب أن حسابي جعل إلى والدي، ربي خير لي من والدي».

* وقال بعض العبَّاد: «لَمَّا علِمْتُ أنَّ ربِّي - عزَّ وجلَّ - يلي مُحاسبتي، زال عني حزني؛ لأنَّ الكريم إذا حاسب عبدَه تفضَّل».

* وقال ابن المبارك: «جئتُ إلى سفيان الثَّوري عشيَّة عرفه، وهو جاثٍ على ركبتيه، وعيناه تهملان، فقلتُ له: مَن أسوأ هذا الجمْع حالاً؟ قال: الذي يظنُّ أنَّ الله لا يغفِر لهم».

* وعن أبي المنذر الكوفي: «أن معاوية جعل يقول وهو في الموت:

إن تناقش يكن نقاشك يا رب ... عذاباً، لا طوق لي بالعذاب

أو تجاوز فأنت رب رحيم ... عن مسيء ذنوبه كالتراب»

* وقال أبو عمران السلمي:

وإني لآتي الذنب أعرف قدره ... وأعلم أن الله يعفو ويغفرُ

لئن عظم الناس الذنوب فإنها ... وإن عظمت في رحمة الله تصغرُ

* وعَنْ إِدْرِيسَ بْنِ عَبْدِالله الْمَرْوَزِيِّ قَالَ: «مَرِضَ أَعْرَابِيٌّ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ تَمُوتُ قَالَ: وَأَيْنَ أَذْهَبُ؟ قَالُوا: إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَمَا كَرَاهَتِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَى مَنْ لا أَرَى الْخَيْرَ إِلا مِنْهُ».

* قال البيهقي في "الشعب": «قال بعضُ الحكماء في مناجاته: إلهي، لو أتاني خبرٌ أنَّك غيرُ قابل دعائي، ولا سامع شكْواي، ما تركت دعاءَك ما بلَّ ريقٌ لساني، أين يذهب الفقيرُ إلا إلى الغني؟ وأين يذهب الذَّليل إلا إلى العزيز؟ وأنت أغنى الأغنياء، وأعزُّ الأعزاء يا رب».

وتأمل قول النبي ﷺ: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه)، فمتى تحب لقاء الله؟ إذا كنت أرضيته فحينئذ يحب الله لقاءك، فاستعد للقاء الله ولا تخف ولا تقنط ولا تيأس، وقل: إلهي أحلى العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذب الكلام على لساني ثناؤك، وأحب الساعات إلي يكون فيها لقاؤك.

تمهيد

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١].

(يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزي به وأحبب من شئت فإنك مفارقه...)[١].

تموت فردا... وتأتي يوم القيامة فردا

طوبا لعبدٍ تقي ... لم يأل في الخير جهدا

تفكر في صحيفة قد اسودت

وفي نفس كلما نصحت صدت

وفي ذنوب ما تحصى لو أنها عدت

من كان مستوحشا مع الله بمعصيته إياه في هذه الحياة، فوحشته معه في البرزخ ويوم المعاد أعظم وأشد ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢].

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥]. ما أحوج المؤمن أن يعلنها مدوية كلما أريد على دينه أو عرضت له معصية تقطعه عن سيره إلى الله.

عظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك،واستح من الله بقدر قربه منك، وخفه بقدر قدرته عليك.

سئل الإمام أحمد: متى يجد العبد لذة الراحة ؟ قال: عند أول قدم يضعها في الجنة.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

---

(١) رواه الطبراني، صحيح الترغيب ٨٢٤.

(العاقل لا يرى لنفسه ثمنا دون الجنة).

من أعظم الغبن أن يخبرنا الله في كتابه بأن جنته- التي أعدها لعباده المتقين - عرضها السماوات والأرض، ثم لا يجد أحدنا فيها موضع قدم!

نـــدْعُوكَ رَبِّي أَنْ تَكُـــونَ دِيَارُنَـــــا   فِي جَنَّـــــةِ الْفِـــرْدَوْسِ ذَاكَ الْمُفْـــرِحُ

***

دعنـــــي مـــــن ذكـــــر أب وجـــــد   ونــــسب يعليـــــك ســـــور المجـــــد

مـــا الفخـــر إلا في التقـــى والزهـــد   وطاعـــــة تعطـــــي جنـــــان الخلـــــد

ما شيء أوعظ من موت وقبر وما بعدهما، ولا أشأم من معصية ولا أشرف من زهد، ولا آنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة.

من سمع القرآن فلم يخشع...

وذكر الذنب فلم يحزن...

ورأى العبرة فلم يعتبر...

وسمع المواعظ فلم يتعظ...

وجالس العلماء فلم يتعلم...

وصاحب الحكماء فلم يتفهم...

وقرأ عن العظماء فلم تتحرك همته...

وطالع الكتب فلم ينتفع...

فهو حيوان يأكل ويشرب وإن كان إنسانا ينطق ويتكلم...

من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة...

ومن تسلى بالكتب لم تفته سلوة...

ومن آنسته قراءة القرآن لم توحشه مفارقة الإخوان...

يا هذا لا نوم أثقل من الغفلة...

ولا رق أملك من الشهوة...

و لا مصيبة كموت القلب..

و لا نذير أبلغ من الشيب...

من أراد زادا! فالتقوى تكفيه...

من أراد عزا! فالإسلام يكفيه...

من أراد عدلا! فحكم الله يكفيه..

من أراد أنيسا! فذكر الله يكفيــــه...

من أراد جليسا! فالقرآن يكفيـــه...

من أراد واعظا! فالموت يكفيـــه...

من أراد غنى! فالقناعة تكفيــه...

من أراد زينة! فالعلم يكفيــه...

من أراد جمالا! فالأخلاق تكفيــه...

من أراد راحة! فالآخرة تكفــيه...

ومن لم يكفه كل هذا! فالنار تكفيه...

الخير كله مجموع في أربعة: النظر، والحركة، والنطق، والصمت...

فكل نظر لا يكون فيه عبرة فهو غفلة...

وكل حركة لا تكون في عبادة فهي فترة...

وكل نطق لا يكون في ذكر فهو لغو..

وكل صمت لا يكون في فكر فهو سهو...

من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات...

ومن أشفق من النار لها عن الشهوات...

ومن ترقب الموت نهى عن اللذات...

ومن زهد عن الدنيا هانت عليه المصيبات...

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس...

وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية...

وخالط أهل الفقه والحكمة...

وجانب أهل الذل والمسكنة ...

طوبى لمن ذل في نفسه...

وحسنت خليقته...

وأنفق الفضل من قوته ...

ووسعته السنة فلم يعدلها إلى البدعة...

«فإذا كتبت أو قرأت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة في مشيك وحلمك و وقارك وتقواك، فإن لم يزدك فاعلم أنه يضرك».

وعن أبي الدرداء ﷺ أنه كان يقول: (إنما أخشى من ربي يوم القيامة أن يدعوني على رؤوس الخلائق فيقول لي: يا عويمر فأقول: لبيك ربِّ. فيقول: ما عملت فيما علمت؟).

قال ابن الأعرابي في معنى الرَّبّاني: «إذا كان الرجل عالماً وعاملاً مُعلماً، قيل له: هذا ربَّاني، فإن خرم عن خصلة منها لم نقل له: ربَّاني».

قال الحسن رحمه الله: «كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يُرى ذلك في تخشعه وبصره ولسانه ويده، وصلاته وزهده، وإن كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم فيعمل به فيكون خيراً له من الدنيا وما فيها».

إن علما لا يبعد اليوم عن المعاصي ، ولا يحملك على الطاعة لن يبعدك غدا عن نار جهنم، وإذا لم تعمل اليوم ولم تتدارك أيامك الماضية ، فستقول غدا يوم القيامة: ﴿فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾ [السجدة: ١٢]. فسيقال لك: «يا أحمق أنت قد جئت من هناك!».

فعليك باللجوء إلى الله، ومضاعفة الرغبة، والفزع إليه في الدعاء والانكسار بين يديه، وسؤال الله أن ينفعك بعلمك وأن لا يجعلك ممن أعماه الله فلم يزده علمه ولا كثرة كتبه إلا حَيْرَة وضلالاً.

أسطر في الوعظ[١]

قال ابن منظور رحمه الله: «الوعظ والعظة والموعظة هي النصح والتذكير بالعواقب».

وقال ابن سيده رحمه الله: «الوعظ هو تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب».

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «الوعظ هو زجر مقترن بالتخويف».

وورد في القرآن الكريم لفظ موعظة في [١٢] وجها هي:

(١) ﴿يَعِظُهُۥ﴾.	(٢) ﴿أَوَعَظْتَ﴾	(٣) ﴿أَعِظُكَ﴾
(٤) ﴿أَعِظُكُم﴾	(٥) ﴿تَعِظُونَ﴾	(٦) ﴿تُوعَظُونَ﴾
(٧) ﴿يُوعَظُ﴾	(٨) ﴿ٱلْوَٰعِظِينَ﴾	(٩) ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾
(١٠) ﴿مَّوْعِظَةٌ﴾	(١١) ﴿يَعِظُكُم﴾	(١٢) ﴿يُوعَظُونَ﴾

إن المواعظ تحيي القلوب، وتردها إلى بارئها، خاصة مع كثرة المشاغل، وضجيج الحياة المزعج، وتزيُّن الدنيا لأهلها، وجزع النفوس وهلعها،وقد حرص النبي ﷺ على وعظ أصحابه، وتذكيرهم بالله ﷻ، فقد وعظهم حتى سالت دموع قلوبهم قبل عيونهم، فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: (صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظةً بليغةً، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)[٢].

---

(١) ونوصي القراء برسالة قيمة فريدة في نوعها بعنوان: «منهج السلف في الوعظ» لأبي يزيد سليمان العربي بن صفية.

(٢) أخرجه أبوداود والترمذي وأحمد.

فالمـواعظ سياط تضرب القلوب، فتؤثر في القلوب كتأثير السياط في البدن، والضرب لا يؤثر بعد انقضائه كتأثره في حال وجوده، لكن يبقى أثر التأليم بحسب قوته وضعفه، فكلما قوي الضرب كانت مدة بقاء الألم أكثر، وقد كان كثير من السلف إذا خرجوا من مجلس سماع الذكر، خرجوا عليهم السكينة والوقار.

قال أبو الدرداء: (ما تصدق رجل بصدقة أفضل من موعظة يعظ بها جماعة ، فيتفرقون وقد نفعهم الله بها).

وسئل الإمام أحمد: ما أفضل الصدقة ؟ فقال: «إن أفضل الصدقة موعظة تلقيها على أخيك المسلم فينتفع بها».

من أجل ذلك فتحت الباب للجميع من أجل أن نتصدق بأفضل الصدقة، نحن بحاجة إلى سياط القلوب، بحاجة إلى مثل هذه المواعظ،، كحاجة الأرض الجدباء إلى المطر..!!

لماذا يزول تأثير المواعظ سريعاً عن قلوبنا؟؟؟

الانتفاع بالمواعظ و سبب زوال أثرها و العلاج... يقول ابن الجوزي رحمه الله في كتابه: صيد الخاطر: «قد يعرض عند سماع المواعظ للسامع يقظة، فإذا انفصل عن مجلس الذكر عادت القسوة و الغفلة. فتدبرت السبب في ذلك فعرفته، ثم رأيت الناس يتفاوتون في ذلك، فالحالة العامة أن القلب لا يكون على صفة من اليقظة عند سماع الموعظة بعدها لسببين :

أحدهما: أن المواعظ كالسياط، و السياط لا تؤلم بعد انقضائها و إيلامها وقت وقوعها.

و **الثاني**: أن حالة سماع المواعظ يكون الإنسان فيها مزاح العلة، و قد تخلى بجسمه وفكره عن أسباب الدنيا، و أنصت بحضور قلبه، فإذا عاد إلى الشواغل اجتذبته بآفاتها، و كيف يصح أن يكون كما كان؟».

وهذه الحالة تعم الخلق، إلا أن أرباب اليقظة يتفاوتون في بقاء الأثر، فمنهم من يعزم بلا تردد و يمضي من غير التفات، فلو توقف بهم ركب الطبع لضجوا كما قال حنظلة عن نفسه: نافق حنظلة، ومنهم أقوام يميل بهم الطبع إلى الغفلة أحياناً، ويدعوهم ما تقدم من

المواعظ إلى العمل أحيانا فهم كالسنبلة تميلها الرياح، و أقوام لا يؤثر فيهم إلا بمقدار سماعه، كماء دحرجته على صفوان.

لا شك أن المواعظ سياط القلوب وهي تؤثر بالناس، وقد يتأثر الشخص عندما يسمع كلمة أو موعظة، وقد يتوب ويستمر، وقد يتوب ويرجع. أسلوب الترهيب والترغيب والوعظ والتذكير أسلوب قوي ومؤثر، وقد تكون هداية بعض الناس عاطفية ثم يصلح حاله ويصدق في توبته.

وللمواعظ مقاصد وحكم منها: إقامة حجة الله على خلقه.

ومنها: الإعذار إلى الله عز وجل والخروج من عهدة التكليف، قال تعالى في صالحي القوم لأصحاب السبت اليهود: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

ومنها: رجاء النفع للمأمور قال تعالى: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

ومنها: رجاء الثواب ففي الحديث: (**لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**)[1].

ومنها: النصيحة للمؤمنين: ففي الحديث: (**الدين النصيحة**) قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: (**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**)[2].

و منها: إجلال الله عز وجل وإعظامه ومحبته، قال ابن القيم رحمه الله: «الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها»، واعلم رحمك الله أن من عرف الله حق المعرفة فإنه لا يتجرأ أن يعصيه أي معصية.

والعبد في طريقه إلى مولاه يحتاج دائما إلى الوعظ و التذكير بالآخرة، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه مسلم.

فهم خاطئ:

كثير من أبناء الإسلام يرى أنه لا يصلح لخدمة الدين إلا العلماء والدعاة الذين لهم باع طويل في العلم والدعوة، فإذا قارن حاله بحالهم وجد مسافة بعيدة فلا يلبث أن يضعف عزمه، وتفتر همته، فيعيش سلبيا لا يقدم لدينه! لا بل كل فرد مهما كانت حاله يصلح لنصرة دينه إذا سلك الطريق الصحيح، في ذلك قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠].. فاعتبر!!

فهم خاطئ:

يقول بعض الناس: كيف أنصح الناس وأذكرهم وأعظهم وأنا علي ذنوب وخطايا؟

فَيُقال له: كل من نرى من عباد الله الصالحين لهم ذنوب وخطايا.

قال حبيبك محمد ﷺ: **(لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله، فيغفر لهم)**[(١)].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه لأصحابه وقد تبعوه: (لو علمتم بذنوبي لرجمتموني بالحجارة).

إي والله أُخَيَّ لقد أحرقتنا الذنوب، وآلمتنا المعاصي ولكن أيها الحبيب المحب أرعني سمعك يا رعاك الله.

إن هذه الخطايا ما سلمنا منها ولن نسلم، ولكن الخطر: أن تسمح للشيطان أن يستثمر ذنبك و يرابي في خطيئتك.

أتدري كيف ذلك ؟!!.

يُلقي في روعك: أن هذه الذنوب خندق يحاصرك فيه، لا تستطيع الخروج منه.

يُلقي في روعك: أن هذه الذنوب تسلبك أهلية العمل للدين أو الاهتمام به.

ولا يزال يوحي إليك: دع أمر الدين والدعوة والتذكير لأصحاب اللحى الطويلة ! والثياب القصيرة ! دع أمر الدين لهم فما أنت منهم !!.

---

(١) رواه مسلم ٤/ ٢١٠٦.

وهكذا يُضخم هذا الوهم في نفسك حتى يشعرك أنَّك فئة والمتدينون فئة أُخرى.

وهذه يا أخي حيلة إبليسية ينبغي أن يكون عقلك أكبر وأوعى من أن تمرر عليه.

فأنت يا أخي متدين من المتدينين.. أنت تتعبَّد الله بأعظم عبادة تعَبَّد بها بشر لله.

«أنت» تتعبَّد الله بالتوحيد.

أنت الذي حملك إيمانك فطهرت أطرافك بالوضوء، وعظمت إلهك بالركوع، وخضعت له بالسجود.

أنت صاحب الفم المعطر بذكر الله ﷻ ودعائه، والقلب المنور بتعظيم الله وإجلاله، فهنيئاً لك توحيدك وهنيئاً لك إيمانك.

إنك يا أخي صاحب قضية، قضيتك هذا الدين الذي تتعبَّد الله به... هذا الدين الذي هو سبب وجودك في هذه الدنيا وقدومك إلى هذا الكون: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

يا عبد الله لا تحتقر نفسك ولا تُقلل من شأنك فأنت عبد الله تدعو إلى الله تدعو إلى القوي العظيم، جبَّار السماوات والأرض. لست مسكيناً.

قيل لأَبي حازم: «إنَّك لمسكين».

فقال: «كيف أكون مسكيناً ومولاي له ما في السماوات والأَرض وما بينهما وما تحت الثرى؟!».

وأذن لي أن أُذَكرك مرَّة أخرى أن تقصيري وإيَّاك في طاعة ربنا، أو خطئي وإيَّاك في سلوكنا لا يحللنا أبداً من هذه المسؤولية الكبرى ولا يعفينا.

أخي... لا أريد أن أُهَوِّن الذنوب فإنها إذا اجتمعت أَهْلَكت.

لا أريد أن أهون الخطايا فربّ خطيئة كان عقابها طمس البصيرة.

ولكن أقول: ينبغي أن لا تكون الذنوب خندقاً يحاصرنا عن العمل لهذا الدين، فكن أنت من هذا على ذكر.

فيا أخي لا تقل أنا عاص فكيف أذكر وأعظ غيري وأنا كذلك ؟

فيقال لك: ذكِّر عظ انصح وإن كنت عاصياً، فقد قال الله ﷻ عن بني إسرائيل: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ..﴾ [المائدة: ٧٩] مما يدل على أن فاعل المنكر مطالب بالإنكار، وهذا هو مذهب عامة العلماء، بل حكى بعضهم الإجماع عليه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ولو لم يَعِظ في النّاس مَن هو مُذنب فَمن يعظُ العاصين بعد محمدِ

نحن بشر ولسنا معصومين من النقص والقصور والخلل والزلل، وإن لم يكن من الناس ناصحا إلا تقي فمن لنا غير محمد عليه الصلاة والسلام.

ووقوعك في معصية لا يسوغ لك الوقوع في أخرى، أعني معصية السكوت عليها وعدم إنكارها.

ومما يسلينا ويدعُنا أن نعظ الآخرين - مع تفريطنا وتقصيرنا - ما قاله مالك عن ربيعة: قال سعيد بن جبير: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف و لا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف و لا نهى عن منكر. قال مالك: و صدق، و من ذا الذي ليس فيه شيء:

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

وما قاله الشيخ ابن عثيمين في كتابه تيسير الكريم الرحمن- عند قول الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]. وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أُمر به أنه يترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه ، وأمر نفسه ونهيها ، فترك أحدهما لا يكون رخصة في ترك الآخر - باختصار - .

ومع هذا كله فالله توعد من لا يعمل بعلمه بالوعيد الشديد: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف ٢-٣].

وقال النبي ﷺ: (مررت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قال: قلت: من هؤلاء؟ قالوا: خطباء أمتك من أهل الدنيا؛ ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون)(١)، وقال ﷺ: (مثل العالم الذي يعلم الناس الخير و لا يعمل به كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه)(٢).

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].

تنبيه: أن الإنسان إذا كان لا يشعر بالخوف عند الموعظة ، ولا بالإقبال على الله تعالى فإن فيه شبهاً من الكفار الذين لا يتعظون بالمواعظ ، ولا يؤمنون عند الدعوة إلى الله.

تفسير القرآن الكريم- ابن عثيمين .

وقد ذم الله قوم نبي الله هود ﷺ: ﴿قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦] وذلك لعدم انتفاعهم بالوعظ - نسأل الله السلامة -.

و قال عبد الله بن مسعود ﷺ: (إن الناس قد أحسنوا القول، فمن وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه، ومن خالف قوله فعله، فذلك إنما يوبخ نفسه).

و كان يحيى بن معاذ ينشد في مجالسه:

مواعظ الواعظ لن تقبلا	حتى يعيها قلبه أولا
يا قوم من أظلم من واعظ	قد خالف ما قاله في الملا

(١) صحيح الجامع للألباني ١٢٩.

(٢) صحيح الجامع للألباني ٥٨٣١.

أظهـــر بـــين النـــاس إحـــسانه و بـــارز الـــرحمن لمـــا خـــلا

* * *

وغـــير تقـــي يـــأمر النـــاس بـــالتقى طبيـــب يـــداوي النـــاس وهـــو ســـقيم

* * *

يـــا أيهـــا الرجـــل المعلـــم غـــيره هـــلا لنفـــسك كـــان ذا التعلـــيم
فابـــدأ بنفـــسك فانهـهـــا عـــن غيهـــا فـــإن انتهـــت عنـــه فأنـــت حكـــيم
فهنـــاك يقبـــل مـــا تقـــول و يقتـــدى بـــالقول منـــك و ينفـــع التعلـــيم
لا تنـــه عـــن خلـــق و تـــأتي مثلـــه عـــار عليـــك إذا فعلـــت عظـــيم

لما جلس عبد الواحد بن زيد للوعظ، أتته امرأة من الصالحات فأنشدته:

يـــا واعظـــاً قـــام لاحتـــساب يزجـــر قومـــاً عـــن الـــذنوب
تنهـــى وأنـــت المريـــب حقـــاً هـــذا مـــن المنكـــر العجيـــب
لـــو كنـــت أصـــلحت قبـــل هـــذا عيبـــك أو تبـــت مـــن قريـــب
كـــان لمـــا قلـــت يـــا حبيبـــي موقـــع صـــدق مـــن القلـــوب
تنهـــى عـــن الغـــي والـــتمادي و أنـــت في النهـــي كالمريـــب
مـا كـل مـن وصـف الـدوا يـستعمله ولا كـل مـن وصـف التقـى ذو تقـى
وصـفت التقـى حتـى كـأني ذو تقـى وريـــح الخطايـــا مـــن ثيـــابي تعبـــق

فعلى المرء أن يلجأ ويجأر إلى الله، ويضرع ويتضرع ويلوذ بالله مستعينا به سبحانه، باذلا غاية و قصارى جهده، بل كل طاقاته أن لا يكون من هذا الصنف، داعيا بإخلاص لنفسه بذلك له والدعاء لكاتب هذه الأحرف العبد الفقير الضعيف الخطَّاء أن لا يكون من هـذا الصنف فهنا تكمن وتكمل وتتم الخطورة نسأل الله العافية.

أخي القارئ لسان حالي وأنا أسوق هذا الكلام وأكتب هذا الكتاب أتمثَّل قول إبراهيم التيمي رحمه الله: «ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكّذبا»، فرحماك يا رب رحماك.

واحذر الخجل:

فإن كثيرين - لعدم تعوّدهم - يُعانون من الخوف والخجل والهيبة من الناس، وهذا الشعور لا يزول إلا بالممارسة العمليّة، فعلى المسلم أن يكسر هذا الحاجز، وأن يبدأ الطريق وسوف يزول الخجل تدريجياً بصورة تلقائية.

ولا تقل: أنا لست عاصياً، ولكن لي أخاً عاصياً، فكيف أُنكر على الناس وهم يرون أخي واقعاً فيما يقترفونَ من الذنوب ؟.

فيقال لك: هذا ليس بعذرٍ ؛ لأنك لست سلطاناً على قلب أخيكَ، فقد أمرته ونهيته، فلم يمتثل، ومضيت تأمر غيره وتنهاه، فامض في ذلك، ولا تكترث للذين يُعَيِّرونك بأخيك العاصي، فإنهم إنما يريدون أن يُؤْذوك، ويَثْنُوك عن واجبك ؛ لتتركهم في عصيانهم، مع علمهم بأنَّكَ حاولت في هداية أخيك، ولكن - ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

[أهمية الوعظ بكتاب الله]

وقبل أن نلج إلى الكتاب وحيث إن أفضل ما يوعظ به كتاب الله:

يقول المولى عز وجل و تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: ٥٧]. ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

تأمل هذه الآيات: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النمل: ٩٢]، ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، و﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٢٧]، ونحوها من الآيات، التي تشير إلى ضرورة الدعوة بالقرآن، وأنه أبلغ وأنفع ما توعظ به القلوب، وتتأثر به - كما هو مشاهد - وهي تشير - أيضاً - إلى أن البلاغ والوعظ بكلام الله من أعظم ما يطلب من الرسول ﷺ وأتباعه.

قال الحسن البصري: «من أحب أن يعرف ما هو! فليعرض نفسه على القرآن».

قال الحسن بن عبدالعزيز: «من لم يردعه القرآن والموت ثم تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع».

يقول أحد الإخوة: «كم من معصية في الخفاء منعني منها قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] آية واحدة تغني عن كثير من المواعظ، ما قرأ العبد الآيات حاضر القلب متفكرا متأملا، إلا وجدت العين تدمع والقلب يخشع، والنفس تتوهج إيمانا تريد المسير إلى الله».

«فو الله الذي لا إله إلا هو! ما رأيت – وأنا ذو النفس الملأى بالذنوب والعيوب – أعظم إلانة للقلب، واستدراراً للدمع، وإحضاراً للخشية، وأبعث على التوبة، من تلاوة القرآن، وسماعه» [عبدالحميد بن باديس].

أليس من الغبن العظيم أن يقرأ الإنسان القرآن سرا وجهارا، ليلا ونهارا، أزمنة مديدة، وأياما عديدة، ثم لا تفيض عيناه من الدمع ؟ والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ مِن

قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

«إذا عظم في صدرك تعظيم المتكلم بالقرآن، لم يكن عندك شيء أرفع، ولا أشرف، ولا أنفع، ولا ألذ، ولا أحلى من استماع كلام الله جل وعز، وفهم معاني قوله تعظيماً وحباً له، وإجلالاً، إذ كان تعالى قائله، فحب القول على قدر حب قائله» [الحارث المحاسبي].

لو سألت أي مسلم:

أتؤمن بأن القرآن هدى، ونور، ورحمة، وموعظة وشفاء، وحياة للقلب ؟ لأجابك - و بلا تردد -: نعم ! ولكنك تأسف إذا علمت أن الكثير من المسلمين لا يعرف القرآن إلا في "رمضان"! فهو كمن يعلن استغناءه عن هدى الله، ونوره، ورحمته، وشفائه، وحياة قلبه أحد عشر شهرا ! [د. عمر المقبل].

«ومن أوتي علم القرآن فلم ينتفع، وزجرته نواهيه فلم يرتدع، وارتكب من الإثم قبيحا، ومن الجرائم فضوحا ؛ كان القرآن حجة عليه، وخصما لديه، قال ﷺ: (القرآن حجة لك أو عليك)[1]».[القرطبي].

«فما أشدها من حسرة وما أعظمها من غبنة على من أفنى أوقاته في طلب العلم، ثم يخرج من الدنيا وما فهم حقائق القرآن، ولا باشر قلبه أسراره ومعانيه! فالله المستعان» [ابن القيم].

«ومن أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من النوافل: كثرة تلاوة القرآن، وسماعه بتفكر وتدبر وتفهم، قال خباب بن الأرت لرجل: تقرب إلى الله ما استطعت، واعلم أنك لن تتقرب إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه».[ابن رجب].

فتدبر القرآن إن رمت الهدى ... فالعلم تحت تدبر القرآن

[ابن القيم في النونية]

---

(١) رواه مسلم.

«ونصيحتي لجميع المسلمين - رجالا ونساء، جنا وإنسا، عربا وعجما، علماء ومتعلمين - أن يعتنوا بالقرآن الكريم، وأن يكثروا من تلاوته بالتدبر والتعقل، بالليل والنهار، ولاسيما في الأوقات المناسبة التي فيها القلوب حاضرة للتدبر والتعقل، والذي لا يحفظه يقرأه من المصحف، والذي لا يحفظ إلا البعض، يقرأ ما يتيسر منه ؛ قال تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [المزمل: ٢٠]».[ابن باز].

سئل ابن باز: ما كتب العقيدة التي تنصحون بها؟

فأجاب: «أعظم كتب العقيدة وأنفعها: كتاب الله القرآن، فيه الهدى والنور، فنوصي الجميع رجالا ونساء كبارا وصغارا، أن يعتنوا به فهو كتاب العقيدة والهدى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]».

ثم أشار إلى بعض كتب أهل السنة، فانظر إلى هذه اللفتة التي تخرج من قلب متدبر.

«مع أهمية حفظ القرآن الكريم، إلا أننا نجد أمراً غريباً في عالمنا الإسلامي، حيث إن فيه مئات الألوف من المدارس التي تعتني بحفظ القرآن، على حين أننا لا نكاد نجد مدرسة واحدة متخصصة بتدبره وفهمه والتفكر فيه» [أ.د. عبدالكريم بكار].

فإليك بعض المواعظ و العبر والفوائد و الدرر والرقائق نقلت جملة منها من «كتاب ليدبروا آياته» فبدأت به لاهتمامه بكتاب الله عز وجل - وهو كتاب قيم فريد في موضوعه يقع في جزأين يجدر الرجوع إليه، وما ذكرته إنما هو فيض من غيض وقليل من كثير - نماذج فقط - .

هل سمعت بطفل يتدبر القرآن؟

قال أحدهم: «كنت مع ابنتي سبعة سنوات فسمعت قارئا عبر الإذاعة يتلو: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ..﴾ [آل عمران:١٨١]، فسألت ببراءة: إذا كان الله فقيرا وهم أغنياء، فمن الذي أغناهم؟!».

سأل معلم القرآن تلاميذه في الصف الأول الابتدائي (تحفيظ القرآن): متى يستفيد المسلم من القرآن ؟ فأجاب أحد الطلاب: إذا فهم معانيه يا أستاذ.

هنيئا لهذه الأسرة التي ربت ابنها هذه التربية، التي جعلته يجيب على هذا السؤال الذي لم يكن ذلك الطفل ينتظره.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. من هذا قطعا تعلم أن شأن المعاملة مع الله ومع خلقه عظيم، عظما لا يعرف قدره إلا الرجل العاقل، فإن عليها يترتب غضب الله وعقابه أو رضاه والنعيم المقيم وهذا شيء قدره لا يتوقف ولا يتردد في بذل العناية به رجل بصير.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

سبحان الله! العاصي يتعذب بمعاصيه التي يحسده أناس عليها، شوقا لها، وحسدا لغيره عليها، وسعيا في تحصيلها، وخوفا من نظر الناس، ثم إذا نالها تعذب خشية الفوت، ثم حسرة على الفقد، ثم العذاب الأكبر يوم القيامة إن لم يرحمه الله، يا للعذاب! لكن الشيطان سول لهم وأملى لهم!

انظر إضافة النبي ﷺ باسم العبودية إلى الله في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن ١٩]، ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣].

لأنه كل ما نسب إلى المحبوب فهو محبوب:

لما انتسبت إليك صرت معظما وعلوت قدراً دون من لم ينسب!!

[ابن القيم]

﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣].

قال الشنقيطي: «أي أن في دار الدنيا إذا أحسوا شدة حرارتها تذكروا بها نار الآخرة، التي هي أشد منها حرا، لينزجروا عن الأعمال المقتضية لدخول النار».

شاب يقول: «كنت أعاني من طلب ثناء الناس كثيرا في عبادتي، حتى قرأت قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الروم:٤٠]. فكررت: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾؟لا و الله! فيا له من حرمان أن يترك المرء طلب ثناء مولاه- الذي خلقه ثم رزقه ثم يميته ثم يحييه- إلى طلب ثناء مخلوق مثله!

كما أن السماوات والأرض لو كان فيهما آلهة غيره سبحانه لفسدتا، كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]، فكذلك القلب إذا كان فيه معبود غير الله تعالى فسد فسادا لا يرجى صلاحه؛ إلا بأن يخرج ذلك المعبود منه، ويكون الله تعالى وحده إلهه و معبوده الذي يحبه ويرجوه ويخافه، ويتوكل عليه وينيب إليه» [ابن القيم].

تدبر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحج:١٨] كل الجمادات والنباتات والحيوانات تسجد لله.. بكثرتها.. بعظمتها..إلا بعضا من مخلوق ضعيف شذ عن منظومة التسبيح في الكون..!

من عيوب النفس أن تسترسل مع الخواطر السيئة التي تمر بذهنها، فترسخ فيها. ودواء ذلك أن يرد تلك الخواطر في الابتداء، ويدفعها بالذكر الدائم، ويتذكر أن الله مطلع على سريرته، وأن يعيش مع قول الله: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [القصص: ٦٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور:١٩].

يدخل في ذلك دعوات ساقطة لإخراج المرأة من خدرها، وقد ينطلي على بعض ممن في قلبه إيمان، فيرى مع كثرة الدعوات الآثمة أن لا بأس بمزاولة المرأة أعمالا يراها الرائي لأول وهلة لا ضير فيها، وهي عند العارفين ذرائع للفاحشة وإشاعة لها» [عبد العزيز آل الشيخ].

«من أعظم أسباب العشق إعراض القلب عن الله والإنسان لا يترك محبوبا إلا بمحبوب آخر يكون أحب إليه منه، أو خوفا من مكروه؛ والقلب إذا ذاق طعم عبادة الله، والإخلاص له لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك، ولا ألذ، ولا أمتع، ولا أطيب، فتدبر ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤]، التسابق للحصول على أعلى الدرجات في الامتحانات و استغلال الأوقات ، وحفز الهمم لبلوغ أعلى المناصب و المراتب لابد أن يدفعنا لتنافس أكبر لنيل درجات أعظم ثمراتها ليست شهادة على ورق بل جنة عرضها السماوات و الأرض ، بل لا ينبغي أن تقف آمالنا إلا عند الفردوس الأعلى، تأمل ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل: عمران:١٦٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان:٣١]، «تأمل ما في هذه الآية من سنة المدافعة..، نعم: ادع الناس، لكن لا تتصور أن الدنيا ستستقيم بدعوتك! فو الله لو قام صالح في رأس جبل.. لقيض الله له من يعاديه في رأس جبل» [عايض القرني]..

الحب في قاموس أهل القرآن لا يضاهيه أي حب! إنه حب يتصل بالملكوت الأعلى. ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤] «وإمامهم فيه محمد ﷺ ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، «فلا ينقضي عجبك حين يغفل بعض

المسلمين عن هذا الحب -الذي لا ينقطع لحظة واحدة - وينشطون لحب يتذاكرونه مرة كل سنة! وإمامهم فيه قسيس نصراني يدعى «فلنتاين»! ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة:٦١]؟»

يقول شاب: «كنت واقفاً عند إشارة مرورية بجوار برج من أشهر الأبراج الشاهقة في منطقة الخليج فحدثتني نفسي: لو أن هذا البرج بما فيه لك ماذا أنت صانع ؟؟! فما هي إلا ثواني معدودة وقبل أن ينبعث الضوء الأخضر عرضت لي آية في كتاب الله ، هي والله أحب إلى قلبي من ملء الأرض ذهباً و أبراجاً ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا﴾ [الفرقان: ١٠].

قسمات وجه الطلاب بعد تسليم ورقة الاختبار تشعرك بما تكنه صدورهم، وهو شيء مؤقت فما ظنك بالوجوه حين تؤخذ الكتب - يوم القيامة - باليمين والشمال..؟

﴿مُّسْفِرَةٌ ۝ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ أو ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨-٤١].

وما بعد ذلك: نعيم لا ينفد أو عذاب مؤبد فهل من معتبر ؟

في آخر يوم من الإختبارات كنت أفكر ماذا أفعل في الإجازة -من نوم و راحة زائدة - فلم يقطع هذه الأفكار إلا صوت الإمام وهو يقرأ في صلاة المغرب: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ٧-٨]، فعلمت أن المؤمن لا عطلة له عن طاعة الله بل ينتقل من طاعة إلى طاعة.

أجمع عقلاء كل ملة أنه من لم يجر مع القدر لم يتهنأ بعيشه ومصداق ذالك في القرآن: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، «إبراهيم الحربي من تلاميذ الأمام أحمد».

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥] إن أمه تنفق مئات الملايين في الشهر على اللهو والدخان وتنفق مثلها على المحرمات، وتنفق مثلها على البدع الضارة،وتنفق أمثال ذالك كله

على الكماليات التي تنقص الحياة ولا تزيد فيها، ثم تدعي الفقر إذا دعاها الداعي لما يحييها: لأمة كاذبة على الله، سفيهة في تصرفاتها». [محمد البشير الإبراهيمي].

قال سفيان الثوري: من أبكاه علمه فهو العالم: فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧] وقال تعال: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٩١]. تأمل كيف جاء الثناء عليهم بصيغة الفعل المضارع (يتفكرون) التي تدل على الاستمرار، فالتفكر ديدنهم، وليس أمرا عارضا.

قال أبو الدرداء: «فكرة ساعة خير من قيام ليلة»!.

وكلام السلف في تعظيم عبادة التفكر كثير، فكم هو نصيبنا منها؟

ما أروع القرآن حين يكون مؤثرا في حياتنا كلها، ومفزعا لحل مشاكلنا! شكا مسؤول للشيخ ابن باز رحمه الله عقبات يجدها في عمله، فأخذ الشيخ بيده وعقد أصابعه واحدا واحدا عند كل أمر من هذه الأوامر التي ختمت بها السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران ٢٠٠].

«تتابع العقوبات والآيات على الكافرين في ديارهم أو حولها جزاء بما كسبوا وإنذارا وتخويفا لغيرهم من الناس: فأوبئة، وأعاصير، وزلازل، وخسائر مالية، وصدق ربنا: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:٣١]، ولكن: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١]» [د.محمد الخضيري].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [النور:٢١].

قال شوقي:

نظـــرة فابتـــسامة فـــسلام   فكـــلام فموعـــد فلقـــاء

ويكثر هذا في أماكن العمل المختلطة حسا أو معنى: كالمستشفيات، وبعض المنتديات ومواقع الشبكات.

ومن أعظم ما يقطع هـذه الخطى الشيطانية تذكر: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦].

«رأيت الناس يذم بعضهم بعضا، ويغتاب بعضهم بعضا، فوجدت أصل ذلك من الحسد في المال والجاه والعلم، فتأملت في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف:٣٢] فعلمت أن القسمة كانت من الله في الأزل، فما حسدت أحدا، ورضيت بقسمة الله تعالى». [حاتم الأصم].

منذ أسبوع وخبر تحطم الطائرة الفرنسية فوق الأطلسي يتردد في نشرات الأخبار. تصور جسما بحجم الطائرة يختفي فجأة، ويبقى البحث عنه أياما!

فأين الأقمار الصناعية؟

وأين الرادارات؟

إنهم البشر مهما بلغوا من الإتقان والحذق!

يريهم الله ضعفهم وقصورهم. ويريهم -أيضا- آية من آيات عظمته في مثل قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس:٦١].

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان:١٢]، «دخل في ذلك الصبر على كل مصيبة ورزية، بفقد مال، وموت حميم وقريب، ومضض الفقر، والأوجاع والأمراض، وأشباه ذلك إذا جرع غصصه، وصبر على آلامه، وسلم فيها لحكم ربه». [القصاب].

عن أبي عروة قال: «كنا عند مالك بن أنس، فذكروا رجلا ينتقص الصحابة، فقرأ مالك هذه الآية: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ﴾ حتى بلغ: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ

بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩]. فقال مالك: من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب النبي ﷺ فقد أصابته الآية». [حلية الأولياء].

الآمر بالمعروف لن يعدم من يكابره على الحق ويجادله، فليعرض عنه، كما فعل سالم بن عبد الله بن عمر -وهو من كبار الفقهاء- حينما مر على قافلة فيها جرس، فقال: إن هذا ينهى عنه !فقالوا: نحن أعلم منك! إنما يكره الجلجل الكبير، وأما هذا فلا بأس به!

فبكى سالم وقال: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف ١٩٩].[الدر المنثور].

عن عبد الرحمن بن عمر قال: «ذكر عند عبد الرحمن بن مهدي قوم من أهل البدع، واجتهادهم في العبادة. فقال: لا يقبل الله إلا ما كان على الأمر والسنة؛ ثم قرأ: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾ [الحديد:٢٧] فلم يقبل ذلك منهم، ووبخهم عليه؛ ثم قال: إلزم الطريق والسنة». [حلية الأولياء].

﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧]، «هذا بيان صريح من الذي يعلم السر وأخفى- سبحانه- أن هذا الصنف من الناس -سواء كانوا صحفيين أو كتابا أو روائيين أو أصحاب قنوات هابطة- يريدون يميلوا بالأمة ميلا، وأكد هذا الميل بأنه عظيم، إذ لا تكفيهم مشاريع الإغواء الصغيرة». [د.عبد المحسن المطيري].

تدبر سورة الفيل ﴿وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: ٣] كم في هذه السورة من دلالة على قدرة الله وعظمته!

طيور صغيرة ألقت حجارة بحجم الحمصة، على رجال، وأفيال عظيمة، فصارت إلى ما قاله الله: ﴿فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ﴾ أي: كزرع أكلته الدواب، ووطئته بأقدامها حتى تفتت!

﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] «إنها الرحمة التي تسع كل معصية مهما كانت، إنها دعوة العصاة المبعدين في تيه

الضلال إلى الأمل والثقة بعفو الله، فإذا ما تسلطت عليه لحظة يأس وقنوط، سمع هذا النداء الندي اللطيف، الذي يعلن أنه ليس بين المسرف على نفسه إلا الدخول في هذا الباب الذي ليس عليه بواب يمنع، ولا يحتاج من يلج فيه إلى استئذان». [في ظلال القرآن].

تقول امرأة: «كنت أمر بوضع صحي ونفسي واجتماعي سيء، فسمعت أحد العلماء يفسر قوله تعالى: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١-٢]، فلما فرغ من برنامجه فتحت المصحف، وبدأت أقرأ باحثة عن السعادة، فأقسم بالله أنني ما أغلقت المصحف إلا وقد أحسست بها، فعرفت أننا فرطنا في هذا الكنز العظيم -الذي بين أيدينا- كثيرا».

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] «فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها فيعظموا الله حق عظمته، ولو أراد رجل أن يتزوج إلى رجل أو يزوجه أو يعامله، طلب أن يعرف اسمه واسم أبيه وجده، وسأل عن صغير أمره وكبيره، فالله الذي خلقنا ورزقنا -ونحن نرجوا رحمته ونخاف سخطه- أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها». [قوام السنة الأصفهاني].

«كثير من الناس يقرأ الأوراد ولا يجد لها أثرا؟ ولو تدبر قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨] لأدرك السر في ذلك.. حيث يذكر الله بلسانه مع غفلة قلبه، فهل ينتظر أثرا لذاكر هذه حاله؟!» [أ.د.ناصر العمر].

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ ؟ [البلد: ٧]. «أي موعظة هذه التي تقول للمرائي: قف! وللزاني: عف! وللسارق :كف! ولكل عاص: خف ثم خف!

أما تستشعر نظر من لا يخفى عليه شيء جل أو لطف؟» [د.عمر المقبل].

صرح أحد المهتدين إلى السنة بأن سبب هدايته هو تدبره لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا

يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[فاطر: ١٣- ١٥].

لكن كيف تأثر بها؟

يقول هذا الأخ المهتدي:

فلما تأملت قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ قلت: يا ناس الإمام علي فقير! والأئمة فقراء! و نحن فقراء إلى الله، فلماذا ندعوهم من دون الله؟ومن هنا ابتدأت قصة الهداية للسنة، فلما ذاق طعمها، دعا إليها، فاهتدى على يده قرى شيعية بأكملها، فما أعظم بركات التدبر؟

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨]، «فمجالسة الفساق تبعث على مسارقة طباعهم ورديء أخلاقهم، وهو داء دفين قل ما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين، إذ قل أن يجالس الإنسان فاسقا مدة -مع كونه منكرا عليه في باطنه- إلا ولو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته لوجد فرقا في النفور عن الفساد؛ لأن الفساد يصير بكثرة المباشرة هينا على الطبع، ويسقط وقعه واستعظامه».[أبو حامد الغزالي].

﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥] قال جمع من السلف: «بنعم الله!!».

هذا من أجمل ما يتذكره الإنسان حينما تتجدد له نعمة من النعم، أو يتقدم به الزمن، أو يعيش مرحلة جديدة من عمره، بدلا من الانهماك في تهنئة عابرة، أو جرد أحداث العالم، في غفلة عن النعم التي عاشها الإنسان نفسه، والنقم التي دفعت عنه، فكم ذنب ستره الله! وكم بلية دفعها الله!

﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ فلا يقل أحد غير ما قال الله! لا يقل أحد إن الاختلاط، وإزالة الحجاب، والترخص في الحديث والمشاركة بين الجنسين أعون على

تصريف الغريزة المكبوتة،.. إلى آخر مقولات الضعاف المهازيل الجهال المحجوبين، لا يقل أحد هذا والله يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] يقول هذا عن نساء النبي الطاهرات، وعن رجال الصدر الأول ممن لا تتطاول إليهن وإليهم الأعناق! [في ظلال القرآن].

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨] إذا جلست على مائدة طعامك، فحاول أن تحسب أنت وأهلك عدد أنواع المطاعم والمشارب التي عليها، كل هذه النعم اجتمعت لك في لحظة واحدة !وفوقها نعمة العافية والأمن، وفوقها جميعا نعمة الإيمان، فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

قال تعالى - في شأن بلقيس -: ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ [النمل: ٤٤] ففيه دلالة على أن ثوبها كان طويلا ساترا لساقيها، وهي من ؟! امرأة كافرة !

في حين أن بعض المسلمات ـ وللأسف الشديد ـ يتنافسن في خلع جلباب الحشمة والحياء فيما يرتدينه من ملابس بلا حياء ولا خوف من الله !أليس من المدمي أن تكون امرأة كافرة أكثر حشمة وتسترا من بعض نساء المسلمين ؟!.

أحد الشباب كان يعاني من تعلقه ببعض الفواحش، وكان يجد شدة في تركها، حتى أذن الله بذهاب حبها من قلبه بسبب تدبره لقوله تعالى – عن يوسف عليه السلام -: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] فرجع لنفسه وقال: لو كنت مخلصاً لأنجاني ربي كما أنجى يوسف عليه السلام، ولم يمض وقت طويل حتى صار هذا الشاب أحد الدعاة إلى الله.

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤]، «آية تهز الوجدان، وتفعل في النفس ما لا تفعله سلطات الدنيا كلها، إنها تضبط النوازع، وتكبح الجماح، وتدعو إلى إحسان العمل، وكمال

المراقبة، فما أجمل أن يستحضر كل أحد هذه الآية إذا امتدت عينه إلى خيانة، أو يده إلى حرام، أو سارت قدمه إلى سوء، وما أروع أن تكون هذه الآية نصب أعيننا إذا أردنا القيام بها أنيط بنا من عمل.

يقول بعض الشباب: كنت أتهاون بل لا أبالي بإطلاق بصري وخاصة في وجه الخادمة التي عندنا وأزعم أن هذا صعب و لا يمكن فلما قرأت الكلام المتقدم سهل علي غض البصر فتركت إطلاق البصر».

هل يسرك أن يعلم الناس ما في صدرك - مما تحرص على كتمانه و لا تحب نسبته إليك -؟ قطعاً لا تحب، بل ستتبرأ منه لو ظهر ؟ إذن قف مع هذه الآية متدبراً، وتأمل ذلك المشهد العظيم: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩]، ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات: ١٠]، أتريد النجاة من هذا كله؟ كن كإبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٤] وهنا، لن تر ما يسوؤك».

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢] «كثيرون يحملون معنى هذه الآية على الشهادة بالزور فقط، وهذا فهم قاصر ؛ فالمعنى أعم من ذلك وأعظم، فكل منكر زور، فمن علم به ولم ينكره بلا عذر فقد افتقد صفة عظيمة من صفات "عباد الرحمن"، وكفى بذلك خسرانا مبينا». [أ. د. ناصر العمر].

«إذا شعرت بالملل من جراء كثرة أمرك أهل بيتك بالصلاة، وإيقاظهم لها - خصوصا صلاة الفجر -فتذكر قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ ففي ذلك أعظم دافع للصبر والاحتساب، وطرد الملل ،وتذكر عاجل الأجر ومآل الصبر بعد ذلك في الآية: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]». [د. محمد الحمد].

﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١] الكثير من الناس ينفر في الحر، لكن فرق كبير بين نافر في حر الصيف ليبحث عن نزوة، ويقضي

شهوة محرمة هنا أو هناك، لو دعي إلى خدمة دينه أو نفع أمته لاعتذر بشدة الحر !وبين نافر في الحر ليبلغ الخير وينفع الأمة !وسيعلم الفريقان عاقبة نفيرهم يوم قيام الأشهاد.

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] قال الحسن البصري: «استكثروا من الأصدقاء المؤمنين ؛ فإن الرجل منهم يشفع في قريبه وصديقه، فإذا رأى الكفار ذلك قالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء/ ١٠٠ –١٠١]».

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥] وصفها بالحياء في مشيها خصوصا فيه توجيه للمرأة المسلمة؛ فالمشي عند المرأة يدل على شخصيتها ، بل يدل على عفافها من عدمه.فانتبهي أختي الكريمة للمشي فهو ليس أمرا هامشيا في حياة المرأة بل هو أمر مهم ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه.

هل فهمت رسالة الخسوف البارحة ؟يقول ربك جل جلاله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩] فهل أدركنا هذه الرسالة المرئية التي يخوف الله بها عباده– الذين هم أنا وأنت –؟بالله تأمل! ما حال الناس لو خوفهم ملك من ملوك الدنيا– ولله المثل الأعلى–؟ ليتنا نعقل هذه الرسالة من ربنا، لعلها تحدث في قلوبنا خوفا ووجلا، وتوبة صادقة.

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]، كم يحزن المسلم وهو يرى شبابا بلغو سن الكهولة لم يتزوجوا بعد، بحجة تأمين المستقبل، وهم يتلون هذه الآية صباح مساء، ويشتد الألم عندما يرى آباء يردون الخُطّاب عن بناتهم وهن وأولئك بأمس الحاجة لتحصين أنفسهم، ويتعللون بأن دخلهم قليل ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾؟ [محمد: ٢٤].

«لو رمى العبد بكل معصية حجرا في داره، لامتلأت داره في مدة يسيرة قريبة من عمره، ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي، والملكان يحفظان عليه ذلك: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]». [أبو حامد الغزالي].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢] «ونرى في المتسمين بالإسلام من يستن بأولئك !فيقول لصاحبه - إذا أراد أن يشجعه على ارتكاب بعض العظائم -:افعل هذا وإثمه في عنقي !وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم!».

أعظم آية يوعظ بها آكلو الربا، وأصحاب الأموال - الذين أشغلتهم أموالهم عن طاعة الله -ما ختم الله به آيات الربا، وهي آخر ما أنزله من وحيه، وهي قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

للنجاح لذة وله نشوة، تأمل نداء الناجحين ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩] إنه نداء بصوت عال تغمره البهجة: تعالوا جميعا هذا كتابي خذوه فاقرءوه، وبمثلها يصدح المجتهد حين يستلم شهادة التفوق على الأقران، فإن أردت إكسير النجاح الذي لا ينضب في الحياة فلنقف طويلا مع التعليل في قوله: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣] فتأمل في قوله تعالى: ﴿مِن رَّحْمَتِنَآ﴾ الأخوة رحمة من رحمات الله، ومن رحمة الله قول النبي ﷺ: (وددت لو أني رأيت إخواني).فهل ترانا نستحق أخوته عليه الصلاة والسلام، ثم نشتاق لرؤيته كما اشتاق لرؤيتنا بأبي هو وأمي ؟.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧] تأمل في الجملة الأخيرة ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ولم بقل: صالحون ؛ لأن الصلاح الشخصي المنزوي بعيدا، لا يأسى لضعف الإيمان، ولا يبالي بهزيمة الخير، فكن صالحا مصلحا، وراشدا مرشدا.

قرأ عامي ينتسب إلى مذهب ضال- معروف بشتم الصحابة وأمهات المؤمنين-قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، فتوقف قليلا عند قوله: ﴿وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ فقال بفطرته: كيف نشتم أمهاتنا إن كنا مؤمنين؟ فكان ذلك سببا في هدايته لمذهب أهل السنة ولله الحمد.

﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ [القصص: ٨٢] وهم بالأمس يتضرعون: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩] قف متأملا متدبرا: كم دعوة حزنت على عدم استجابة الله لك إياها؟بل قد يسيء البعض بربه الظن، فيخالطه شك أو ريبة أو قنوط !وما علم المسكين أن خيرة الله خير من خيرته لنفسه، كما صرف الشر عن أصحاب قارون، ولكن ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠].

«لماذا توصف المؤمنات المحصنات بـ ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ إنه وصف لطيف محمود، يُجسد المجتمع البريء والبيت الطاهر الذي تشب فتياته زهرات ناصعات لا يعرفن الإثم، إنهن غافلات عن ملوثات الطباع السافلة.وإذا كان الأمر كذلك فتأملوا كيف تتعاون الأقلام الساقطة، والأفلام الهابطة لتمزق حجاب الغفلة هذا، ثم تتسابق وتتنافس في شرح المعاصي، وفضح الأسرار وهتك الأستار، وفتح عيون الصغار قبل الكبار ؟! ألا ساء ما يزرون !». [د. صالح بن حميد].

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء أهيب منه وأهول، ولا أنكى لقلوب المتأملين ولا أصدع لأكباد المتدبرين، وذلك

قوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ﴾ وما فيه من الوعيد البليغ، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ وإطلاقه، وقوله: ﴿أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ وإبهامه، وكان السلف الصالح يتواعظون بها.

قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] رغم كثرة المصائب وشدة النكبات والمتغيرات التي تعاقبت على نبي الله يعقوب عليه السلام، إلا أن الذي لم يتغير أبدا هو حسن ظنه بربه تعالى.

﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٤٢-٤٣] إن سلوك طريق المؤمنين ومجالستهم، والانحياز إليهم هو سبيل النجاة الحقة ؛لأنهم في كنف الله وعنايته، حتى وإن تقاذفتهم الفتن، وكانت أسبابهم يسيرة، كسفينة من خشب في أمواج كالجبال، كما أن سلوك طريق الكافرين والمنافقين والانحياز إليهم هو سبيل الهلاك، حتى وإن توفرت لهم الأسباب المادية المنيعة كالجبال في علوها وصلابتها.

﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨] إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء - حتى أخبر الله تعالى بذلك في كتابه - فما ظنك بالمؤمنين الموحدين، المخالطين المحبين للأولياء والصالحين ؟ بل في هذا تسلية وأنس للمقصرين، المحبين للنبي صلى الله عليه وعلى آله أجمعين.

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ليعتبر بهذه الآية من يتولى أمرا يستدعي أن يكون بجانبه أصحاب يظاهرونه عليه ،حتى يعلم يقينا أن قوة الذكاء وغزارة العلم، وسعة الحياة وعظم الثراء: لا تكسبه أنصارا مخلصين ، ولا تجمع عليه من فضلاء الناس من يثق بصحبتهم ،إلا أن يكون صاحب خلق كريم، من اللين والصفح والاحتمال.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] هل سمعتم بمعاتبة أحسن من هذه ؟بدأ بالعفو قبل المعاتبة. [مورق العجلي].

كان سهل بن عبد الله التستري يقول: «إنما خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة، وعند كل حركة، وهم الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]».

تأمل هذه الآية: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١] قف قليلا، وتفكر: كم في هذه اللحظة من أنثى آدمية وغير آدمية ؟وكم من أنثى تزحف، وأخرى تمشي، وثالثة تطير، ورابعة تسبح، هي في هذه اللحظة تحمل أو تضع حملها ؟! إنها بالمليارات !وكل ذلك لا يخفى على الله تعالى !فما أعظمه من درس في تربية القلب بهذه الصفة العظيمة: صفة العلم.

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٧٩] «هكذا المنافق: شر على المسلمين، فإن رأى أهل الخير لمزهم، وإن رأى المقصرين لمزهم، وهو أخبث عباد الله، فهو في الدرك الأسفل من النار.والمنافقون في زمننا هذا إذا رأوا أهل الخير وأهل الدعوة، وأهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قالوا: هؤلاء متزمتون، وهؤلاء متشددون، وهؤلاء أصوليون، وهؤلاء رجعيون، وما أشبه ذلكم من الكلام». [ابن عثيمين].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠] هذه الآية تجعل الداعية يترقب الخروج من الضيق إلى السعة، مبشرة بعيشة راضية، ومستقبل واعد، رغم المحن القاسية، والظروف المحيطة ؛فالحوادث المؤلمة مكسبة لحظوظ جليلة من نصر مرتقب، وثواب مدخر، وتطهير من ذنب، وتنبيه من غفلة، وكل ذلك خير، فـ(**عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير**)، فلماذا اليأس والقنوط ؟.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۝ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مريم ٨٨ -٩١] فإذا كانت الجبال تنهد غيرة على التوحيد والإيمان فكيف بقلب المؤمن الذي يخاف الله ويرجو رحمته فإنه أولى وأحرى.

في الصحيح: (كل ميسر لما خلق له) فاكتشف مواهبك وقدراتك، ونمها واستعملها في سبيل دينك وأمتك وأسرتك، ولا تتكلف ما لم تعط فتكون كالمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] اشتمل القرآن على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس مسألة إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه علم عجائب المخلوقات، وملكوت السماوات والأرض، وما في الأفق الأعلى، وما تحت الثرى، وأسماء مشاهير الرسل والملائكة، وأخبار الأمم، وفيه بدء خلق الإنسان إلى موته، وكيفية قبض الروح وما يفعل بها، وعذاب القبر والسؤال فيه، ومقر الأرواح، وأشراط الساعة..[السيوطي] واستطرد بعدها طويلا في تعداد العلوم .

وأما وقيعة الفساق في أهل الفضل والدين، فعلى شبه ممن قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [الحج:٧٢].

واستخفاف هؤلاء بالدين يحملهم على إشاعة أشياء عن العلماء -والدعاة منهم- ورجال الحسبة فيهم، بقصد الشناعة عليهم. [د.بكر أبوزيد].

اليقين بلقاء الله ومعيته، زادان ضروريان، حين يبدو للعيان انتصار الأعداء وغلبتهم، لئلا تحصل الهزيمة النفسية، فيحدث اليأس والخذلان: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ [النمل: ١٨].

نملة هنا نكرة، لم يقل (النملة)، فهي نملة نكرة حملت هم أمة فأنقذتها، أليس الخطر الذي يهدد أمتنا أعظم من الخطر الذي هدد نمل سليمان؟ كم منا من يحس بإحساس النملة. ويسعى منقذا لأمته؟

﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦]. «تنطوي هذه الحياة الدنيا التي يتقاتل عليها أهلها ويتطاحنون، فإذا هي عندهم عشية أو ضحاها !أفمن أجل عشية أو ضحاها يضحون بالآخرة ؟ألا إنها الحماقة الكبرى التي لا يرتكبها إنسان يسمع ويرى !». [سيد قطب].

«ومن أعجب ما ظاهره الرجاء وهو شديد التخويف، قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢] فإنه علق المغفرة على أربعة شروط، يبعد تصحيحها». [ابن قدامة].

﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ [آل عمران: ٣١] إنها آية واضحة في بيان معيار المحبة والاتباع الحقيقي للنبي ﷺ، فلا يصح لأحد أن يزايد على هذه المحبة بفعل ما لم يشرعه، فضلا عن الابتداع في دينه بدعوى المحبة، وأشد من ذلك أن يقلب الأمر! فيوصف من لم يوافق المبتدع على بدعته، بأن محبته للنبي ﷺ ناقصة.

كان لحفصة بنت سيرين ابن عظيم البر بها، فمات، فقالت حفصة: لقد رزق الله عليه من الصبر ما شاء أن يرزق، غير أني كنت أجد غصة لا تذهب، قالت فبينا أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل، إذ أتيت على هذه الآية: ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:٩٥، ٩٦] قالت: فأعدتها، فأذهب الله ما كنت أجد.

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم: ٣١]: «فلينظر رجل من يخالل؟ وعلام يصاحب؟ فإن كان لله فليداوم، وإن كان لغير الله فليعلم أن كل خلة ستصير على أهلها عداوة يوم القيامة إلا خلة المتقين: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]».

يقول أحد المشاركين: عندما حرمت من الذرية ست سنوات وطرقت أبواب المستشفيات ولم أجد فائدة، تذكرت قول زكريا: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩] فأصبحت أرددها دائما، مع الدعاء، والاستغفار، والرقية حتى رزقني الله بطفلين، ولله الحمد.

حكي أن بعض العلماء كان يصنع كثيرا من المعروف، ثم يحلف أنه ما فعل مع أحد خيرا، فقيل له في ذلك، فيقول: إنما فعلت مع نفسي! ويتلو: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة / ٢٧٢].

«إن في سلوك هذه الأمة تلازما وثيقا بين العقائد والعبادات، وبين سلوك الإنسان وأخلاقه، في البيت والعمل والسوق والمدرسة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]».

لما ألهت الخيل سليمان بن داود عليهما السلام عن صلاته ، دعا بتلك الخيل فجعل يقتلها، ويضرب أعناقها وسوقها انتقاما من نفسه لنفسه ؛ فانتقم من نفسه التي لهت بهذه الصافنات الجياد عن ذكر الله ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣] فإذا رأيت شيئا من مالك يصدك عن ذكر الله فتباعد عنه قدر استطاعتك، قبل أن يبعدك عن الله.

قال بكر العابد: سمعت الفضيل بن عياض يقول في قول الله عز وجل: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر/ ٤٧] قال: «أتوا بأعمال ظنوها حسنات فإذا هي سيئات!».

قال بكر: «فرأيت يحيى بن معين بكى!» [تاريخ بغداد].

والسؤال: كم مرة بكينا عند هذه الآية وأمثالها ؟!

«آيات في كتاب الله إذا ذكرتهن، لا أبالي على ما أصبحت أو أمسيت: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢]، ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]». [عامر بن عبد قيس].

لقد كان نبي الله إبراهيم يحمل هم هداية الأجيال القادمة، ولم يقصر نظره على جيله، أو بيته، أو أهله، فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ [البقرة: ١٢٩] فيا له من هم ما أكمله، ويا لها من نفس ما أزكاها؟![د. محمد الخضيري][محمد بن عبدالرحمن بن قاسم].

قرأ رجل عند يحيى بن معاذ هذه الآية: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤] فبكى يحيى وقال: إلهي هذا رفقك بمن يقول أنا الإله! فكيف رفقك بمن يقول أنت الإله؟!هذا رفقك بمن قال: أنا ربكم الأعلى فكيف بمن قال: سبحان ربي الأعلى ؟ !

سمع جبير بن مطعم ﷺ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور ٣٥، ٣٦] فقال: (كاد قلبي أن يطير!).

والسؤال كم مرةً توقفنا عند هذه الأسئلة العظيمة القامعة لكل شبهة؟!

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] قال غير واحد من السلف: هو الرجل يهم بالمعصية، فيذكر الله فيدعها من خوفه.

شدة البرد من زمهرير جهنم – كما صح بذلك الخبر عن النبي ﷺ – ولكمال نعيم أهل الجنة، فإن الله تعالى نفى عنهم الحر المزعج، والبرد المؤلم، فقال سبحانه:﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣]، فهل يتذكر صاحب القرآن هذا حينما يقرصه البرد؟!

جعلنا الله وإياكم من أهل ذلك النعيم

يقول أحد الدعاة رأيت مغنيا مشهورا طالما فتن الشباب والفتيات، فقررت أن لا أدعه حتى أنصحه، فسلمت عليه، وألهمني الله أن ألقي في أذنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠] ثم ذهبت، فو الله ما مرت أيام إلا وقرأت خبر توبته في الصحف فما أجمل الوعظ بالقرآن إذا صادف انتقاء حسنا، وقلبا واعيا!

عن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧] قال: «إنه ليبلغ من حذق أحدهم بأمر دنياه أنه يقلب الدرهم على ظفره، فيخبرك بوزنه، وما يحسن يصلي !!!». [الدر المنثور].

﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة/ ١٥٣] توجيه رباني وجدت بركته أخت لنا فجعت بفقد والديها وأخيها وأختها في حادث قبل أيام، إذ لما اشتدت عليها المصيبة تذكرت هذه الآية ففزعت للصلاة، موقنة بكلام ربها، فتقسم أنه نزل على قلبها سكينة عظيمة خففت عليها مصيبتها. وذلك تأكيد عملي على أثر تدبر القرآن والعمل به في حياة العبد في ظروفه كلها.

قال ابن عقيل: «من حسن ظني بربي، أن لطفه بلغ أن وصى بي ولدي إذا كبرت فقال: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣]» [الآداب الشرعية].

فما أحوجنا - أهل القرآن - أن نحسن الظن بربنا مهما طال الزمن واشتدت المحن، قال تعالى - في الحديث القدسي -: (أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء).

«﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]، أُمر الحجاج بأن يتزودوا لسفرهم ولا يسافروا بغير زاد، ثم نبههم على زاد سفر الآخرة وهو التقوى، فكما أنه لا يصل المسافر إلى مقصده إلا بزاد يبلغه إياه، فكذلك المسافر إلى الله تعالى والدار الآخرة لا يصل إلا بزاد من التقوى، فجمع بين الزادين، فذكر الزاد الظاهر والزاد الباطن».

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن هذه الآية: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]: «جمعت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، فحاول أن تستخرجها زادك الله فهماً لكتابه».

تأمل قدرة الله في هذه الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣]، يقول العلامة الشنقيطي: «حدثني من أثق به أنه أتى نهاية نهر السنغال الذي يصب في المحيط الأطلسي، وأنه جلس يغترف بيده من النهر عذباً فراتاً، وبيده الأخرى من البحر ملحاً أجاجاً، فما أعظم الله وأجل قدرته!».

«لكل أخت تشكو كثرة المغريات حولها، أو تعاني من ضعف الناصر على الحق، اعتبري بحال امرأة جعلها الله مثلاً لكل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة، إنها امرأة فرعون، التي لم يمنعها طغيان زوجها، ولا المغريات حولها، أن تعلق قلبها بربها، فأثمر ذلك: الثبات، ثم الجنة، بل وصارت قدوة لنساء العالمين».[د. عمر المقبل].

«لا تظن أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤] يختص بيوم المعاد فقط، بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة: الدنيا، والبرزخ، والآخرة، وأولئك في جحيم في دورهم الثلاثة !وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من برد القلب، و سلامة الصدر، و معرفة الرب تعالى، و محبته، والعمل على موافقته ؟!

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ٧-٨]، هذه خطة لحياة المسلم وضعت للنبي ﷺ، وهي:فإذا فرغت من عمل ديني فانصب لعمل دنيوي، وإذا فرغت من عمل دنيوي فا نصب لعمل ديني أخروي، فالمسلم يحيا حياة الجد والتعب، فلا يعرف وقتا للهو واللعب أوالبطالة قط».[أبو بكر الجزائري].

علق العلامة السعدي على قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمرن: ١٥٩] بقوله: «فهل يليق بمؤمن بالله ورسوله، ويدعي اتباعه و الإقتداء به، أن يكون كلاً على المسلمين، شرس الأخلاق، شديد الشكيمة عليهم، غليظ القلب، فظ القول، فظيعه ؟!».

ما الذي جعل العلامة الشنقيطي يقول عن هذه الآية: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧]: « يجب على كل مسلم أن يتدبر هذه الآية تدبراً كثيراً، ويبين ما دلت عليه لكل من استطاع بيانه له من الناس ؟».

الجواب: في قوله - رحمه الله تعالى -: «لأن من أعظم فتن آخر الزمان - التي ابتلي بها ضعاف العقول من المسلمين – شدة إتقان الأفرنج لأعمال الدنيا، مع عجز المسلمين عنها، فظنوا أن من قدر على تلك الأعمال على الحق، وأن العاجز عنها ليس على حق، وهذا جهل فاحش، وفي هذه الآية إيضاح لهذه الفتنة، وتخفيف لشأنها، فسبحان الحكيم الخبير ما أعلمه، و أحسن تعليمه!».

كان الحسن البصري يردد في ليلة قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨] فقيل له في ذلك؟! فقال: «إن فيها لمعتبرا، ما نرفع طرفا ولا نرده إلا وقع على نعمة، وما لا نعلمه من نعم الله أكثر!.

يزداد التعجب ويشتد الاستغراب من أناس يقرؤون سورة يوسف ويرون ما عمله إخوته معه عندما فرقوا بينه و بين أبيه، وما ترتب على ذلك من مآسي وفواجع: إلقاء في البئر، وبيعه مملوكاً، وتعرضه للفتن وسجنه، واتهامه بالسرقة.. بعد ذلك كله يأتي منه ذلك الموقف الرائع ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢].

يرون ذلك فلا يعفون ولا يصفحون ؟

فهلا عفوت أخي كما عفا بلا منّ ولا أذى ؟ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ؟».

« أتحب أن يعفو الله عنك، ويغفر لك ؟ إنه عمل سهل ؛ لكنه عند الله عظيم !

وهذا يتحقق لك بأن تعفو وتصفح عن كل مسلم أخطأ في حقك، أو أساء لك، أو ظلمك، فإن استثقلت نفسك هذا، فذكرها قول ربها: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ». [د. محمد العواجي].

قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩]

تأمل.. «هذا وصف الخدم، فما ظنك بالمخدومين؟! لاشك أن حالهم ونعيمهم أعظم وأعلى، جعلنا الله وإياك من أهل ذلك النعيم.

فالقارئ يقرأ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨] والناس حول ضريح الولي المدفون في ناحية المسجد يدعون بأعلى أصواتهم:يا سيدي مدد! ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾؟»[أبو بكر الجزائري].

«إنما حسن طول العمر ونفع؛ ليحصل التذكر والاستدراك، واغتنام الفرص، والتوبة النصوح، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر:٣٧] فمن لم يورثه التعمير، وطول البقاء، إصلاح معائبه، واغتنام بقية أنفاسه، فيعمل على حياة قلبه، وحصول النعيم المقيم، وإلا فلا خير له في حياته». [ابن القيم].

إن مجرد طول العمر ليس خيرا للإنسان إلا إذا أحسن عمله ؛لأن طول العمر أحيانا يكون شرا للإنسان وضررا عليه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، فهؤلاء الكفار يملي الله لهم- أي يمدهم بالرزق والعافية وطول العمر والبنين والزوجات -لا لخير لهم، ولكنه لشر لهم ؛ لأنهم سوف يزدادون بذلك إثما.[ابن عثيمين].

قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣] ثم قال في آية بعدها: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ أي: كما عرفتم النعيم والكمال بعد الشقاء

والشناعة، فالأحرى بكم أن تسعوا بكل عزم إلى انتشال غيركم من سوء ما هو فيه إلى حسنى ما أنتم عليه. [ابن عاشور].

﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥] «بعض الآباء يدع قنوات السوء بأيدي أهله وبنيه كأن الأمر لا يعنيه، وهو يعلم أنها تنوء بالسوء، وربما خادع نفسه بأنه يثق بهم، لقد لعن رسول الله ﷺ في الربا: الآكل والمؤكل والكاتب والشاهدين، وفي الرشوة: الراشي والمرتشي والرائش، وبئس في تلك القنوات جالبها والناظر إليها.

إذا أردت أن تستشعر شيئا من معاني قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وفي قراءة: ﴿تَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، فتخيل أنك ملكت كل أرصدة بنوك الدنيا، وحزت ما جمعه الناس من عقار وأثاث ومراكب، وغيرها..

إنها -بنص هذه الآية- لا تعادل فرح المؤمن بنعيم القرآن وحلاوته، فهل نحن نعيش هذا الشعور؟» [د.عمر المقبل] .

﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢] تدبر قصة موسى مع فتاه و خادمه ، تجد كرم الخلق ولطافة المعاملة وحسن الصحبة: يخبره بتفاصيل مسيره، ويشركه في طعامه، ويعذره في خطئه ، بل يدخل السرور على نفسه إذهابا لروعه: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ [الكهف: ٦٤] وتأمل واقع كثير من الناس مع خدمهم بل أبنائهم و طلابهم، تدرك أين هم من أخلاق النبوة !؟ [أ.د ناصر العمر] ج. تدبر.

من خاف الله في الدنيا، وأخذ أهبته من طاعة ربه، أمنه من أهوال يوم القيامة، ووقاه الفزع الأكبر، تأمل قوله سبحانه عن طائفة من عباده المحسنين في سورة الإنسان: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ [الإنسان:١١]. (القصاب).

تدبر مصارع الأمم في كتاب الله تجد أن الله لم يهلك أمة إلا وهي في حال قوتها وجبروتها!فهل تستطيع أن تورد أمثلة على ذلك من كتاب الله تعالى؟

أهلك الله عادا وهي ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، حتى قالوا: من أشد منا قوة، وأهلك ثمود الذين جابوا الصخر بالواد، فنحتوا الجبال وبنوا المصانع، وأهلك فرعون ذا الأوتاد الذي قال: أنا ربكم الأعلى، وأراد صرحا يبلغ به السماء، وكل هؤلاء دمرهم الله في قمة قوتهم وجبروتهم! [د.سفر الحوالي] ج.تدبر.

يقول ابن القيم: «فانظر محبة القرآن من قلبك، والتذاذك بسماعه أهي أعظم من التذاذ أصحاب الملاهي والغناء المطرب بسماعهم؟ فإن من المعلوم أن من أحب محبوبا كان كلامه وحديثه أحب شيء إليه ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧] أي الملكين الذين يكتبان الحسنات والسيئات، وفي بعض الآثار: أنت تجري في معصية الله وفيما لا يعنيك، ألا تستحي من الله ولا منهما؟! [ابن عجيبة الفاسي].

الهلاك الذي أصاب قوم شعيب، ذكر الله تعالى في سورة الأعراف أنه رجفة، وذكر في سورة هود أنه صيحة، وذكر في سورة الشعراء أنه عذاب يوم الظلة، فكيف كان ذاك؟ الجواب ويمكن مراجعة آخر قصة هود في سورة الأعراف من ذكر الله هلاك قوم شعيب بالرجفة، والصيحة، والظلة.

«وقد اجتمع عليهم ذلك كله، أصابهم عذاب يوم الظلة وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح منه». [ابن كثير].

انتهى من كتاب: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾حصاد عام من التدبر. وهو كتاب قيم فريد في موضوعه يقع في جزأين يجدر الرجوع إليه كما أسلفنا.

المحاسبة وأهمية عبادة القلوب

قال الحسن رحمه الله: «إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة همته».

مسألة خطيرة:

هل تعلم لماذا لا ينشرح صدرك ويزول همك رغم أنك تصلي وتقرأ القرآن؟ وربما صمت وتصدقت؟

الكثير منا يصلي ويصوم ويقرأ كلام ربه، وربما أكثر الذكر، ومع ذلك يشعر أن حاله لا يتغير كثيراً، وهمه إن أبعد عنه شبرا عاد أخرى والتصق، وأنه كما هو لا أثر لذلك كله..

هل تعرفون السبب ؟؟

السبب بكل وضوح في القلب.

ويعود كله إلى أننا تعبدنا الله بجوارحنا وعطلنا (عبادة القلوب)، وهي: الغاية وعليها المدار ،والأعمال القلبية لها منزلة وقدر، وهي في الجملة أعظم من أعمال الجوارح، إننا حين نصلي صعود وقيام تتحرك جوارحنا لكن...قلوبنا لا تصلي فهي لاهية، لا متدبرة ولا خاشعة فلا يكون لصلاتنا أثر ولا معنى، فلا هي تنهانا على المنكر، ولا هي تجلو عن قلوبنا الهم ولا على المشاق تعين.

وكذلك في تلاوتنا للقرآن الكريم فكيف هي أوضاعنا....

ألسنا نفتح المصحف وتتحرك شفاهنا وتعلوا أصواتنا وقلوبنا تجول في الدنيا وتصول فهي لم تقرأ معنا؟؟

و كذلك في صيامنا فلا استشعار واحتساب، وكف للنفس عن اللغو والصخب، وتدبر أمر الله واستشعار الخضوع له.

إخوتي... المسألة كبيرة جدا فمن أراد السعادة والثمار الحقيقية من طاعة الله جل جلاله فليتعبد بالقلب مع الجوارح (فإن صلح القلب صلح سائر الجسد) وقد نحسن الصلاة

والصدقة والعمرة وغيره بجوارحنا لكن لا نحسن عبادة القلب، فمع أن عبادات الجوارح صلاحها في اتصال القلب وقيامه معها، فالقلب كذلك له عبادات مستقلة كالتوكل، والحب، وحسن الظن، والصبر، والرضى عن الله، وتعظيمه جل جلاله ووو غيره.

إن قلوبنا تغرق.....في الدنيا فقط

هل تعلمنا ما يجب لربنا في قلوبنا ؟؟

أم أننا عطلنا القلب فلا توكل ولا تفويض ولا صبر ولا حسن ظن، إن أصابنا ضر هلعنا وجزعنا وأكثرنا الشكوى والأنين، و لربما والعياذ بالله تسلل للقلب القنوط، أحبتي...إن الله لا ينظر إلى أجسادنا ولكن ينظر إلى قلوبنا التي في الصدور فاسألوا أنفسكم كيف هي عبادة قلبي؟؟

هل قلبي قائما بعباداته؟؟

هل أنا توكلت على الله حق توكل؟ وصدقت في الاعتماد عليه وتفويض الأمر إليه، أم أني أثق في كفاية الخلق أكثر؟

هل أنا أمتلئ حبا لله وخشية منه وتعظيما وعبودية وذلا ورجاء له وحده؟ كيف قلبي والصبر و الرضى عن الله جل جلاله؟

نحتاج للمجاهدة، فالقلب سريع التقلب، ومتى ظفرت بعبادات القلب سعدت بالحياة الحقيقية.

فأنصحكم إخوتي...

أولا بالعلم في أعمال القلوب ها نحن ندير محركات البحث (جوجل) وغيره فيما نهوى من الدنيا فهلا استخدمناها لمعرفة أعمال القلوب، وكيف نتوكل؟ وكيف نصبر؟ وكيف نرضى؟ وكيف نحبه ونعظمه جل جلاله؟ وليقوم القلب بالعبادات التي أرادها وخلقه المولى جل جلاله لها، قال ابن تيمية رحمه الله: «القلب لا يصلح، ولا يفلح، ولا يسر ولا

يطيب، ولا يطمئن ولا يسكن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن؛ إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه»[1] ، وقال ابن القيم: «في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفة الله، وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الإجماع عليه والعزاء إليه».

يا من أردت سعادة الدارين و أردت الجنة في الدنيا قبل الآخرة تذكر دائما وأبدا ما قاله بعض السلف: «مسكين من خرج من الدنيا ولم يذق أطيب ما فيها. فقيل له: وما أطيب ما فيها ؟ فقال: محبة الله والأنس به والشوق إلى لقائه والتنعم بذكره وطاعته، فوالله ما طابت الدنيا إلا بمحبته وطاعته ولا الجنة إلا برؤيته ومشاهدته».

اعلم عبد الله: أن الله مطلع عليك يعلم من أنت وماذا بين يديك وما يدور حولك فهو السميع البصير العليم الخبير القريب الرقيب الشهيد، والأنس والسعادة في امتثال أوامره. وتذكر قول المولى عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧] فإذا أقبل العبد على الله أقبلت عليه وفود الخيرات من كل جانب، وإذا أعرض عن مولاه واتبع هواه أقبلت عليه سحائب البلاء والشر من كل جانب- قال خالد بن معدان رحمه الله- : «إذا فُتح لأحدكم باب الخير، فليُسرع إليه ؛ فإنه لا يدري متى يغلق عنه»، قال أحد السلف رحمه الله: «من داوم على المعاصي، ابتلاه الله بالهموم».

الأنس ثمرة الطاعة والمحبة..فكل مطيع لله مستأنس... وكل عاص لله مستوحش.

إذا أوحشتك الذنوب فدعها وبالله فاستأنس

إذا أردت أن تعرف مقامك عند الله فاعرف مقام الله في قلبك.

---

(١) [الفتاوى ١٠ / ١٩٣ - ١٩٤].

﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]، ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [عمران: ١٨٥].

الأيام تطوى، والأهلة تتوالى، والأكفان تنسج، والأعمال تدون، والموعد يقترب وأجيال من الدنيا تودع وترحل، قيل لنُوح عليه السلام: يا أبا البَشر ويا طويل العُمر، كيف وجدتَ الدنيا؟ قال: كَبَيْتٍ له بابان، دخلتُ من أحدهما وخرجتُ من الآخر.

﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٤٣].

نتفكر فننظر عِظَةَ الله عز وجل فيمن بنى القصور وشيد المدائن، أين هم الآن؟ طمرهم تراب القرون، ونسيتهم الأحداث، أين لذة الأمس، أين شهوة النفس، كم رحلت وأبقت ندما، وكم نكست رأسا وأزلت قدما. أين هؤلاء؟ قد تضعضعت بهم القبور. خَفَّ زادهم، وجَفَّ مزادهم. وطال السبيل، وحار الدليل. وما يدريك عَلَى مَا يقدمون، أتثبت أم تزل بهم القدم.

أعد على فكرك أسلاف الأمم ... وقف على ما في القبور من رمم

ونادهم أين القوي منكم ... والقاهر أم أين الضعيف المهتضم

تفاضلت أوصافهم فوق الثرى ... ثم تساوت تحته كل قدم

* * *

ولمْ أَرَ كَالموتِ أَفجَعَ مَنْظَرًا ... وَلاَ وَاعِظِي جُلاَّسِهِ كَالْمَقَابِرِ

خاطرة

إن المؤمن الفطن ينظر في الحياة بعين فكر، فيتدبر ما طوته القبور والأزمان، ويتفكر في عاقبة الطغاة والعتاة؛ فيعرف حقيقة تلك الدار الفانية.

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢]: عن ميمون بن مهران قال: كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز فقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ فبكى ثم قال: يا ميمون ما أرى المقابر إلا زيارة و لا بد للزائر أن يرجع إلى منزله في الجنة أو النار. إذا كانت الإقامة في القبر مجرد زيارة مع أنها قد تمتد آلاف السنين فبم نصف إقامتنا في الدنيا التي لا تتجاوز عدد سنين ؟ تأمل ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ [المؤمنون: ١١٣].

فيا طول حسرة المفرطين. عجباً لمن أعد للسفر القريب! ولم يعد للسفر البعيد! قال رجل للنبي عليه الصلاة والسلام: أي المؤمنين أفضل ؟ قال: (أحسنهم خُلقاً) قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: (أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم لما بعده استعداداً أولئك الأكياس)[1]. وقال بعض الحكماء: «إذا كنت صبياً تلعب مع الصبيان، وإذا كنت شاباً غفلت باللهو، وإذا كنت شيخا صرت ضعيفاً، فمتى تعمل لله تعالى».

مضى العمر وفات — يا أسير الغفلات
حصّل الزاد وبادر — مسرعاً قبل الفوات
فإلى كم ذا التعامي — عن أمور واضحات
وإلى كم أنت غارق — في بحار الظلمات
لم يكن قلبك أصلا — بالزواجر والعظات
بينما الإنسان يسأل — عن أخيه قيل مات

(١) رواه ابن ماجه و البيهقي/ صحيح الترغيب.

وتـــــراهم حملـــــوه   سرعـــــة للفلـــــوات
أهلـــــه يبكـــــوا عليـــــه   حـــــسرة بـــــالعبرات
أيـــن مـــن قـــد كـــان يفخـــر   بالجيـــــاد الـــــصافنات
ولـــــه مـــــال جزيـــــل   كالجبـــــال الراســـــيات
ســـار عنهـــا رغـــم أنـــف   للقبـــــور الموحـــــشات
كـــم بهـــا مـــن طـــول مكـــث   مـــن عظـــام نـــاخرات
فـــاغنم العمـــر وبـــادر   بـــالتقى قبـــل الممـــات
واطلـــب الغفـــران ممـــن   ترتجـــى منـــه الهبـــات

من القرآن الكريم

* ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار١٧-١٩].

* ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗا﴾ [آل عمران:٣٠].

* ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ﴾ [آل عمران:١٠٦].

* ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡ﴾ [المائدة:١٠٩].

* ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ﴾ [الفرقان:٢٧].

* ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ﴾ [هود:١٠٥].

* ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [إبراهيم:٤٨].

* ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [النحل:٨٩].

* ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [النحل:١١١].

* ﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء:٥٢].

* ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡ﴾ [الإسراء:٧١].

* ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ﴾ [الكهف:٤٧].

* ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا﴾ [طه: ١٠٢].

* ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

* ﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا﴾ [الطور:٩ – ١٠].

* ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥].

* ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩].

* ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل:٨٧].

* ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل:١٤].

* ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾ [غافر:١٦].

* ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر:٥٢].

* ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الدخان:٤١].

* ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨].

* ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار:١٩].

* ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦].

* ﴿يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة:٢٥٤].

* ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم:٤٢].

* ﴿يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

* ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠].

* ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧].

من الأحاديث النبوية

* عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: يا رسول الله أوصني ؟ قال: (اعبد الله كأنك تراه ، واعدد نفسك في الموتى ، واذكر الله عند كل حجر ، وعند كل شجر ، وإذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة ، السر بالسر والعلانية بالعلانية) (١).

* عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي، فقال: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل). وكان ابن عمر يقول: (إذا أمسيت، فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)(٢). وزاد فيه الترمذي: (وعد نفسك من أهل القبور) وزاد في كلام ابن عمر: (فإنك لا تدري يا عبدالله ما اسمك غدا).

* و قال: (إن من أمارات الساعة أن يظهر موت الفجأة)(٣).

* روى ابن ماجه عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على شفير القبر فبكى وأبكى حتى بل الثرى ثم قال: (يا إخواني لمثل هذا فأعدوا) وفي رواية: (أي إخواني لمثل هذا اليوم فأعدوا)، وعن هانئ مولى عثمان رضي الله عنه قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ! فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا ؟ !فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه ؛ فما بعده أشد منه !) قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما رأيت منظراً قط إلاّ القبر أفظع منه!)(٤).

---

(١) رواه الطبراني صحيح الترغيب للألباني.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الطبراني وحسنه الألباني.

(٤) رواه الترمذي وابن ماجه / صحيح الترمذي للألباني: (٢٣٠٨).

يقول ﷺ: (مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)[1].

هكذا هو عمرنا فيها..

لم يكن إلا كغفوة قصيرة تحت ظل شجرة في يوم من أيام الصيف.. فهل نحسن استغلال العمر.

---

(١) ابن ماجه والترمذي صحيح الترغيب.

من أقوال السلف الصالح

قال ابن القيم رحمه الله: «من هداية الحمار -الذي هو أبلد الحيوانات - أن الرجل يسير به ويأتي به إلى منزله من البعد في ليلة مظلمة فيعرف المنزل، فإذا خلي جاء إليه، ويفرق بين الصوت الذي يستوقف به والصوت الذي يحث به على السير، فمن لم يعرف الطريق إلى منزله - وهو الجنة - فهو أبلد من الحمار».

وقال الحسن: «رحم الله عبداً وقف عند همه، فإن كان لله مضى وإن كان لغيره تأخر والروية في كل أمر خير إلا ما كان من أمر الآخرة».

قال سلمة بن دينار: «ما أحببت أن يكون معك في الآخرة فقدمه اليوم. وما كرهت أن يكون معك في الآخرة فاتركه اليوم.

من نافسك في دينه فنافسه ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره، يا ابن آدم إذا رأيت الرجل ينافس في الدنيا. فنافسه في الآخرة».

قال وهيب بن الورد: «إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل».

يقول ابن القيم رحمه الله: «إذا صح الإيمان استوحش القلب من المعاصي.

يا من ستفارق دنياك ماذا أعددت لأخراك؟».

وقال ابن الجوزي رحمه الله في نصيحته لابنه: «ومن تفكر في الدنيا قبل أن يوجد رأى مدة طويلة، فإذا تفكر فيها بعد أن يخرج منها رأى مدة طويلة، وعلم أن اللبث في القبور طويل، فإذا تفكر في يوم القيامة علم أنه خمسون ألف سنة، فإذا تفكر في اللبث في الجنة والنار علم أنه لا نهاية له، فإذا عاد إلى النظر في مقدار بقائه في الدنيا - فرضنا ستين سنة مثلا - فإنه يمضي منها ثلاثون سنة في النوم، ونحو من خمس عشرة من الصبا، فإذا حسب الباقي كان أكثره الشهوات والمطاعم والمكاسب، فإذا خلص ما للآخرة وجد فيه من الرياء والغفلة كثيراً، فبماذا تشتري الحياة الأبدية؟ وإنما الثمن هذه الساعات!!» [لفتة الكبد لابن الجوزي:١٦].

املك شهوتك فمن ملك شهوته في حال شبيبته أعزه الله في حال كهولته. واذكر مولاك فلله در القائل حينما قال: «لا يغفول يا جهول لو سمعت صرير الأقلام وهي تكتب اسمك عند ذكرك لمولاك لمت شوقاً إلى ربك».

أعمر فؤادك بالتقوى فالعمر محدود، واحمل مصحفا يشرح الصدور. اجعل من ظلمة الليل ضياء لقلبك ونورا لقبرك، وذلك: بالقيام والدعاء وكثرة الاستغفار وإياك !! أن تجعل ظلمة الليل فرصة لانتهاك حرمات الله، فاتق الله في عينك، وفي لسانك وفي عملك.

انتبهت امرأة حبيب العجمي بن محمد ليلة وهو نائم، فنبهته في السحر وقالت له: «قم يا رجل، فقد ذهب الليل وجاء النهار، وبين يديك طريق بعيد وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ونحن قد بقينا».

قال سفيان الثوري يوماً لأصحابه: «أخبروني لو كان معكم من يرفع الحديث إلى السلطان أكنتم تتكلمون بشيء ؟ قالوا: لا، قال: فإن معكم من يرفع الحديث إلى الله عز وجل»..

لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك؛ وافْرَحْ بها لأنها بَرَزَتْ من الله إليك: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس ٥٨]، خف من وجود إحسانه إليك ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك استدراجاً لك ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤].

إذا أمدك الله بالنعم وأنت على معاصيه فاعلم بأنك مستدرج، وإذا سترك فلم يفضحك فاعلم أنه أراد منك الإسراع في العودة إليه.

لو لم يكون لنا ذنوب إلا حب الدنيا لخشينا على أنفسنا منها إن الله عز وجل يقول: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧].

فرحم الله امرءاً..

أراد ما أراد الله عزّ و جلّ.

كلامك مكتوب، و قولك محسوب، وأنت يا هذا مطلوب، و لك ذنوب و ما تتوب، و شمس الحياة قد أخذت في الغروب فما أقسى قلبك من بين القلوب قال بعض السلف: «إذا نطقت فاذكر من يسمع، و إذا نظرت فاذكر من يرى، و إذا عزمت فاذكر من يعلم».

يا مُطالباً بأعماله، يا مسؤولاً عن أفعاله، يا مكتوباً عليه جميع أقواله، يا مناقشاً على كل أحواله، نسيانك لهذا أمر عجيب!.

كم نظرة تحلو في العاجلة، مرارتها لا تُطاق في الآخرة، يا ابن آدم قلبك قلب ضعيف، و رأيك في إطلاق الطرف رأي سخيف، فكم نظرة محتقرة زلت بها الأقدام..

قال ابن رجب رحمه الله: «خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد،لا يطلع عليها الناس».

وقال بعضهم: «كم من معصية في الخفاء منعني منها قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾» [الرحمن: ٤٦].

ذنوب الخلوات تؤدي إلى الانتكاسات وطاعة الخلوات طريق الثبات حتى الممات، إن الحسرة كل الحسرة، والمصيبة كل المصيبة: أن نجد راحتنا حين نعصي الله تعالى.

تذكر أنك على سفر فتجهز بزاد، قال بعض السلف: «ادَّخر راحتك لقبرك،وقَلِّل من لهوك ونومك، فإنَّ من ورائك نومةً صبحها يوم القيامة».

قيل لحكيم ما العافية ؟ قال: «أن يمر بك اليوم بلا ذنب.

قصر الأمل: هو العلم بقرب الرحيل وسرعة انقضاء مدة الحياة.

عن سعيد بن جبير: «الدنيا متاع الغرور إن ألهتك عن طلب الآخرة، فأما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله فنعم المتاع ونعم الوسيلة».

و روى المزني قال: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقلت له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولسوء عملي ملاقياً، ولكأس المنية شارباً، وعلى الله وارداً، ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنئها، أم إلى النار فأعزيها.

قال بعض السلف: قيل لبعض حكماء العرب: ما أبلغ العِظات ؟ قال: «النظر إلى محلة الأموات»، وقال رجل لبعض السلف: أوصني. قال: «عسكر الموتى ينتظرونك».

من لاحت له الآخرة هان عليه فراق الدنيا.

الدنيا: إذا كست، أو كست. أو حلت، أو حلت. أو جلت، أو جلت، فالسعيد من ضرب رباعها، وإذا مدت له باعها، باعها .

فيا معتزا بالسلامات، كم من عاشق ما سلا، مات، وكم من ملك رفعت له العلامات، فلما علا، مات، وكم من مريض عدنا وماعدنا. وكم من قبور تبنى وما تبنا.

اخي الحبيب:

ألا تعلم أن زيارة ملك الموت شيء محتوم، وقدر سابق معلوم، مهما طال بك العمر أو قصر ؟سمع بعض الصالحين بكاء على ميت فقال: يا عجباً من قوم مسافرين يبكون على مسافر قد بلغ منزله!!

قال رجل لأم الدرداء ﵁: إني لأجد في قلبي داء لا أجد له دواء ؟! و أجد قسوة شديدة وأملا بعيدا ؟ ! فقالت أم الدرداء: (اطلع في القبور واشهد الموتى).

وجاءت امرأة إلى عائشة ﵁ تشكو إليها قسوة قلبها فقالت لها: (أكثري من ذكر الموت يرق قلبك).

قال أبو الدرداء: (أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث: أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل ليس بمغفول عنه، وضاحك ملء فيه وليس يدري هل أرضى ربه أم أسخطه، وأبكاني فراق الأحبة محمد وحزبه، وهول المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي الله عز وجل يوم تبدو السرائر ثم لا أدري إلى جنة أم إلى نار.

القبور... وما أدراك ما القبور؟... ظاهرها تراب... وباطنها حسرة وعذاب. ..وصراخ وخراب...أو نعيم وثواب... لكل عبدٍ أواب... يمرُ المار بها فلا يتعظ. ..ولو درى ما فيها لسكب على نفسه العبرات... ولجأر إلى ربه طالباً إقالة العثرات. ..واستدراك ما فات..).

من شعر الزهد والموعظة والحكمة

كفـــى يــا نفــس مــا كــان كفـــاك هـــوى وعـــصيانا
فـــؤادي يــــشتكي ذنبـــا ويـــشكو منـــك مـــا كانـــا
أصـــبح بتـــوبتي نـــدما وأقـــول كفـــى يـــا نفـــس مـــا كانـــا

***

عـــد للإلـــه وتـــب إليـــه تعـــالى وأدم هـــواه محبـــة ووصـــالا
فـــالعمر ماض،والمنيـــة أقبـــلت والركـــب شـــد وأزمـــع الترحـــالا
وإذا الزمـــان تقاصـــرت أيامـــه وحملـــت عـــبء المهلكـــات ثقـــالا
فالجـــأ لربـــك خاشـــعاً متبتـــلاً ليفـــك عنـــك القيـــد والأغـــلالا
واعمـــل لـــدينك مااســـتطعت فـــإنها خـــير الـــورى مـــن أحـــسن الأعـــمالا
وتـــأس بـــالمبعوث أحمـــد واتبـــع آثـــاره لتحقـــق الآمـــالا
فمحمـــد جـــاء الحيـــاة مبـــشراً فهـــدى الأنـــام وأنقـــذ الأجيـــالا

***

مـــاذا تـــزودت للرحيـــل أو لـــست ترحـــل عـــن قليـــل
أو كنـــت تحـــسب أن للإنـــسان في الـــدنيا مقيـــل
فلتنـــزلن بمنـــزل ينـــسى الخليـــل بـــه الخليـــل

***

ســـبيلك في الـــدنيا ســـبيل مـــسافر ولا بـــد مـــن زاد لكـــل مـــسافر
هـــو المـــوت مـــا منـــه مـــلاذ ومهـــرب متـــى حـــط ذا عـــن نعـــشه ذاك يركـــب

***

قد كان عمرك ميلا فأصبح الميل شبرا
وأصبح الشبر عقدا فاحفر لنفسك قبرا

* * *

ومُشَيِّدٍ داراً ليسكُنَ دارَه سكنَ القبورَ ودارُه لم تُسْكَنِ

* * *

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي
ولكنا إذا متنا بعثنا ونسأل بعده عن كل شيء

* * *

ولا تُرجِ فعل الصالحات إلى غدٍ لعل غداً يأتي وأنت فقيد

* * *

ستندم إن رحلت بغير زاد وتشقى إذ يناديك المنادي
فما لك ليس يعمل فيك وعظ ولا زجر كأنك من جمادِ
فتب عما جنيت وأنت حي وكن متيقظاً قبل الرقاد
أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد

* * *

نموت وننسى غير أن ذنوبنا إذا نحن متنا لا تموت ولا تنسى

* * *

يا ساهياً يا غافلاً عما يراد له حان الرحيل فما أعددت من زاد
تظن أنك تبقى سرمداً أبداً هيهات أنت غداً فيمن غدا غادي

استعدي يا نفس للموت ... واسعي لنجاة فالحازم المستعد

قد تبينت أنه ليس للحي ... خلود ولا من الموت بد

***

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا ... ندمت على التفريط في زمن البذر

***

تجهز إلى الأجداث ويحك والرمس ... جهازاً من التقوى لطول ما حبس

فإنك ما تدري إذا كنت مصبحاً ... بأحسن ما ترجو لعلك لا تمسي

***

أعيني هلا تبكيان على ذنبي ... تناثر عمري من يدي ولا أدري

***

أنت في غفلة وقلبك ساهي ... ذهب العمر والذنوب كما هي

***

أيا شابا لرب العرش عاصي ... أتدري ما جزاء ذوي المعاصي

سعير للعصاة لها زفير ... وغيظ يوم يؤخذ بالنواصي

فإن تصبر على النيران فاعصه ... وإلا كن عن العصيان قاصي

وفيم قد كسبت من الخطايا ... رهنت النفس فاجهد في الخلاص

***

ثـم انقـضت تلـك الـسنون وأهلهـا فكأنهـــا وكـــأنهم أحـــلام

***

فحتـام لا تـصحو وقـد قـرب المـدى و حتـام لا ينجـاب عـن قلبـك الـسكر
بل سوف تـصحو حين ينكشف الغطا وتـــذكر قـــولي حـــين لا ينفـــع الـــذكر

***

ومـــن أخـــر الفرصـــة عـــن وقتهـــا فلـــيكن عـــلى ثقـــة مـــن فوتهـــا

***

إذا هبـــت رياحـــك فاغتنمهـــا فعقبـــى كـــل خافقـــة ســـكون

***

وانتبـــه مـــن رقـــدة الغفـــ لـــة فـــالعمر قليـــل
واطـــرح ســـوف وحتـــى فهـــما داء دخيـــل

***

تمـــر الليـــالي والحـــوادث تنقـــضي كأضـــغاث أحـــلام ونحـــن رقـــود
وأعجـــب مـــن ذا أنهـــا كـــل ســـاعة تجـــد بنـــا ســـيراً ونحـــن قعـــود

***

كـــؤوس المـــوت دائـــرة علينـــا ومـــا للمـــرء بـــد مـــن نـــصيب
إلى كـــم تجعـــل التـــسويف دأبـــا أمـــا يكفيـــك إنـــذار المـــشيب
أمـــا يكفيـــك أنـــك كـــل حـــين تمـــر بقـــبر خـــل أو حبيـــب
كأنـــك قـــد لحقـــت بهـــم قريبـــا ولا يغنيـــك إفـــراط النحيـــب

***

مـضى عـصر الـشباب كلمـح بـرق وعـصر الـشيب بالأكـدار شـيبا
ومـا أعـددت قبـل المـوت زادا ليـوم يجعـل الولـدان شـيبا

ظن خاطئ:

أخي المسلم: يخطئ من يظن أن الموت فناء محض وعدم تام، ليس بعده حياة ولا حساب ولا حشر ولا نشر ولا جنة ولا نار. إذ لو كان الأمر كذلك لا نتفت الحكمة من الخلق والوجود، ولاستوى الناس جميعاً بعد الموت واستراحوا، فيكون المؤمن والكافر سواء، والقاتل والمقتول سواء، والظالم والمظلوم سواء، والطائع والعاصي سواء، والزاني والمصلي سواء، والفاجر والتقي سواء، وهذا مذهب الملاحدة الذين هم شر من البهائم، فلا يقول ذلك إلا من خلع رداء الحياء، و نادى على نفسه بالسفه والجنون. قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: ٧].

فإن الموت حق لا ريب فيه، ويقين لا شك فيه قال تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]؛ فمن يجادل في الموت وسكرته؟! ومن يخاصم في القبر وضمته؟! ومن يقدر على تأخير موته وتأجيل ساعته؟! ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

إخواني: إن كل مخلوق على وجه هذه الحياة يعيش فيها برزق معلوم وأجل معلوم فإذا انقضى رزقه وانقضى أجله حانت الساعة التي لا مهرب منه... ساعة الرحيل... ساعة الموت... قال تعالى: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [سبأ: ٣٠].

ماذا أعددت للموت ؟؟؟

فوائد ذكر الموت:

أخي الحبيب: وفي الإكثار من ذكر الموت فوائد منها:

١ - أنه يحث على الاستعداد للموت قبل نزوله.

٢- أن ذكر الموت يقصر الأمل في طول البقاء. وطول الأمل من أعظم أسباب الغفلة.

٣- أنه يزهد في الدنيا ويرضي بالقليل منها.

٤- أنه يرغّب في الآخرة ويدعو إلى الطاعة.

٥- أنه يهوّن على العبد مصائب الدنيا.

٦- أنه يمنع من الأشر والبطر والتوسع في لذات الدنيا.

٧- أنه يحث على التوبة واستدراك ما فات.

٨- أنه يرقق القلوب ويدمع الأعين، ويجلب باعث الدين، ويطرد باعث الهوى.

٩- أنه يدعو إلى التواضع وترك الكبر والظلم.

١٠- أنه يدعو إلى سل السخائم ومسامحة الإخوان وقبول أعذارهم.

الأسباب الباعثة على ذكر الموت:

١- زيارة القبور، قال النبي ﷺ: (زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة) [(١)].

٢- زيارة مغاسل الأموات ورؤية الموتى حين يغسلون.

٣- مشاهدة المحتضرين وهم يعانون سكرات الموت، وتلقينهم الشهادة.

٤- تشييع الجنائز والصلاة عليها وحضور دفنها.

٥- تلاوة القرآن، ولا سيما الآيات التي تذكر بالموت وسكراته كقوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩].

٦- الشيب والمرض، فإنهما من رسل ملك الموت إلى العباد.

٧- الظواهر الكونية التي يحدثها الله تعالى تذكيراً لعباده بالموت والقدوم عليه سبحانه؛ كالزلازل والبراكين، والفيضانات، والانهيارات الأرضية، والعواصف المدمرة.

٨- مطالعة أخبار الماضين من الأمم والجماعات التي أفناهم الموت وأبادهم البلى.

---

(١) أخرجه أحمد وأبوداود وصححه الألباني.

[الغرض من تأليف الكتاب]

اعلـم «أن المـوت لا يعـرف صـغيراً ولا كبـيراً..ولا غنيـاً ولا فقـيراً.. ولا جميلاً ولا قبيحاً..فليعد كل منا زاده وراحلته، فإن العمر قصير..والزاد قليل..والسفر طويل».

اعبد الله كأنك تراه واعدد نفسك في الموتى.

اجعل التقوى زادك، وانصب الآخرة أمامك، رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت، رحم الله عبدا عمل لساعة الموت، رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت، فأدهى من الموت ما وراءه.

فهل أعددت للموت عدة؟ وهل فكرت يوماً في وحشة القبور؟ وهل تأملت في أهوال الحشر والنشور؟

تمر الأيام، وتتوالى السنون السنة بعد السنة،ونودع أحبة أعزاء على قلوبنا....؟؟!! فكم في هذه الفترة من عزيز فارقناه؟

وكم من صديق شيعناه...؟؟

وكم من حبيب في قبره وضعناه...؟؟ !!

ثم نعود إلى بيوتنا فنأكل ونشرب ونفرح ونمزح...!!!

فلا عين تخشع...!!!

ولا قلب يخضع...!!!

إلى ربه يرجع ولا وجل...!!!

فما بال هذه القلوب.. قست...؟؟!!!

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] وحينما رأيت القلوب قد قست، والعيون قد جفت، والنفوس قد غفلت والمعاصي ارتكبت والمحارم انتهكت،ورأيت الناس على الدنيا تكالبوا وفي الآخرة زهدوا،وبطول الأمل قد أملوا وعن الموت قد انشغلوا...!!

رأيت أن أذكركم وأذكر نفسي بما نحن عنه غافلون....

ونحن لا محالة إليه قادمون... وله ذائقون.

فجعلت هذا الكتاب بعنوان:

«وأدهى من الموت ما وراءه فماذا يا ترى أعددنا له !!».

أخي المسلم: إن من عزم على سفر تزود لسفره ، وأعد العدة. فهل أعددت زاداً لسفر الآخرة ؟ وهل أعددت عدة للسفر؟

فخسارة من يخرج من هذه الدار صفر اليدين من الزاد والعمل الصالح فيقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩] أو يقول: ﴿لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٨] ولعله يقول: ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون ١٠]، ولتوطيد القلب على حب الآخرة علينا أن نكثر من ذكر الموت، وأهوال ما بعده فإن ذلك من أعظم الزواجر، وأقوى الأسباب للإقلاع عن الانهماك في الدنيا والإقبال على الله...

ماذا أعددت للقاء الله ؟ هل تزودت للرحيل؟..

و أترك لك الإجابة مع هذه الآية: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة٢٨١].

لا أكون مغالياً إذا قلت إن اليوم الآخر لا ينال من تفكير واهتمام كثير من المسلمين مثل ما يناله يوم من أيام الدنيا، بل ربما مرَّت فترات طويلة على البعض دون أن يخطر على بالهم ذلك اليوم العظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين، ألا ترى الناس يستعدون ويتشمرون لحر الصيف وبرد الشتاء، ويتهاونون ولا يستعدون لاتقاء حر جهنم و زمهريرها.ورغم تكرار عبارة الإيمان بالله و باليوم الآخر في القرآن نرى الكثير لا يذكرون ذلك اليوم ويرونه بعيدا، إن مجرد سماع أسماء ذلك اليوم الآخر ووقع رنينها من شأنه أن

يهز المشاعر ويوقظ القلوب الغافلة: القارعة، الحاقة، الصاعقة، الواقعة، الصاخة، الطامة الكبرى، الغاشية، الرجفة إلى آخر هذه الأسماء و الصفات..

إلى تبعات في المعاد وموقف نود إليه أننا لم نكن كنا

من ذا الذي يقرأ أو يسمع هذه الآيات ولا يتأثر ولا يصحو من غفلته..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [الحج: ٢].

فتعال يا أخي نتفكر سوياً في اليوم الآخر وما فيه من أحداث ومشاهد يشيب لها الولدان، نتفكر في النفخ في الصور والبعث و النشور، والعرض على الجبار للحساب، والسؤال عن القليل و الكثير، ونصب الميزان لمعرفة المقادير وتحديد المصير، واجتياز الصراط إلى الإسعاد بالجنة أو الإشقاء بالنار. إننا لن نستطيع أن نتناول كل هذه المشاهد بتفصيل؛ ولكننا سنذكر بعض الملامح ونأخذ العبر، كمثال ومنهج للتفكر والتدبر ويزيد من إيماننا واهتمامنا باليوم الآخر

قريبا..

جداً..

جداً جداً..

تلقى الله تلقى الله تلقى الله..

فماذا أعددت للقائه؟..

إذا لم تستعد اليوم فليس الغد ملكاً لك.. لا تيأس.. لا تقنط..

فأنا وأنت أصحاب ذنوب..

أنا وأنت نذنب ونخطئ ، ونقصر في طاعة الله ، أنا وأنت من البشر ومن بني آدم ، وفي الحديث الصحيح: (**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**)[١].

أنا وأنت لن نعيش معصومين من الذنوب، دل على ذلك هذا الحديث الصحيح: (**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم**)[٢]..

أنا وأنت من بني آدم، وأبونا آدم عليه السلام أذنب وأخطأ ولكنه تاب، ومن شابه أباه فما ظلم.

أنا وأنت من العباد الضعفاء، ورب العالمين يخبرنا عن ضعفنا، فيقول في الحديث القدسي: (**يا عبادي إنكم تخطئون في الليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم**)[٣].

أنا وأنت لن نسلم من نزغات الشيطان ووسوسته وإغراءاته ، فهذا نبي الله آدم تسلط عليه الشيطان ووسوس له .

أنا وأنت أصحاب ذنوب وسيئات فيا ترى ما هو الحل وما هو المخرج ؟ يا ترى ما هو الدواء لضعفنا وتقصيرنا ؟

إن الحل والدواء في أمور:

١) لا تقنط من رحمة الله، وأبشر بمغفرة الله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

---

(١) أخرجه ابن ماجه.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

٢) ارفع يدك إلى الغفور الغفار واعلم أنه يغفر الذنوب ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم ٣٢].

٣) ابتعد عن كل سبب يوقعك في الذنوب حتى لا يتكرر منك الذنب مرة أخرى.

٤) احزن على ذنبك وابك على خطيئتك لعل الله أن يرى دموعك الصادقة فيرحمك رحمة واسعة.

٥) اجعل ذنبك أمام عينيك واجعل حسناتك خلف ظهرك لتبقى دائما مسباقاً للخيرات ومبادراً إلى الحسنات.

٦) لا تحتقر معصية ولو كانت صغيرة ، فلعلها تكون كبيرة عند الله ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

٧) اجلس مع نفسك وحاسبها وعاتبها لعلها تتعظ وترتدع ورضي الله عن عمر لما قال: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا).

٨) كن متوازناً بين الخوف والرجاء، وليكن خوفك وأنت في الحياة أكثر من رجائك كما قال السلف ، لكي تجتهد في الطاعات وتترك الذنوب والسيئات.

٩) احذر من الإصرار على الذنوب فالإصرار على الذنب يجعله من الكبائر حتى لو كان ذلك الذنب من الصغائر ، وربنا يقول في عباده المتقين: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

١٠) اجعل ذنبك كالجبل فوق رأسك الذي تخشى أن يسقط عليك ، ولا تجعله كذباب مر على أنفك وذهب.

١١) اقرأ في حياة السلف وكيف كانوا يحذرون الذنوب.

١٢) أبشر برحمة الله ومغفرته، وعليك بدوام الاستغفار، وستجد من الله التوبة والغفران قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥] ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢] فسبحانه يغفر الكثير من الزلل ويقبل اليسير من العمل، وسبحانه ، ما أرحمه بعباده ، وما أحلمه على من عصاه وما أقربه ممن دعاه..

١٣) ليكن ذلك الذنب طريقاً ليعرفك بنفسك المقصرة وليكن درساً لك بأنك فقير إلى ربك ولا تستغني عن حفظه ورعايته وتوفيقه لك، قال تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر ١٥] فأنت ضعيف ومسكين وليس لك حول ولا قوة إلا به سبحانه وبحمده

هيا قم وعاهد ربك الآن أنك تبت الآن، لا تسوف التوبة إلى الغد فما يدريك أصلا أنك تكمل كلامي وكتابي أم لا!!

يا قارئا خطي لا تبكي على موتي... فاليوم أنا معك وغداً في التراب...

فإن عشت فإني معك وإن مت فللذكرى!!

ويا ماراً على قبري لا تعجب من أمري..

بالأمس كنت معك وغداً أنت معي

أموت ويبقى كل ما كتبته ذكرى

فيا ليت كل من قرأ خطي دعا ليا

أخي وحبيبي: فبين يديك كتاب عن أمر يتساءل عنه الكثير وهو: أين المصير بعد هذه الحياة، بدءاً من سكرات الموت ونهاية بدار الخلود، من جنة أو نار، وما بين ذلك من

فتن في القبور، ووقوف بين يدي الله يوم القدوم على الله، والعرض على الله للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين، وما فيه من أهوال و طوام وأحوال، ومراحل ومشاهد عظام مما يحار لها العقول ويشيب لهولها الرؤوس، وتنوء بحملها الجبال الراسيات فيا لها من مواقف، ويا له من مقام تخشع فيه القلوب، وتنكس فيه الرؤوس تأمل وتدبر ترى أوصاف يوم القيامة من الأوصاف التي تنزعج لها القلوب وتشتد من أجلها الكروب، وترتعد لها الفرائص وتعم المخاوف، وتحث أولي الألباب للاستعداد لذلك اليوم، وتزجرهم عن كل ما يوجب اللوم نسأل الله الثبات حتى الممات، وهي كما قيل: وأدهى من الموت ما وراء الموت.ثم ما أعددنا لذلك اليوم من أعمال صالحات؟.

ذكرت ذلك عظة وتذكيراً وتنبيهاً عبراً ودروساً، وتبصرةً فالمواعظ سياط تضرب بها القلوب فتؤثر في القلوب كتأثير السياط في البدن والناس يتفاوتون في تقبل المواعظ، والسبب عدم حضور القلب ويقظته عند سماع الموعظة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]. قال الحسن البصري: «من أحب أن يعرف ما هو فليعرض نفسه على القرآن». - كما أسلفنا - لعل ذلك يوقظ غافلاً، ويرد شارداً ويصلح معوجاً ويسلي ويواسي صالحاً، ويعين ويشد عضد وأزر من سار في طريق الهدى والرشاد بعد أن عاش في حياض الردى والغفلة والإعراض والفساد.

ولكن لمن؟ لمن ينظر إلى الكتاب بتأمل وتفكير عميق ينظر بالبصيرة لا بالبصر كيف البداية؟ وكيف النهاية؟ والعاقبة إما بسعادة أو شقاوة! فيأخذها عظة وعبرة ودروساً في هذه الحياة. والمقصود من ذلك كله هو الأخذ بالأسباب التي تخلصه من تلك الأهوال، ويبادر بالتوبة النصوح من التبعات، ويلجأ إلى الكريم الوهاب في عونه على أسباب السلامة، ويتضرع إليه في سلامته من دار الهوان، وإدخاله دار الكرامة بمنه وكرمه.

كتبته لتكون تذكيرا و عبرة وذكرى وعظة لنفسي المقصرة ولغيري، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وقول النبي ﷺ: **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)**[١]، و توجت هذا الكتاب بوجوب التوبة والعودة إلى الله والأوبة والمسارعة والمبادرة، المبادرة قبل أن يبادر بنا، ثم ختمته – نسأل الله حسن الخاتمة- ببيان ضرورة القيام بالدعامة العظيمة وهي النصيحة ففي الحديث: **(الدين النصيحة)**[٢]، وفي حديث جرير بن عبد الله قال: (بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم)[٣]. فهي سفينة النجاة كما ذكرت في الثنايا وصايا ومواعظ ورقائق ونداءات ومحاورات، ثم ضمنتها أربع رسائل: أما آن أن نعود يا شباب الأمة. أنت من يؤخر النصر عن هذه الأمة. رسالة دعوة إلى كل شاب. كيف يسترجع المسلمون عزتهم ثم ذكرت قصائد وعظية.

وقد حرصت على الاختصار والإيجاز في هذا الكتاب على حد قول الشاعر:

لكن من التطويل كلت الهمم ... فصار الاختصار فيه ملتزم

أسأل الله العون السداد والهداية والرشاد، وأن يمدنا بالعلم والعمل والورع والتقوى فهي نعم الزاد وهو ولي ذلك وله الدنيا والآخرة وإليه المعاد وهو حسبنا ونعم الوكيل. فما كان فيها من صواب فمحض فضلٍ ومنةٍ وتوفيقٍ من الله، وما كان منها من زلل فمن نفسي ومن الشيطان.

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) متفق عليه.

ويا أخي القارئ إن صادفت هذه الورقات صواباً فكن لي داعياً – ولك بمثل – وإن خطأً فكن لي عاذراً لا عاذلاً فرحم الله من رأى خللاً فسدده وخطأً فأصلحه وصواباً فأذاعه وخيراً فأشاعه

وإذ ينتهي بي المقام إلى هنا في هذه المقدمة أبدأ بالمقصود والله الموفق للسداد والهادي إلى طريق الرشاد. سائلاً الله أن يصلح مقاصدنا ويحقق غايتنا في هذه الرسالة وأن لا نكون ممن لا يتعظ ولا ينزجر ممن قال فيهم القائل:

خليلي كم من ميت قد حضرته ... ولكنني لم أنتفع بحضوري

وكم من ليالي قد أرتني عجائب ... لهن وأيام خلت وشهور

وكم من سنين قد طوتني كثيرة ... وكم من أمور قد جرت وأمور

ومن لم يزده السن ما عاش عبرة ... فذاك الذي لا يستنير بنور

* * *

وليس يزجركم ما توعظون به ... والبهم يزجرها الراعي فتنزجر

كما أسألُ الله ﷻ جَلَّت قُدرته، أن يَجعل عملي صالحاً، ولوجهِهِ خالِصاً ولِعبادِهِ نافِعاً، وأن يكتُبَ لي القَبول و أسأل الله العظيم أن يكون هذا العمل ذخيرة وقربة يوم لا ينفع مال ولا خلّة، وأن يسد الخلَّة، ويغفر الهفْوة والزّلّة، وأن يجعلنا من زمرة أهل الحديثِ والسّنة، وأن يحشرنا تحت لواء من بعث بخيرِ مِلَّة، وأن يُعلي درجاتنا ومشايخنا ووالدينا والمسلمين في غرفات الجنّة، اللهم آمين..

على كف الندى أهدي كتابي ... وأرخي في محبتكم ركابي

فإن كان الذي أهدي يسيرا ... ففيض الود أكمل في النصاب

وهذا الكتاب بين يديك أسأل الله أن ينفع به كاتبه و قارئه وناشره.

وأسألُ أخاً انتفع بهذا الكتاب: أن يدعو لِكاتبه، ولوالديه، ولمشايخه، ولجميع المسلمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه افقر الورى إلى ربِّه العَلي:

أحمد بن عبد الله السُلمي

غفر الله له ولوالديه

ولمشايخه ولجميع المسلمين

سفينة الهوى تجـــري بي.....لا نا فعي عقلي و لا تجريبي

١٤٣١/١/٣ هـ

أخي وحبيبي رعاك الله قبل الشروع والبدء في المقصود والدخول والولوج في الموضوع أدعو لك بظهر الغيب:

أسعد الله يومك ورزقك الله العمر المديد العامر بالطاعة والهمة العالية في خدمة الدين ونصرته. أخي وحبيبي في الله الحبيب الأريب النجيب الأديب: والله بالله وتالله إني أحبك في الله فامنحني العذر إن قصرت في وصلك. وإن طالت بي الأيام ولم أسمع بها صوتك. وإن بعدت خطاي اليوم عن دربك. ثق يا أروع الأحباب أن القلب في ذكرك. وأن الروح ما زالت على عهدك. أخي في الله حينما يتذكر المرء أحبابه يعجز القلب عن صيد الخواطر ويحتار في ترتيب العبارات ويتعثر اللسان في تنسيق الحروف فعندها أقول: اللهم اجمعنا بهم على منابر من نور في جنات ونهر. كما أسأله سبحانه وتعالى الذي لا تطيب الدنيا إلا بذكره، ولا الآخرة إلا بعفوه، ولا الجنة إلا برؤيته أن يثبتنا وإياك على طاعته، وأن نلقاه يوم القدوم عليه وهو راض عنا، وأن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه الكريم والشوق إلى لقائه، كما نسأله تبارك وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل موعدنا ولقاءنا مع نبينا محمد بن عبد الله ﷺ على الحوض، وأن يسقينا من حوضه شربة لا نظمأ بعدها أبداً. وأن يجزي عنا نبينا محمداً ﷺ بما هو أهله، وأن يجزيه عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، وأن يحيينا على سنته، ويتوفانا على ملته، ويحشرنا في زمرته، ونعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع، آمين آمين آمين.

وبعد هذا التمهيد والديباجة التي هي حق واجب لك علي أقول: أخي وحبيبي رعاك الله.. .ما هي القضية الكبرى؟.

[القضية الكبرى العظمى]

إن لكل إنسان قضية أساسية تشغل باله وتملك حسه في نومه ويقظته، وفي حديثه وتفكيره، وتدور حولها حركته وسكونه، وتدفعه في ذهابه وإيابه بالإضافة إلى قضايا جزئية تتفرع عنها وترجع إليها.

إن غالبية الناس مع الأسف قد جعلوا قضيتهم الكبرى هي الدنيا، ومتعها العاجلة وشؤونها، على اختلاف بينهم في النوع الذي اختاروه منها ؛ فهذا همه المال، وذاك النساء، وآخر الجاه وغيره المنصب، وسواه القصور، وسادس السيارات، وسابع الأولاد.. وهكذا.

وهذه كلها محصورة في الحياة الدنيا القصيرة الفانية ؛ فما هي القضية الأساسية الكبرى التي يجب أن تدور حولها حياة الإنسان.

إن القضية العظمى الكبرى التي يجب أن تحتل مركز الصدارة في تفكير كل إنسان عاقل وإحساسه وتكون شغله الشاغل وقطب الرحى من اهتمامه وسعيه، هي قضية وجوده وحياته، وقضية مستقبله ومصيره، وقضية شقائه وسعادته ؛ فلا يجوز أن يُقَدَّمُ عليها أي قضية مهما كان شأنها ومهما كان الدافع إليها، ومهما كان نظر الناس إليها ؛ فكل أمر دون ذلك ثانوي، وكل شيء غيره جزئي، وكل خطب سواه صغير، وكل أمر بعده حقير.

إن الإنسان إذا فقد سعادته انقلبت حياته إلى شقاء ما بعده شقاء، وبؤس هو غاية في البؤس وعلم أن ذلك أمر نهائي لا خلاص منه ولا منجاة، وأنه أبدي سرمدي لا انقضاء له ولا انقطاع، فماذا بقي له بعد ذلك، وما قيمة أي سعادة دنيوية زائلة وراء ذلك؟.

إن تلك الخسارة العظمى والمصيبة الكبرى: ﴿فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

أخي: كم شاهدنا إنساناً جد واجتهد ونال أعلى الرتب، ثم وافاه الأجل ولم ينل حظه الذي كان يؤمل من الدنيا.

وكم سمعنا عن إنسان اشترى البيت الفخم وخطب الفتاة الحسناء، ثم جاءه الموت ولم يسكن البيت الذي اشترى ولم يبن بالفتاة التي بها حلم.

وكم بلغنا عن إنسان جمع المال الكثير واشترى الأثاث الوفير واقتنى السيَّارات الفارهة، وملك البساتين الواسعة ثم حرم لذيذ المطاعم والمشرب والمنكح والملبس بسبب مرض عضال أصابه، أو عقم انتابه فنغَّص حياته وسلب سعادته.

فلماذا يجهد الإنسان نفسه كل إجهاد وينشط كل نشاط لتأمين مستقبله القريب والقصير غاية القصر، و يهمل أمر مستقبله الأبدي ومصيره السرمدي.

لماذا يتعب نحو عشرين أو ثلاثين سنة لتحقيق سعادة موهومة خلال ثلاثين أو أربعين سنة مفترضة وليست مضمونة، ولا يتعب مثل ذلك على الأقل لتحقيق السعادة الأبدية اليقينية؟.

لماذا يجِدّ كل الجِدِّ لينجو من الفقر والضيق، ولا يجِدّ مثل ذلك أضعف الإيمان لينجو من العذاب والنيران، ويخلص من الأَهوال والويلات في دار البقاء والخلود، أهو في شك من ذلك؟ إذن ؛ فليفكر في الأمر تفكيراً جدياً وليدرسه طويلاً ملياً، وليعره ما يستحق من الاهتمام حتى يصل فيه إلى رأي، ويستقر فيه فليس الأمر بالهزل بل هو الجِدّ كل الجِدِّ، وعليه يتوقف مصير الإنسان الأَبدي وشقاوته وسعادته الخالدة، فإن أهمله وألقاه وراء ظهره ندم و لات ساعة مندم، ولا يمكن عند ذاك تدارك ما فات بأي وسيلة تُعلَم. أخي:

إن الأمر جد قد مضى زمن المزاح

أخي لو كنت مريضا وأتيت طبيبا ونصحك بترك ألذ الشهوات وخوفك على تناولها الموت، أو زيادة المرض لامتنعت عنها وأنفت منها محافظة على صحتك وحياتك، أفكان الطبيب عندك أصدق من الله ؟ أم كان المرض أشد عليك من النار؟

ألست تتقي برد الشتاء وحر الصيف ؟ ترى نفسك إذا جاء فصل الشتاء كيف تبالغ وقاية نفسك وأولادك من البرد القارس... نعوذ بالله من زمهرير جهنم.وإذا جاءك الصيف كيف تهرب من حرارة الشمس المحرقة ؟ وتبحث عن ظل بارد وماء بارد يروي عطشك.. فنار جهنم أشد حرا وأبقى عذابا، قال عز وجل: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١] ومن دخلها لا يموت ولا يحيا، ولا يفتر عنه العذاب ساعة ولا يرجون فرجا ولا مخرجا، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، أم صار عذاب جهنم أحقر عندك من عقرب لا تحس بألمها إلا يوما أو أقل منه؟! والعجب أنه لو أخبرك طفل بأن في ثوبك عقربا لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبة له بالدليل والبرهان.أفكان قول الأنبياء وورثتهم العلماء أقل عندك من قول صبي مرفوع عنه القلم؟!!

ما هذه أفعال العقلاء، بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك.

وليس يزجركم ما توعظون به والبهم يزجرها الراعي فتنزجر

أخي: لو رأيت لوحة كتب عليها عبارة: «خطر ممنوع الاقتراب» هل تقترب من المكان المحذور ؟ بالطبع لا، سيكون كل شخص حريصاً على الابتعاد لكي لا يعرض حياته للخطر، لكن من كان يحذر خطر الدنيا ألا يخشى أخطار يوم القيام؟ لماذا يقترب من محارم الله ويتعد حدوده وهو يسمع آيات التحذير تهدد من يقترب من حدود الله.

يقول سبحانه: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١]، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١]. فهل آمنت بالله حق الإيمان فرجوت ثوابه وخفت عقابه وعملت أعمالا صالحة لتنجو؟ أم فيك صبر وجلد على النار؟ أم أنت ممن يكذب بيوم الدين؟

تفر من الهجير وتتقيه ... فهلا من جهنم قد فررتا

ولست تطيق أهونها عذابا ... ولو كنت الحديد بها لذبتا

أخي: ليكفك من الدنيا نعمة الإسلام، ومن الشغل الطاعة، ومن العبر الموت.

عبد الله.. من أين جئت؟ ومن الذي جاء بك؟ ولماذا جئت؟ وإلى أين تسير؟ وإلى أين المصير؟

عبد الله: لقد كنت جنينا في بطن أمك، ثم وليدا ثم رضيعا، ثم فطيما ثم طفلاً، ثم مميزاً ثم مراهقا ثم بالغا ثم أشدا حتى الأربعين، ثم كهلا ثم شيخا ثم هرما قد رددت إلى أرذل العمر، ثم موت ثم قبر ثم بعث ثم حشر ثم موقف بين يدي الله، ثم عرض على الله عز وجل ثم تطاير الصحف ثم حسا ب ثم ميزان ثم صراط، ثم حوض يذاد عنه كل بدعي ومنافق فتان، ثم جنة للمتقي أو نار للكافر الشقي.

إخواني وأحبابي:

إن كثيراً من الناس مع الأسف يقف من هذه القضية التي هي أخطر القضايا موقفاً اللامبالاة ولا يعيرها أدنى انتباه، فإذا حذره واعظ من النار أو نصحه ناصح بتقوى الله وأداء الواجبات واجتناب المنكرات، وذكره بالموت والآخرة والنار والجنة بادره بالقول: إن الله غفور رحيم. أو قال له: الآخرة مستأخرة، لا تذكرنا بالموت نريد نتمتع بشبابنا في هذه الحياة، لا تنغص علينا دنيانا الأجل منا بعيد بعيد.

أخي وحبيبي يا رعاك الله لا تقل: ذلك عني بعيد ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

كان شاب مع الصالحين ثم تركهم، بدأ يقصر في أمور دينه، وفي يوم من الأيام كان مسافراً للتنزه... وفي الطريق انقلبت السيارة ثم كان في الإنعاش ثم مات جاء الخبر المحزن إلى أهله إلى زملائه.. صلوا عليه.. حمل على القبر وضع في قبره.. فاللبنات فالتراب لن يرجع، ذرفت الدموع حزنت القلوب.

قال عبد الله بن شميط: «أيها المغتر بطول صحته أما رأيت ميتا قط من غير سقم؟ أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذا قط من غير عدة ؟ إنك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما تقدم من لذاتك. أبالصحة تغترون ؟ أم بطول العافية تمرحون ؟ أم للموت تأمنون ؟ أم على ملك الموت تجترئون ؟ ! إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروة مال ولا كثرة احتشادك».

وقبل البدء بما نحن بصدده أذكر – باختصار- خلاصة لمراحل اليوم الآخر بدءاً بالموت ثم القبر الذي هو أول منازل الآخرة، وبمشاهد القيامة الأخرى حتى يأخذ مكانه من الجنة أو النار – أعاذنا الله منها -:

الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان، وسمي باليوم الآخر لأنه آخر أيام الدنيا، أو آخر الأزمنة المحدودة.

(١) الموت:

و هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ظاهرا وباطنا. والموت هو آخر مراحل الدنيا وإقبال على الآخرة، وهو الفارق بين هذه الدار ودار القرار، وللموت سكرات يجدها كل إنسان عند الاحتضار، ومشاهد الموت عظيمة وهي تختلف باختلاف المؤمن والكافر.

(٢) القبر:

أول منازل الآخرة روى ابن ماجه عن هانيء مولى عثمان ﷺ قال: كان عثمان ﷺ إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له: تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله ﷺقال: (إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه أحد فما بعده

أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه) ويبدأ نعيم القبر أو عذابه من حين الدفن. وقد دلت الأدلة على أن المؤمن ينعم في قبره، حتى تقوم الساعة فينتقل بفضل الله ورحمته إلى النعيم الذي لا ينفد ولا ينقطع وهو نعيم الجنة. جعلنا الله تعالى من أهلها.وهذه بعض صور مما ينعم به المؤمن في قبره: - يفرش له من فراش الجنة. - ويُلبس من لباس الجنة. - ويفتح له باب إلى الجنة، لِيَأْتِيَهُ مِنْ نَسِيمِهَا وَيَشَمُّ مِنْ طِيبِهَا وَتَقَرُّ عَيْنُهُ بِمَا يَرَى فِيهَا مِنْ النعيم. - ويفسح له في قبره. - ويبشر برضوان الله وجنته. ولذلك يشتاق إلى قيام الساعة.فعن البراء بن عازب: قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ فَجَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَكَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: (اسْتَعِيذُوا بالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا ثُمَّ قَالَ: (إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنْ السَّمَاءِ، بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ الله وَرِضْوَانٍ قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ يَعْنِي بِهَا عَلَى ملأ مِنْ الْمَلائِكَةِ إلا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ

لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ الله، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلامُ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ الله ﷺ، فَيَقُولانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ الله فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَذَلِكَ قَوْلُ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآيَةُ فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي...)[١].

(سروره برؤيته مقعده من النار الذي أبدله الله عز وجل به مقعداً من الجنة)[٢].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ جِنَازَةً فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَإِذَا الإِنْسَانُ دُفِنَ فَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، جَاءَهُ مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِطْرَاقٌ فَأَقْعَدَهُ قَالَ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: صَدَقْتَ ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: هَذَا كَانَ مَنْزِلُكَ لَوْ كَفَرْتَ بِرَبِّكَ فَأَمَّا إِذْ آمَنْتَ فَهَذَا مَنْزِلُكَ، فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيُرِيدُ أَنْ يَنْهَضَ إِلَيْهِ فَيَقُولُ لَهُ: اسْكُنْ وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا أَوْ مُنَافِقًا يَقُولُ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا، فَيَقُولُ: لا دَرَيْتَ وَلا تَلَيْتَ وَلا اهْتَدَيْتَ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: هَذَا مَنْزِلُكَ لَوْ آمَنْتَ بِرَبِّكَ، فَأَمَّا إِذْ كَفَرْتَ بِهِ فَإِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أَبْدَلَكَ بِهِ هَذَا، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، ثُمَّ يَقْمَعُهُ قَمْعَةً بِالْمِطْرَاقِ يَسْمَعُهَا خَلْقُ الله كُلُّهُمْ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ)، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ الله مَا أَحَدٌ يَقُومُ عَلَيْهِ

---

(١) الحديث رواه أحمد (١٧٨٠٣) وأبو داود (٤٧٥٣) وصححه الألباني في "أحكام الجنائز" ص١٥٦.

(٢) أخرجه أحمد (١٠٥٧٧).

مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِطْرَاقٌ إلا هُبِلَ عِنْدَ ذَلِكَ - أي ذهل - فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾[1].. - ينام نومة العروس. - وينور له قبره.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالآخَرُ النَّكِيرُ فَيَقُولانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لا يُوقِظُهُ إِلا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لا أَدْرِي، فَيَقُولانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ فَيُقَالُ لِلأَرْضِ الْتَئِمِي عَلَيْهِ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلاعُهُ فَلا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ)[2].

وَإِنَّمَا شَبَّهَ نَوْمَهُ بِنَوْمَةِ الْعَرُوسِ لأَنَّهُ يَكُونُ فِي طَيِّبِ الْعَيْشِ. اهـ تحفة الأحوذي. فهذا بعض النعيم الذي ينعم به المؤمن في قبره، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهله والله أعلم.

(٣) النفخ في الصور:

والصور هو: القرن جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: الصور قرن ينفخ فيه. وصاحب الصور هو: إسرافيل عليه السلام، وعدد النفخات، نفختان:

الأولى: نفخة الفزع هي نفخة الصعق.

الثانية: نفخة البعث. ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة، وما على وجه الأرض من دابة إلا وهي تصبح يوم الجمعة مصيخة حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة.

(٤) البعث والنشور:

والمراد بالبعث: إحياء الموتى وخروجهم من قبورهم ونحوها إلى حكم يوم القيامة.

---

(١) صححه الألباني في تحقيق كتاب السنة لابن أبي عاصم (٨٦٥).

(٢) رواه الترمذي (١٠٧١). والحديث: صححه الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة" (١٣٩١).

والمراد بالنشور: البعث يوم القيامة والإحياء بعد الإماتة يقال أنشر الله الموتى فنشروا أي: أحياهم فحيوا.

(٥) الحشر:

هو حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعا إلى الموقف.

(٦) الشفاعة:

عندما يشتد البلاء بالناس في الموقف العظيم ويطول عليهم زمن وقوفهم مع ما يعانونه من الحر والأهوال والكربات، فيبحث العباد عن أصحاب المنازل العالية ليشفعوا لهم عند ربهم كي ينفس عنهم ما هم فيه من البلاء، وإليك سياق حديث الشفاعة الطويل، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ

تُشَفَّعْ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا الله، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا الله)[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: (أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ ؟ يَجْمَعُ الله النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لا يُطِيقُونَ وَلا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ... ثم ذكر الحديث إلى قوله: فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَفْتَحُ الله عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى)[2].

(٧) الحساب:

هو مقتضى العدل الإلهي ومن عدله وحكمته ألا يساوي بين البر والفاجر ولا بين المؤمن والكافر ولا بين المحسن والمسيء فإن التسوية بينهم هو منتهى السفه والظلم ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦].

ومعنى الحساب: هو توقيف الله الناس على أعمالهم خيرا كانت أو شرا قولا كانت أو فعلا تفصيلا لجميع جزئيات الأعمال ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) رواه البخاري (٧٥١٠).

(٢) رواه البخاري (٤٧١٢).

وكيفية الحساب مختلفة وأحوال متباينة: فمنه اليسير ومنه العسير ومنه التوبيخ والتبكيت ومنه الفضل والصفح و يجب على كل مسلم أن يعتقد أن الحساب بعد الموت حق، وأن الجزاء يكون بعد الحساب، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]، وقال سبحانه: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

(٨) الصراط:

الصراط. مزلة الأقدام. يوم القيامة هو يوم الأهوال والمخاوف، فما أن ينجو الناس من هول من أهوال ذلك اليوم، حتى يدركهم هول آخر، فتمتلئ القلوب خوفا وفزعاً.

ومن أشد أهوال ذلك اليوم وأشدها خطراً، المرور على الصراط، وهو جسر مضروب على متن جهنم.

أقسام المارين على الصراط: يتفاوت المارون على الصراط تفاوتا عظيما، كل حسب عمله، فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم كالطير، ومنهم يشد كشد الرجال.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **(فيمر أولكم كالبرق، قال: قلت بأبي أنت وأمي، أي شيء كمر البرق ؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر، ويرجع في طرفة عين ؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط، يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج، ومكدوس في النار)**[1].

فالثبات يوم القيامة على الصراط بالثبات في هذه الدار، وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم. وعلى قدر سيره على هذه الصراط يكون سيره على ذاك الصراط.

---

(١) رواه مسلم.

وصف الجسر: دلت الأحاديث على أن الصراط دحضٌ مزلةٌ، أي: موضع تزل فيه الأقدام ولا تستقر، على حافتيه خطاطيف وكلاليب وحَسَك أي – شوك صلب من حديد – وهو أدق من الشعر، وأحد من السيف، كما روى ذلك مسلم عن أبي سعيد ﷺ موقوفاً قال: (بلغني أن الجسر أدق من الشعرة، وأحد من السيف).

الصراط الثاني: وهو القنطرة التي بين الجنة والنار: إذا خلص المؤمنون من الصراط حبسوا على قنطـرة – جسر آخر – بين الجنة والنار يتقاصون مظالم كانت بينهم، وهؤلاء لا يرجع أحدٌ منهم إلى النار، لعلم الله أن المقاصة بينهم لا تستنفذ حسناتهم، بل تبقى لهم من الحسنات ما يدخلهم الله به الجنة، قال ﷺ: **(يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيُقَصُّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فو الذي نفس محمدٍ بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا)**[1]. فهذا الصراط خاص بتنقية المؤمنين من الذنوب المتعلقة بالعباد حتى يدخلوا الجنة وليس في قلوبهم غلٌ ولا حسدٌ لأحدٍ، كما وصف الله أهل الجنة فقال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧].

هذا هو الصراط، وهذه هي أحوال الناس عند المرور عليه، فتفكر – أخي الكريم – فيما يحل بك من الفزع بفؤادك، إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها، وقد كُلفت أن تمشي على الصراط مع ضعف حالك، واضطراب قلبك، وتزلزل قدمك، وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك من المشي على بساط الأرض، فضلا عن حدة الصراط، فكيف بك إذا وَضَعْتَ عليه إحدى رجليك فأحسست بحدته، والخلائق بين يديك يزلّون، ويعثرون، وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب، فيا له من منظر ما أفظعه، و مرتقى ما أصعبه، و مجاز ما أضيقه.

---

(١) البخاري (٥/ ٩٦رقم ٢٤٤).

(٩)الحوض:

والمراد بالحوض حوض النبي يوم القيامة و صفة الحوض - ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل -. وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء. - يأتيه هذا الماء من نهر الكوثر الذي أعطاه الله لرسوله ﷺ في الجنة -. ترد عليه أمة محمد ﷺ من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً. - طوله شهر وعرضه شهر وزواياه سواء -. ولكل نبي حوض ولكن حوض النبي ﷺ أكبرها وأعظمها وأكثرها لقوله ﷺ: **(أن لكل نبي حوضاً وإنهم ليتباهون أيهم أكثر وارده وإني لأرجو أن أكون أكثرهم وارده)**[١] ، و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن حوضي أبعد من أيلة - مدينة العقبة بالأردن- من عدن لهو أشد بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وأني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه)**. قالوا: يا رسول الله! أتعرفنا يومئذ؟ قال: **(نعم، لكم سيماء - علامة - ليست لأحد من الأمم، تردون علي غراً محجلين من أثر الوضوء)**[٢]، وفي رواية أخرى لمسلم عن أنس قال: **(ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء.وإن بعض أمة محمد ﷺ ليردون على الحوض فيمنعون فيقول ﷺ: فأقول: أي رب: أصحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)**[٣]. فهذا الحوض مختص بأتباع النبي ﷺ دون غيرهم ممن كفر به أو غيَّر سنته واتبع هواه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(ليَرِدَنَّ عليَّ ناس من أصحابي حتى إذا عرفتهم اختلجوا - اقتطعوا - دوني، فأقول أصحابي فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك)**[٤]. ومعنى (أصحابي) أي: من رآني وآمن بي، ولكنه ارتد على عقبه بعد موت النبي ﷺ كبعض مانعي الزكاة الذين قاتلهم أبو بكر رضي الله عنه .

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه مسلم.

من حكمة الله سبحانه وتعالى أن جعل الحياة الدنيا دار اجتهاد وعمل، وجعل الآخرة دار حساب وجزاء، يحاسب فيها الناس، فيجزى المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته، قال تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [إبراهيم:٥١]، ففي ذلك اليوم يقف العباد بين يدي ربهم خاضعين أذلاء، يكلمهم ربهم شفاها من غير ترجمان، فيسألهم عن الصغير والكبير، والنقير والقطمير، مع ما هم عليه من العنت والمشقة، ومعاينة أهوال ذلك اليوم العظيم، فيا له من موقف، ويا له من مقام تخشع فيه القلوب، وتنكس فيه الرؤوس، نسأل الله الثبات حتى الممات.ويبدأ الحساب بشفاعة نبينا محمد ﷺ، وذلك أن الخلق يطول بهم المقام في الموقف، وينالهم منه تعب وشدة، فيذهبون إلى الأنبياء ليشفعوا لهم عند ربهم ليقضي بين العباد، ويبدأ الحساب، فيأتون آدم ونوحا وإبراهيم وموسى وعيسى وكلهم يأبى عليهم، ويذكر لنفسه ذنباً – إلا عيسى عليه السلام - ويحيل على غيره من الأنبياء، حتى يحيل عيسى عليه السلام على نبينا ﷺ، فيأتي الناس النبي ﷺ فيقول: (**أنا لها، أنا لها**)، فيشفع ﷺ إلى ربه ليبدأ الحساب، وهذا هو المقام المحمود الذي وعده الله إياه.

وتختلف محاسبة الله لعباده تبعاً لأعمالهم في الدنيا، فقسم لا يحاسبهم الله محاسبة من توزن حسناته وسيئاته وإنما تعد أعمالهم وتحصى عليهم، ثم يُدْخلون النار، وهؤلاء هم الكفار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء:١٦٨- ١٦٩]. وقال أيضا: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن:٤١].

وقسم يدخلهم الله الجنة بغير حساب، وهم المؤمنون الموحدون الذين تميزوا عن سائر الأمة بحسن التوكل على الله جل وعلا، قال ﷺ: (**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب. هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**)[1]. ومعنى لا يسترقون أي: أنه لا يطلبون الرقية من أحد توكلا على الله سبحانه، وإن كانوا

---

(١) متفق عليه.

يرقـون أنفـسهم أو يرقـون غـيرهم، ومعنـى لا يتطـيرون أي: لا يتـشاءمون، ومعنـى لا يكتوون: لا يتداوون بالكي لتوكلهم على الله.

وقسمٌ يعرض الله عليهم ذنوبهم عرضاً ويقررهم بها ثـم يـدخلهم الجنـة، قـال ﷺ: **(يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه – ستره – فيقرره بذنوبه، تعرف ذنـب كـذا ؟ يقول: أعرف، رب أعرف مرتين، فيقول: سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليـوم، ثـم تطـوى صحيفة حسناته)**[1].

وقسم لم يتحدد مصيرهم بعد وهم أصحاب الأعراف، وهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فهؤلاء يوقفون على مرتفع بين الجنة والنار، ثم يدخلهم الله الجنة برحمة منه سبحانه، قال تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن:٤١] ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦].

وقسم غلبت سيئاتهم حسناتهم فاستحقوا العقاب وهم عصاة المؤمنين، وهؤلاء تحت مشيئة الله سبحانه، إن شاء عفا عنهم، وإن شاء عذبهم، ثم يخرج من عُـذِّب منهم بالنار بشفاعة الشافعين أو بكرم أرحم الراحمين جل وعلا، قـال تعـالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

هذا عن حساب المكلفين من الإنس والجن، أما البهائم فإنها تحاسب ويقتص لبعـضها مـن بعض كما قال ﷺ: **(لتؤدنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)**[2]. والشاة الجلحاء هي: التي لا قرون لها، والقرناء: هي ذات القرون.

وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من حقوق الله: الصلاة، وأول ما يحاسب عليه مـن حقوق العباد: الدماء، قال ﷺ: **(أول ما يحاسب به العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس**

---

(١) رواه البخاري و مسلم.

(٢) رواه مسلم.

في الدماء)[1]. والحقوق المتعلقة بالخلق من أشدِّ ما يحاسب عليه العبد بعد الشرك بالله، وذلك أن العفو عنها مرتبط بالمظلومين أنفسهم، والناس في ذلك اليوم أحرص ما يكونُ على الحسنات، لذلك أمر ﷺ بالتحلل من المظالم في الدنيا قبل أن يكون القصاص بالحسنات والسيئات، ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال: (من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم. إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)[2].

ومن كمال عدله سبحانه أيضاً أنه يقيم للحساب ميزاناً يزن به أعمال الخلق، حتى يعلم العبد نتيجة حسابه معاينة، فإن الله لا يظلم الناس شيئا، قال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٨ – ٩].

فإذا علم المسلم ما يكون في ذلك اليوم من الحساب والعقاب، وكيفية القصاص في المظالم والسيئات، كان حريّاً به أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب، كما قال عمر رضي الله عنه: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر).

أقسم بالله العظيم بأنك سترد الصراط..

ولكن كيف ستعبره ؟ وأين ستكون إقامتك الدائمة جنة أم نار ؟

(١٠) الجنة:

بناؤها: لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت والزبرجد وتربتها الزعفران، ومن صلى في اليوم اثنتي عشرة ركعة بنى له بيت في الجنة .

أبوابها: فيها ثمانية أبواب، وفيها باب اسمه الريان لا يدخله إلا الصائمون، وعرض الباب مسيرة الراكب السريع ثلاث أيام، ويأتي عليه يوم يزدحم الناس فيه.

---

(١) رواه النسائي وصححه الألباني

(٢) رواه البخاري

درجاتها: فيها مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها، ومنها تفجر أنهار الجنة ومن فوقها عرش الرحمن.

أنهارها: فيها نهر من عسل مصفى، ونهر من لبن، ونهر من خمر لذة للشاربين، ونهر من ماء، وفيها نهر الكوثر للنبي محمد ﷺ أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجزر - أي الجمال -.

أشجارها: إن فيها شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وإن أشجارها دائمة العطاء قريبة دانية مذللة.

خيامها: فيها خيمة مجوفة من اللؤلؤ عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية فيها أهل يطوف عليهم المؤمن.

أهل الجنة: أهل الجنة جرد مرد مكحلين لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم، وأول زمرة يدخلون على صورة القمر ليلة البدر لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومباخرهم من البخور .

نساء أهل الجنة: لو أن امرأة من نساء الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحاً ويرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها.

أول من يدخل الجنة: نبينا محمد ﷺ وأبو بكر الصديق، وأول ثلاثة يدخلون: الشهيد، وعفيف متعفف، وعبد أحسن عبادة الله ونصح مواليه.

نعيم آخر أهل الجنة: يقال له تمنى فعندما يتمنى يقال له: لك الذي تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا.

سادة أهل الجنة: سيدا الكهول: أبو بكر وعمر، وسيدا الشباب: الحسن والحسين، وسيدات نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم ابنة عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون.

خدم أهل الجنة: ولدان مخلدون لا تزيد أعمارهم عن تلك السن إذا رأيتهم كأنهم لؤلؤ منثور ينتشرون في قضاء حوائج السادة.

النظر إلى وجه الله تعالى: من أعظم النعيم لأهل الجنة رؤية الرب عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

[١١] النار:

يدخل الكافرون النار وأما المؤمنون وفيهم المنافقون فيتوجهون إلى الصراط.

أبوابها: لها سبعة أبواب، وإن نارنا في الدنيا جزء من سبعين جزءا من حر جهنم ...

صفات أهل النار: ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب السريع، وضرسه مثل جبل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث.

شرابهم: الماء الحار شرابهم، يصب على رؤوسهم فينفذ حتى يخلص إلى جوفه، ويمرق من قدميه ثم يعاد كما كان، ولو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم.

وطعامهم: الغسلين، وهو: ما سال من جلود أهل النار من القيح والصديد وهو ما يسيل من لحم الكافر. أهون المعذبين: أهون أهل النار عذاباً من توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه.

قعرها: لو أن حجراً ألقى في جهنم يهوى بها سبعين سنة لا يصل إلى قعرها.

وقود النار: الناس وهم: الكفرة والمشركين والحجارة هذا وقود النار وقال ابن مسعود: (هي حجارة من كبريت).

شدة حرها: هواؤها السموم وهو: الريح الحارة.

وظلها: اليحموم، وهو: قطع الدخان.

وماؤها: الحميم، وأنها تأكل كل شيء لا تُبقي ولا تذر، تحرق الجلود وتصل إلى العظام وتطلع على الأفئدة.

كلامها: إذا رأوها من بعيد يسمعون لها تغيظاً وزفيراً. وتنادي ثلاثة أصناف: الجبار العنيد، وكل من دعا مع الله إلهاً آخر، والمصورين.

كثرة أهلها: من يدخل النار أكثر ممن يدخل الجنة ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، لباسها: تفصل لهم ملابس من النار.

أنواع العذاب: إنضاج الجلود، والصهر، وهو: صب الحميم على رؤوسهم، واللفح فيكبون على وجوههم.

والسحب: سحب الكفار على وجوههم وتسويد الوجوه، وإحاطة النار بهم، واطلاعها على الأفئدة، واندلاق الأمعاء فيها، ويقيدون بالسلاسل والأغلال والمطارق، وقرن معبوداتهم وشياطينهم معهم.

ربنا اجعلنا من أهل (جنة الفردوس) وقنا عذاب النار آمين.

فتذكر تذكر آخر عهدك من الدنيا.

[وطويت الصفحات]

آخر النظرات:

تلك اللحظة التي يلقي فيها الإنسان آخر النظرات على الأبناء والبنات، والإخوة والأخوات، يلقي فيها آخر النظرات على هذه الدنيا، وتبدو على وجهه معالم السكرات وتخرج من صميم قلبه الآهات والزفرات.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

بداية الرحلة:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾.

إنها بداية الرحلة إلى الدار الآخرة.. إنها بداية عظيمة.. إذا ضعف جنانك وكثرت خطوبك، إذا عرضت عليك عند كشف الغطاء ذنوبك فتخيل نفسك طريحاً بين أهلك، وقد وقعت في الحسرة وجفتك العبرة، وثقل منك اللسان واشتدت بك الأحزان، وعلا صراخ الأهل والإخوان، ويدعى لك الأطباء، ويجمع لك الدواء فلا يزيدك ذلك إلا هما وبلاء.

ماذا تتمنى ؟

الله أكبر من ساعة تطوى فيها صحيفتك إما على الحسنات أو على السيئات.... تتمنى حسنة تزاد في الأعمال... تتمنى حسنة تزاد في الأقوال... تتمنى صلاح الأقوال والأفعال، ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]... تحس بقلب متقطع من الألم... تحس بالشعور والندم أن الأيام انتهت وأن الدنيا قد انقضت.

يصلون عليك:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن ٢٦-٢٧].

لا حول ولا قوة إلا بالله سكنت الحركات... وخمدت النبضات، وغدت الجثة هامدة لا روح فيها كأن لم تغن فيها... عبد الله.. تخيل نفسك هذه الجثة التي يصلى عليها الآن... إنها لحظة رهيبة... كيف حالك... إلى أين مآلك... ما هي أمنياتك... تصور أن المسلمين الآن يصلون عليك... عليك أنت... وحملوها على الأعناق.

وصلى المسلمون على الجنازة وحملوها على الأعناق... إن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني... وإن كانت غير ذلك قالت: يا ويلها أين تذهبون بها... إلى المقبرة هناك حيث التربة... حيث الغربة... حيث الجماجم... حيث الدود... حيث القبور... أول منازل الآخرة

بيت الغربة:

ثم ألبسوك الكفن وحملت وأخرجت من بين أحبابك وجهزت لترابك وأسلمت إلى الدود وصرت رهيناً بين اللحود وصار القبر مأواك إلى يوم القيامة ومثواك... ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

أول مراحل الآخرة:

فلا إله إلا الله من ساعة نزلت فيها أول مراحل الآخرة واستقبلت الحياة الجديدة فإما عيشة سعيدة أو عيشة نكيدة... إنها اللحظة التي يحس الإنسان فيها بالحسرة والألم على كل لحظة فرط فيها في جنب الله، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩- ١٠٠].

يناديِ فلا مجيب:

فلا إله إلا الله من دار تقارب سكانها وتفاوت عمارها، فقبر يتقلب في النعيم والرضوان العظيم... وقبر في دركات الجحيم والعذاب المقيم، ينادى ولا مجيب و يستعتب ولا مستجيب... انقطعت الأيام بما فيها وعاين الإنسان ما كان يقترفه فيها كل هذه الجموع، إنه يوم تجتمع فيه الخصوم، وينصف فيه الظالم من المظلوم، فتنشر فيه الدواوين لحكم إله الأولين والآخرين... كل هذه الجموع وكل هذه الأمم أقيمت في ذلك المشهد العظيم؛ لكي تنهال عليها الأسئلة، وتعد لها درجاتها، و دركاتها بما تجيب هناك ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر١٦-١٧].

قـم للعرض:

هناك حيث تقف بين يدي الله والشهود حاضرة والعيون إلى الله ناظرة.... هناك حيث يوقف العبد بين يدي الله جل جلاله... فينادي منادي الله.... يا فلان ابن فلان قم للعرض على الله.

فمـاذا تختار؟؟؟:

ها أنت قد علمت أن الموت مصير كل حي سوى الله، وكل منا سيصل يوماً ما إلى اليوم الأخير من حياته... صبح ليس بعده مساء... ومساء ليس يليه صبح..!!!

وتبدأ تلك السلسلة الرهيبة من الأحداث العظام عبر «الموت» بوابة الدار الآخرة ولا ينتظر المرء بعد موته إلا جنة نعيمها مقيم أو نار عذابها أليم.

فماذا تختار؟؟؟:

وإليك بيان ذلك:

يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (من اقتراب الساعة... وأن يظهر موت الفجأة) وموت الفجأة: أي الموت بلا مقدمات من مرض أو نحوه، وقد يكون نوع رحمة وقد يكون أخذة منتقم هذا والله أعلم.

وقد كان السلف الصالح يستحبون المرض قبل الموت؛ لأنه آخر ما يكفر به المؤمن من الذنوب وحتى يستعد بالتوبة والعمل الصالح ويتهيأ للقاء الله، أما إذا عظمت الخطايا فما عساها أن تكفر البلايا وإذا طغت الآثام، ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص٧٨]، وإن كان موت الفجأة يحدث نادرا فيمن سبق فقد زاد وانتشر في أيامنا بصورة عجيبة. موت كثير بلا إشعار ولا سابقة إنذار نسأل الله السلامة:

فلربما تأتي المنية بغتة فتساق من فرش إلى أكفان

يا عبد الله أجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلومة، ولا زمن معلوم، ولا مرض معلوم، ولا مكان معلوم، ولا حال معلوم وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك مستعدا له فالموت يأتي فجأة بغتة، بسكتة أو نوبة أو جلطة أو صدمة أو سرطان، أو توقف قلب أو توقف نفس، فحينئذ يحين الأجل وتقوم قيامة العبد.

لا تطمئن إلى الدنيا فلست بمخلد ولو كنت شباباً..

يقول أحد المشايخ: «كم من الفواجع والمصائب عشناها ورأيناها ثم نسيناها، كان لي أخ شقيق طلب العلم إلى أن وصل الجامعة فأصابه مرض عضال، فبترت يده اليُسرى ثم لحق بربه بعد أشهر - غفر الله له - وكنت أظن أني لا أسلو بعده بالحياة ثم نسينا !!.

وأعرف صديقا لي من قبيلتي كان في مكتمل القوة والصحة، أصابه مرض خطير مفاجئ أقعده ثم لحق بربه، وخلف أهله وأسرته وبكوه، ثم اشتغلوا بالحياةِ.

وكان لنا صديق في الجيشِ برتبته العالية، أُصيب فجأة بجلطة فصارت الدنيا في عينيه سوداء، وضاقت به الأرض بما رحبت، ولي صديق محب طالب علم له ابن بلغ السادسة

عشرة، خرج فجأة فصدم بسيارة وفارق الحياة، فوقع المُصاب في سويداء القلب... ثم سَلا أهله.

وكم رأينا وكم عرفنا وكم سمعنا من المصائب والكوارث والأحداث ولا فجأة.

ومن كلمت فيه النهى لا يسره نعيم و لا يرتاع للحدثان» اهـ.

أخي: انظر إلى هذا الليل البهيم كيف يمحوه النهار ويُذهب ظلمته، وانظر إلى الغصن الأخضر كيف ييبس ثم يتفتت ويتناثر على الأرض، وانظر إلى الزهرة الجميلة كيف تذبل ويذهب رونقها وبهاؤها، وانظر إلى الشمس عند غروبها كيف تغير لونها وزالت حرارتها، وانظر إلى القمر في آخر الشهر كيف يذهب ضوؤه، وهذا حالنا يا عبد الله: طفولة يعقبها شباب، ثم كبر وهرم ثم موت وبعث ثم حساب وجزاء، فكل إنسان في هذه الدنيا في سفر و يا ليت شعري ما يعقبه في هذا السفر أيعقبه نعيم أو سقر؟

فانظر يا عبد الله ما أنت قادم عليه ؟ وما مصيرك ؟ وماذا ينتظرك ؟

فكر ملياً في هذه الدنيا وتقلبها بأهلها واستعرض في مخيلتك من ذهب وتركها ماذا وجد؟

تركها الأغنياء والفقراء، والأمراء والوزراء، والرجال والنساء، وأنت يا عبد الله سائر على هذا الطريق ! فهل أخذت العدة ؟

أخي الشاب:

أين الأولون والآخرون؟ أين نوح شيخ المرسلين؟ أين إدريس رفيع رب العالمين؟ أين إبراهيم خليل الرحمن؟ أين موسى الكليم من بين سائر النبيين عليهم السلام؟ أين محمد خاتم النبيين ﷺ؟ أين أصحابه الأبرار؟ أين الأمم الماضية؟ أين الملوك السالفة؟ أين القرون الخالية؟ أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان؟ أين الذين قهروا الأبطال والشجعان؟ أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب؟ أين الذين تمتعوا باللذات والمشارب؟ أين الذين تاهوا على الخلائق كبراً وعتياً؟ أين الذين راحوا في الحلل بكرة وعشياً؟ أين الذين تضعضعت لهم

الأرض هيبة وعزاً هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً؟ أفناهم الله مفني الأمم وأبادهم مبيد الرمم، وأخرجهم من سعة القصور إلى ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم لم ينفعهم ما جمعوا ولا أغنى عنهم ما اكتسبوا أسلمهم وهجرهم الإخوان والأصفياء ونسيهم الأقرباء والبعداء ولو نطقوا لأنشدوا:

مقيم بالحجون رهين رمس وأهلي راحلون بكل واد

كأني لم أكن لهم حبيباً ولا كانوا الأحبة في السواد

فعرجوا بالسلام فإن أبيتم فارموا بالسلام على البعاد

أخي: لا تدري ربما فجأة يتوقف نفسك فجأة تتوقف دقات قلبك فحينئذ يحين الأجل ومن الدنيا تنتقل إلى الآخرة وترحل.

تيقن حق اليقين أن ملك الموت كما تخطاك إلى غيرك فهو في الطريق إليك. واعلم أن الحياة مهما امتدت بك وطالت فإن مصيرها إلى زوال، وما هي إلا أعوام وأيام ولحظات وتصبح وحيداً فريداً.

فكر أخي معي قليلاً إذا مضت عليك الأيام وجاءك اليوم تلو اليوم فانظر إلى آخر الأيام، إذا طويت رحلك وأذنت بالرحيل من هذه الدار أين الملذات والمشتهيات، والملهيات لم يكن شيئاً كأنك لم تنزل بذلك المكان.

نزلنا هاهنا ثم ارتحلنا كذا الدنيا نزول فارتحال

نعم مضت الأيام والسنون والأعوام، فالله أعلم بما خبأت فيها من خير ترجوه أو شر تلقى الله به.

كأن شيئاً لم يكن إذا انقضى وما مضى مما مضى فقد مضى.

لنعتبر بمضي الأزمنة والأوقات والشهور والأعوام كيف مضت وانقضت، وخلت وانقرضت وسلفت وذهبت وخلت الليالي ودرج الوقت وتصرم الشهر وانسلخ العمر.

نعى لك ظل الشباب المشيب ونادتك باسم سواك الخطوب
فكن مستعداً لداعي المنون فكل الذي هو آتٍ قريب
وقبلك داوى المريض الطبيب فعاش المريض ومات الطبيب
يخاف على نفسه من يتوب فكيف بحالة من لايتوب

***

استعدي يا نفس للموت واسعي لنجاة فالحازم المستعد
قد تبينت أنه ليس للحي خلود ولا من الموت بد

أخي تأمل هذا الحديث، وكأن المعني به أنت: (**عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك ملاقيه**) فهل عرفت عظم المصيبة وفداحة الخطب؟

أخي: هب أن ملك الموت أتاك الآن في هذه اللحظة أتاك ليقبض روحك، أكان يسرك حالك وما أنت عليه؟!!!

فتذكر عندما تفاجأ بنزع الروح وسكرات الموت ؟ عندما تنظر إلى هذه الدنيا نظرة الفراق والوداع وعيون أهلك ترمقك بحسرة ولا يستطيعون رد القضاء عنك وقلبك يتقطع حسرة وندامة على خطيئات أسرفت بها على نفسك وعلى أعمال طاعة أضعتها وفرطت فيها.

ثم بادر أهلك بشراء كفنك، ثم قلَّبك المغسِّل، ثم رفعت على النعش فوق أكتاف الرجال لتودع في قبرك، ثم وضعت في القبر وحيداً فريداً غريباً، وتقدم أحد أقاربك ليجعلك في القبر على الجنب الأيمن موجهاً إلى القبلة.وبعدها ينقطع تعلق الأحياء بك مباشرة مع آخر عقدة يحلها من كفنك ممن تولى دفنك وإنزالك في القبر، ثم يتقدم أبوك أو أخوك أو قريبك ليصف اللبنات على اللحد ويجتهد في سد الثغرات بينها بالطين رحمة بك

وبعد أن ينهال عليك التراب ويتم دفنك فإذا بك تبدأ أول مراحل الحياة البرزخية حيث تسمع صوت نعل ذويك وهم ينصرفون من عند قبرك، ثم تواجه مصيرك الذي أعددت له بأعمالك في هذه الدنيا فتتوالى عليك الكربات بدءاً بفتنة القبر وسؤال الملكين.

ستندم يا عبدالله إن فرطت وحان الرحيل وأمسيت مريضاً تقاد ومنعت من التصرف فيما جمعت ومنع عنك العواد، وكفنت بأبيض الثياب وحملت على الأعواد، وأودعت في ضيق لحد وغربة مالها نفاذ، تغدوا عليك حسرات وتروح إلى يوم التناد..

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي
ولكنا إذا متنا بعثنا ونسأل بعد ذا عن كل شي

كم تسمع من يخرج من بيته معافى ثم لا يرجع إلا إلى المقابر. تذكر حين تخرج من بيتك هل ترجع كما خرجت وإلا لا ترجع إلا محمولاً على النعش للمقبرة تذكر حينما تلبس ثوبك هل تخلعه أنت أم يخلعه غيرك.

أخي المسلم:

احذر أن تشغلك الدنيا عن الآخرة، وأن تشتري العذاب بالمغفرة، واعلم أن العمر قصير والحياة ساعة، فاغتنمها قبل أن تُحْمَل على أكتاف الرجال إلى حفرة صغيرة ضيّقة في بيت الدود في لحدك، وحدك في القبور التي تخرق الأكفان وتمزق الأبدان وتمص الدم وتأكل اللحم.

الله أكبر كم من نائم ونائمة أصبحت وجوههم بالية، وأين الحدائق والقصور؟ أين الزوجة والأولاد ؟ أين المال ؟ انتبه فالرحيل قريب والطريق مخوف والخطر عظيم والخالق بصير.

فمثل نفسك يا مغرور وقد حلَّت بك السكرات ونزل بك الأنين والغمرات، فمن قائل يقول: إنَ فلاناً قد أوصى وماله قد أحصى.

ومن قائل يقول: إن فلاناً ثقل لسانه فلا يعرف جيرانه ولا يُكلِّمُ إخوانه... وكأني أنظر إليك تسمع الخطاب ولا تقدر على ردِّ الجواب، ثمَّ تَبْكِي ابنتك وهي كالأسيرة وتتضرع وتقول: حبيبي أبي... من لِيُتْمِيَ من بعدك ؟ ومن لحاجتي ؟. وأنت والله تسمع الكلام ولا تقدر على رد الجواب وكأني بك تقول:

وأقْبَلَت الصُّغْرى تمرغُ خَدَّها ... على وَجْنَتَيَّ حيناً، وحيناً على صدري

وتخمش خدَّيْها وتبكي بِحُرقةٍ ... تُنادي: أبي إني غُلِبتُ على الصَّبر

حَبيبي أَبي مَنْ لليتامى تَركتهُم ... كأفراخِ زُغْبٍ في بَعيدٍ مِنَ الوكرِ

ونحن نقول لكم: لكم الله لكم الله لكم الله.

إن الطبيب بطبه ودوائه ... لا يستطيع دفاع موت قد أتى

ما للطبيب يموت بالداء الذي ... قد كان أبرأ مثله فيما مضى

مات المداوي والمداوى والذي ... جلب الدواء أو باعه ومن اشترى

نموت وننسى غير أن ذنوبنا ... إذا نحن متنا لا تموت ولا تنسى

فَخَيِّل لنفسِكَ يا ابن آدم إذا أُخِذْتَ مِن فراشِك إلى لوحِ مغْتَسِلَك فَغَسَّلَك الغاسلُ وأُلبِسْتَ الأكفان، وأوحش منك الأهل والجيران وبكت عليك الأصحاب والإخوان.

ألا إنما الإنسان ضيف لأهله ... يقيم قليلا عندهم ثم يرحل

تفكر في حالك عند نزول ملك الموت سكرات غمرات كربات حسرات، وتفكر في حال جسمك بعد الموت وقد تقطعت أوصالك وتفتت عظامك وبلي جسدك وأصبحت قوتاً للديدان...

وقال الآخر:

الناس في غفلاتهم ... ورحى المنية تطحن

يا عبد الله: هب أنك عشت المئة أو المئتين أو الألف أو الألفين سنة بعد ذلك، ما هو مصيرك ؟ أليس النتيجة كما قال الشاعر:

عش ما بدا لك سالماً ... في ظل شاهقة القصور
يسعى عليك فيما اشتهيت ... لدى الرواح وفي البكور
فإذا النفوس تقعقعت ... في ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقناً ... ما كنت إلا في غرور

الله أكبر ! إن للموت لسكرات وغمرات وكربات.

«الموت وما أدراك ما الموت ؟ الموت أشد من ضرب في السيوف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما لذوا بنوم ولا انتفعوا بعيش، ولو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها، لكان جديراً أن يتنغص عليه عيشه ولا يعرف سكرات الموت إلا من: عاينها وذاقها». ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

ولله در القائل:

يا واعظ الناس عمّا أنت فاعله ... يا مَن يُعَدُّ عليه العمرُ بالنَّفسِ
لا تأمنن الموت في لحظة ولا نفس ... ولو تمنَّعت بالحجاب والحرسِ
ترجو النجاة ولَم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليَبَسِ
ركوبُكَ النَعشَ يُنسيكَ الركوب على ... ما كنتَ تركبُ من بغلٍ ومن فرسِ
يوم القيامة لا مالٌ ولا ولدٌ ... وضَمَّةُ القبرِ تُنسي ليلةَ العرسِ

يقول أنس بن مالك ﷺ: (يومان وليلتان لم تسمع الخلائق بمثلها: اليومان: يوم يجيء البشير من الله ﷻ إمَّا برضاه وإما بسخطه، ويوم الموقف بين يدي الله ﷻ والليلتان:

ليلة مبيت الميت في قبره مع أهل القبور فلم يبت ليلة مثلها، وليلة صبيحتها القيامة ليس بعدها ليلة). قال الشاعر:

فارقتُ موضع مَرْقدي يوماً ففارقني السكون
القبرُ أولَ ليلةٍ بالله قل لي ما يكون

***

في قعر مظلمة غبراء موحشة نطيل في قعرها تحت الثرى اللبثا

الله أكبر ! اليوم تدخل المقابر حاملاً، وغداً تدخلها محمولاً.

الله أكبر ! اليوم تدخل المقابر وتخرج، وغداً تدخلها فلا تخرج إلى اليوم الدين.

يقول أحد المشايخ: «وقفت مرة على قبر من القبور قد أعد لدفن ميت فرأيت بين التراب المنثور خصلة من شعر امرأة. ماتت منذ زمن الله أعلم به..! فقلت في نفسي: كم يا ترى كانت هذه المرأة أو الفتاة تعتني بهذا الشعر الجميل، وتمنع عنه كل أذى وكل ما يذهب رونق جماله ونعومته !! لكن انظر كيف حاله وقد اختلط بالتراب والثرى ؟!!

عجبت ومالي لا أعجب والعجب لا ينقضي و لا يزال الناس بخير ما تعجب من العجب الغفلة من كثير من الناس والإعراض عن زيارة القبور حتى أن بعضهم تمر عليه السنون تلو السنين وهو لم يزر القبور يقول النبي ﷺ: **(كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الموت)**[1]، و يقول: **(كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها فإنها ترق القلوب وتدمع العين وتذكر الآخرة)**[2]، سبحان الله سبحان الله قست القلوب حتى و أنت بين القبور ترى وتسمع كثرة الهرج والمرج واللغط والتحدث بأمر الدنيا، بل ربما سمعت ضحكاً وغفلة ولهواً، بل ربما رأيت من يدخن ويعصي المولى بين

---

(١) رواه الحاكم.

(٢) رواه الحاكم.

القبور، وهذا إما قسوة قلب أو شماتة نسأل الله السلامة والعافية، وهذا خلاف هدي النبي ﷺ وصحابته فقد كان هديهم في تشييع الجنائز كأن على رؤوسهم الطير في سكون وسكوت وصمت، وتأمل وتذكر وحزن واتعاظ واعتبار وادكار وتفكر في حالهم ومآلهم».

قال قتادة: «بلغنا أن أبا الدرداء نظر إلى رجل يضحك في جنازة فقال: أما كان في هول الموت ما يشغلك عن الضحك» فلقد كان هول الموت يشغلهم عن كل الأشياء حتى أن الأعمش قال: «كنا نشهد الجنائز و لا ندري من نعزي لحزن الجميع» وقال سعد بن معاذ رضي الله عنه: (ما تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هو مفعول بها) وقال النخعي: «كنا إذا حضرنا جنازة أو سمعنا الميت عرف ذلك فينا أياما، لأنا قد عرفنا أنه قد نزل به أمر صيَّره إلى الجنة أو إلى النار وقال: فإنكم في جنائزكم تحدثون بأحاديث دنياكم» فانظر رحمك الله إلى هؤلاء القوم وانظر إلى حالنا اليوم نسأل الله أن يردنا إليه رداً جميلاً. أقول نعم تقبح الغفلة في هذا الموطن لأنه موطن خشوع وتفكر في الموت وما يعقبه من الحياة البرزخية ولقاء الله في الدار الآخرة وفراق الدنيا. لأن في ذلك صلاحا للقلب وحياة وتذكيرا بالآخرة ولا يليق بالمقام الضحك واللهو والمزاح عند القبر أو التحدث بأمور الدنيا يقول النبي ﷺ: (ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه)[1].

وعن هانئ مولى عثمان رضي الله عنه قال: كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له: تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا ؟ قال: إن رسول الله ﷺ قال: (إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه) وروى ابن ماجه عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس على شفير القبر فبكى وأبكى حتى بل الثرى، ثم قال: (يا إخواني لمثل هذا فأعدوا) ، وقال

---

(١) أخرجه ابن ماجه.

بعضهم: «كفتك القبور مواعظ الأمم السابقة»، وقال عمر بن ذر«لو علم أهل العافية ما تضمنته القبور من الأجساد البالية لجدوا واجتهدوا في أيامهم الخالية خوفا من يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار» وقال حسين الجعفي: «أتى رجل قبراً محفوراً فاطلع في اللحد فبكى واشتد بكاؤه، فقال: أنت والله بيتي حقا والله إن استطعت لأعمرنك».

يا من بدنياه اشتغل وغره طول الأمل

الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

لذا ينبغي للمشيّع أن يكون قريباً من القبر، فإن أعظم الناسِ تأثّراً بالجنازة من كان قريباً منها ينظر إلى حالها وحال أهلها، فإن المقصود من تشييع الجنائز ودفنها الاتعاظ بحال أهلها وقرابتها، فيقوم الإنسان على القبر وينظر إلى ذلك الميت المسجى المدلّى، وينظر إلى حاله إذا أُدخل القبر مُتفكِّراً متدبراً متأملاً متذكراً حالته إذا كان مثله، ناظراً في أهله وقرابته وأعز الناس عليه، كل يكفكف دمعه لا يغني عنه من الله شيئاً، فإن كان عزيزاً أو شريفاً أو وضيعاً نظر إليه وقد خرج من دنياه بثوبه، دون أن يزيد عليها إلا بما قدم في الدنيا من صالح العمل وطالحه. ثم ينظر إليه بعد أن يُغلق عليه قبره، وكيف ينفض أعز الناس عن يديه ترابه، ثم يخرج من قبره حسيراً كسيراً، ولو كان ابناً عزيزاً عليه أو ولداً غالياً عليه فيخرج من ذلك القبر صِفر اليدين من قريبه، وأصبح ذلك الميت كأنه لم ير على وجه الأرض من قبل ذلك، ثم إذا فرغ من ذلك كله نظر إلى حال القرابة وهم يُهيلون عليه التراب حتى إن عينك ترى الابن يهيل التراب على أمه وأبيه وصاحبته وبنيه لا يُغني عنه من الله شيئاً، ثم ينظر إليهم وقد انصرفوا عن ذلك القبر وتركوه لما قدم من صالح العمل أو طالحه، ففي كل هذه المواقف تذكرة بالله عز وجل.

ولذلك قال العلماء رحمهم الله: «إنما عظم ثواب الصلاة على الميت ودفنه من أجل هذه المواقف المذكرة بالله». وقال بعض العلماء: «إن حال الميت عند الدفن يكفي في الدلالة على

الآخرة، فلا يحتاج إلى موعظة بعد ذلك»، ولذلك صح عن النبي أنه قام على قبر يذكر أصحابه موعظة بعد دفنهم الميت، وذلك لأَنَّ دلالة الحال تغني عن دِلالة المقال.

واعلم رحمك الله أنَّ هذا هو هدي السلف الصالح، فقد كان بعضهم إذا حضر الجنازة بكى حتى يظن أنه من أهل ذلك الميت وقرابته. بل سُئل بعضهم: لِمَ تبكي، أهو قريبك ؟ فقال: «لا، إنما أبكي على مؤمن بكاه مسجده وعمله الصالح». فالمؤمن مفجوع بأخيه المؤمن، ولو لم يكن من قرابته وبنيه وفصيلته التي تؤويه.

س: هناك بعض الشباب الصالحين يصطحبون معهم بعض الغافلين لزيارة القبور وتخويفهم من الله، فما رأيكم في ذلك ؟.

ج: ليس فيه مانع، وذلك حسن، وجزاهم الله خيراً، وهو من التعاون على البر والتقوى.

من نظر إلى القبور وأحوال أهلها انكسر قلبه، ولذلك لا تجد إنسانا يحافظ على زيارة القبور مع التفكر والتأمل إذ يرى الآباء والأمهات والإخوان والأخوات والأصحاب والخلان يرى منازلهم ويتذكر أنه قريبا سيكون بينهم وأنهم جيران بعضهم لبعض قد انقطع التزاور بينهم مع الجيرة وأنه يتدانى القبران وبينهما ما بين السماء والأرض نعيما وجحيما. ما تذكر عبد هذه المنازل التي ندب النبي ﷺ إلى ذكرها و زيارتها إلا رق قلبه من خشيته تبارك وتعالى ولا وقف على شفير قبر فرآه محفورا فهيأ نفسه.

على ماذا يغلق؟ وعلى من؟ وعلى أي شيء؟ أيغلق على مطيع أم عاصي؟ أيغلق على نعيم أم جحيم ؟ما نظر عبد هذه النظرات ولا استجاشت في نفسه هذه التأملات إلا اهتز قلبه من خشية الله ومراقبته وعظمته وحيائه وإجلاله..

واحرص أن تكون أحداث وصور الزيارة باقية في مخيلتك ماثلة أمامك بعد الزيارة فإذا تكاسلت نفسك عن طاعة من الطاعات تذكرت الزيارة فذكرتك بالآخرة مما يحفزك

للطاعة وإذا همت نفسك بفعل معصية تذكرت الزيارة فذكرتك بالآخرة مما يحجزك عن المعصية. فلا تنس القبر.

في قعر مظلمة غبراء موحشة   نظل في قعرها تحت الثرى اللبثا

***

قف بالمقابر واذكر إن وقفت بها   لله درك ماذا تستر الحفر

ففيهم لك يا مغرور موعظة   وفيهم لك يا مغرور معتبر

كانوا ملوكاً تواريهم قصورهم   دهراً فوارتهم من بعدها الحُفر

سبحان الله الموت يأتي ولا يفرق بين الطفل والشاب والصبي والعجوز وحتى الجنين في بطن أمه.

ما للمقابر لا تجيب إذا رآهن الكئيب، حفر مسقفة عليهن الجنادل والكثيب، فيهن أطفال وولدان وشبان وشيب، كم من حبيب لم تكن عيني بفرقته تطيب غادرته في بعضهن مجندلا وهو الحبيب..

قال عبد الله بن عتبة رحمه الله تعالى: «زرت رجلا مريضا فلما قعدت عنده قلت له كيف تجدك؟. فأنشد:

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي   غداة أقل الحاملون جنازتي

وعجل أهلي حفر قبري وصيروا   خروجي وتعجيلي إليه كرامتي

كأنهم قط لم يعرفوا قط صورتي   غداة أتى يومي علي وليلتي»

أخي وكأني بك تقول لمن يتولى دفنك من أهل وإخوان:

ضعوا خدي على لحدي ضعوه   ومن عفر التراب فوسدوه

وشقوا عنه أثوابا رقاقا   وفي رمس البعيد فغيبوه

فلو أبصرتموه إذا تقضت   صبيحة ثالث أنكرتموه

وقـد سـالت نـواظر مقلـتيه ... عـلى وجناتـه وانفـض فـوه

ونـاداه الـبلى هـذا فـلان ... هلمـوا فـانظروا هـل تعرفـوه

حبيـبكم وجـاركم المفـدى ... تقـادم عهـده فنـسيتموه

* * *

كـأن أهلـك قـد دعـوك فلـم ... تـسمع وأنـت محـشرج الـصدر

وكـأنهم قـد قلبـوك عـلى ... ظهـر الـسرير وأنـت لا تـدري

وكـأنهم قـد زودوك بمـا ... يتـزود الهلكـى مـن العطـر

أخي الحبيب:

يـا ليـت شـعري كيـف أنـت إذا ... غـسلت بالكـافور والـسدر

أو ليـت شـعري كيـف أنـت عـلى ... نـبش الـضريح وظلمـة القـبر

يـا ليـت شـعري مـا أقـول إذا ... وضـع الكتـاب صـبيحة الحـشر

يـا سـوأتا ممـا اكتـسبت ويـا ... أسـفي عـلى مـا فـات مـن عمـري

ألا أكـون عقلـت شـأني فاسـ ... ـتقبلت مـا اسـتدبرت مـن أمـري

مر رجل على المقابر فقال:

سـاكني الأجـداث أنـتم ... مثلنـا بـالأمس كنـتم

ليـت شـعري مـا صـنعتم ... هـل ربحـتم أم خـسرتم

* * *

واذكـر المـوت تجـد راحـة ... في ادكـار المـوت تقـصير الأمـل

فإن من قصر أمله وجعل الموت أمام ناظريه عمل للآخرة، واستفاد من كل لحظة من لحظات عمره في طاعة الله، وتحسر على كل وقت أضاعه بدون عمل صالح يقربه إلى الله ﷻ زلفى وهو لما قدم فرح مسرور بالانتقال إلى الدار الآخرة. قال أبو حازم: «كل عمل

تكره الموت من أجله فاتركه ثم لا يضرك متى مت»، ثم إن هناك سؤالاً يستوجب منك التوقف والمحاسبة والاعتبار أين أنت غداً؟ وبعد غد؟ فأفق يا أخي من سبات الغفلة وتأمل واعتبر بمن رحل، وكن من الموت على وجل، تذكر أخي سكرات الموت ولحظات الفوت، ووحشة القبر وهول السؤال وطول الحساب.

تذكر الغربة الحقيقية ليست غربة بلاد و سياحة وسفر والبعد عن الأهل والزوجة والأولاد كل ذلك ليس الغربة الحقيقية، إن الغربة الحقيقية هناك في القبر، هناك تكون وحيداً فريداً لا مال ولا زوجه ولا ولد إلا عملك الصالح، فمن ينقذك هناك والله لا ينقذك إلا عملك الصالح. تأمل ما قاله علي زين العابدين بن الحسين إذ قال شعراً عن الغربة

«لَيْسَ الغَرِيبُ غَرِيبَ الشام واليَمَنِ»

ليس الغريب غريب الشام واليمن ... إن الغريب غريب اللحد والكفن

إن الغريب له حق لغربته ... على المقيمين في الأوطان والسكن

لا تنهرن غريبا حال غربته ... الدهر ينهره بالذل والمحن

سَفَري بَعيد وَزادي لَنْ يُبَلِّغَن ... وَقُوَّتي ضَعُفَتْ والموتُ يَطلُبُني

وَلي بَقايا ذُنوبٍ لَسْتُ أَعْلَمُها ... الله يَعْلَمُها في السِّرِ والعَلَنِ

مَا أَحْلَمَ اللهَ عَني حَيْثُ أَمْهَلَني ... وقَدْ تَمادَيْتُ في ذَنْبي ويَسْتُرُنِي

تَمُرُّ ساعاتُ أَيّامي بِلا نَدَمِ ... ولا بُكاءٍ ولا خَوفٍ ولا حَزَنِ

أَنَا الَّذِي أُغْلِقُ الأَبْوابَ مُجْتَهِداً ... عَلى المعاصِي وَعَيْنُ اللهِ تَنْظُرُني

يَا زَلَّةً كُتِبَتْ في غَفْلَةٍ ذَهَبَتْ يَا ... حَسْرَةً بَقِيَتْ في القَلبِ تُحْرِقُني

دَعْني أَنُوحُ عَلى نَفْسي وَأَنْدِبُها ... وَأَقْطَعُ الدَّهْرَ بِالتَّذْكِيرِ وَالحَزَنِ

دع عنك عذلي يا من كان يعذلني ... لو كنت تعلم ما بي كنت تعذرني

دعني أسح دموعا لا انقطاع لها ... فهل عسى عبرة منها تخلصني

كَأنَّني بَينَ تلك الأهلِ مُنطَرِحاً عَلى الفِراشِ وَأَيْديهِمْ تُقَلِّبُني

كأنني وحولي من ينوح ومن يبكي علي وينعاني ويندبني

وَقد أتَوا بِطَبيبٍ كَيْ يُعالِجَني وَلَمْ أرَ الطِّبَّ هذا اليومَ يَنْفَعُني

واشتد نَزْعِي وَصار المَوتُ يَجْذِبُها مِن كُلِّ عِرْقٍ بِلا رِفقٍ ولا هَوَنِ

واستَخْرَجَ الرُّوحَ مِني في تَغَرْغُرِها وصارَ رِيقي مَريراً حِينَ غَرْغَرَني

وَغَمَّضُوني وَراحَ الكُلُّ وانْصَرَفوا بَعْدَ الإِياسِ وَجَدُّوا في شِرَا الكَفَنِ

وَقامَ مَنْ كانَ أحِبَّ النّاسِ في عَجَلٍ نَحْوَ المُغَسِّلِ يَأتيني يُغَسِّلُني

وَقالَ يا قَوْمِ نَبْغِي غاسِلاً حَذِقاً حُراً أَرِيباً لَبِيباً عَارِفاً فَطِنِ

فَجاءَني رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَرَّدَني مِنَ الثِّيابِ وَأَعْرَاني وأَفْرَدَني

وَأَوْدَعوني عَلى الأَلْواحِ مُنْطَرِحاً وَصارَ فَوْقي خَرِيرُ الماءِ يَنْظِفُني

وَأَسْكَبَ الماءَ مِنْ فَوقي وَغَسَّلَني غُسْلاً ثَلاثاً وَنَادَى القَوْمَ بِالكَفَنِ

وَأَلْبَسُوني ثِياباً لا كِمامَ لها وَصارَ زَادي حَنُوطِي حينَ حَنَّطَني

وأَخْرَجوني مِنَ الدُّنيا فَوا أَسَفاً عَلى رَحِيلٍ بِلا زادٍ يُبَلِّغُني

وَحَمَّلوني على الأكْتافِ أَرْبَعَةٌ مِنَ الرِّجالِ وَخَلْفِي مَنْ يُشَيِّعُني

وَقَدَّموني إِلى المحرابِ وانصَرفوا خَلْفَ الإِمَامِ فَصَلَّى ثمَّ وَدَّعَني

صَلَّوْا عَلَيَّ صَلاةً لا رُكوعَ لها ولا سُجودَ لَعَلَّ اللهَ يَرْحَمُني

وَأَنْزَلوني إلى قَبري على مَهَلٍ وَقَدَّموا واحِداً مِنهم يُلَحِّدُني

وَكَشَّفَ الثّوْبَ عَن وَجْهي يَنْظُرني وَأَسْكَبَ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنيهِ أَغْرَقَني

فَقامَ مُحْتَرِماً بِالعَزمِ مُشْتَمِلاً وَصَفَّفَ اللَّبِنَ مِنْ فَوْقِي وفارَقَني

وقَالَ هُلُّوا عليه التُّرْبَ واغْتَنِموا حُسْنَ الثَّوابِ مِنَ الرَّحمنِ ذِي المِنَنِ

في ظُلْمَةِ القبرِ لا أُمٌّ هناك ولا أَبٌ شَفيقٌ ولا أَخٌ يُؤَنِّسُني

فَرِيدٌ.. وَحِيدُ القَبرِ، يَا أَسَفاً عَلى الفِراقِ بِلا عَمَلٍ يُزَوِّدُني
وَهالَني صُورَةٌ في العينِ إِذْ نَظَرَتْ مِنْ هَوْلِ مَطْلَعِ ما قَدْ كان أدهَشَني
مِنْ مُنكَرٍ ونكيرٍ ما أَقولُ لهم قَدْ هالَني أَمْرُهُمْ جِداً فَأَفْزَعَني
وَأَقْعَدوني وَجَدُّوا في سُؤالِهِمُ مَالِي سِوَاكَ إِلهي مَنْ يُخَلِّصُني
فَامْنُنْ عَلَيَّ بِعَفْوٍ مِنك يا أَمَلي فَإِنَّني مُوثَقٌ بِالذَّنْبِ مُرْتَهَنِ
تَقاسمَ الأهْلُ مالي بعدما انْصَرَفُوا وَصَارَ وِزْرِي عَلى ظَهْرِي فَأَثْقَلَني
واستَبْدَلَتْ زَوجَتي بَعْلاً لها بَدَلي وَحَكَّمَتْهُ فِي الأَمْوَالِ والسَّكَنِ
وَصَيَّرَتْ وَلَدي عَبْداً لِيَخْدُمَه وَصَارَ مَالي لهم حِلاً بِلا ثَمَنِ
فَلا تَغُرَّنَّكَ الدُّنْيا وَزِينَتُها وانْظُرْ إلى فِعْلِها في الأَهْلِ والوَطَنِ
وانظُرْ إِلى مَنْ حَوَى الدُّنيا بِأَجْمَعِها هَلْ رَاحَ مِنْها بِغَيْرِ الحنْطِ والكَفَنِ
خُذِ القَنَاعَةَ مِنْ دُنْيَاك وارْضَ بِها لو لم يَكُنْ لَكَ إلا رَاحَةُ البَدَنِ
يَا زَارِعَ الخَيْرِ تحصُدْ بَعْدَهُ ثَمَراً يَا زَارِعَ الشَّرِّ مَوْقُوفٌ عَلَى الوَهَنِ
يَا نَفْسُ كُفِّي عَنِ العِصْيانِ واكْتَسِبِي فِعْلاً جميلاً لَعَلَّ اللهَ يَرحَمُني
يَا نَفْسُ وَيحَكِ تُوبي واعمَلِي حَسَناً عَسى تُجازَيْنَ بَعْدَ الموتِ بِالحَسَنِ
ثُمَّ الصلاةُ على المُختارِ سَيِّدِنا مَا وَضَأ البَرْقَ في شامٍ وفي يَمَنِ
والحمدُ لله مُمْسِينَا وَمُصْبِحِنَا بالخَيْرِ والعَفْوِ والإِحْسانِ وَالمِنَنِ

حضرت الوفاة رجلا من السلف فقيل له كيف حالك؟ فقال: كيف يكون حال من يريد سفرا بعيدا من غير زاد، ويقدم على ملك عادل بغير حجة، ويسكن قبرا موحشا بغير أنيس؟!

مثل نفسك أنت هذا الرجل فماذا أعددت و بما ذا تهيأت ليوم القدوم على الله للقاء الله.

إن للطاعات حلاوة عند الممات، وللمعاصي خذلان عند الممات، تذكر إذا وضعت على النعش واحتملك الرجال على أعناقهم إن كنت صالحا فستقول: قدموني قدموني، وإن كنت غير ذلك - نسأل الله السلامة - فستقول يا ويلي أين تذهبون بي، فماذا أعددت للجواب؟

أخي: ماذا بعد القبور من الأهوال والأحوال المفزعة يوم الفزع الأكبر يوم الحسرة والطوام والأمور والدواهي العظام، من البعث والحساب والحشر والنشور يوم القيامة.

إلى تبعـــات في المعـــاد وموقـــف نـــود إليـــه أننـــا لم نكـــن كنـــا

قال القاسم بن أبي أيوب: «سمعت سعيد بن جبير يردد في هذه الآية في الصلاة بضعاً وعشرين مرة: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾».

هذه صورة ليوم القيامة: سكون يخيم على كل شيء، صمت رهيب وهدوء عجيب، ليس هناك سوى موتى وقبور، انتهى الزمان وفات الأوان، صيحة عالية رهيبة تشق الصمت يدوي صوتها في الفضاء.

توقظ الموتى تبعثر القبور..

تنشق الأرض..

يخرج منها البشر..

حفاة عراة..

عليهم غبار قبورهم..

كلهم يسرعون يلبون النداء، فاليوم هو يوم القيامة لا كلام..

ينظر الناس حولهم في ذهول..

هل هذه الأرض التي عشنا عليها ؟؟؟

الجبال دكت..

الأنهار جفت..

البحار اشتعلت، الأرض غير الأرض..

السماء غير السماء..

لا مفر من تلبية النداء..

وقعت الواقعة!!.

الكل يصمت الكل مشغول بنفسه لا يفكر إلا في مصيبته..

الآن اكتمل العدد من الإنس والجن والشياطين والوحوش..

الكل واقفون في أرض واحدة..

فجأة...

تتعلق العيون بالسماء: إنها تنشق في صوت رهيب يزيد الرعب..رعبا والفزع فزعا..

ينزل من السماء ملائكة أشكالهم رهيبة..

يقفون صفا واحدا في خشوع وذل..

يفزع الناس يسألونهم..

أفيكم ربنا...؟؟!!

ترتجف الملائكة..

سبحان ربنا..

ليس بيننا ولكنه آت..

يتوالى نزول الملائكة حتى ينزل حملة العرش، ينطلق منهم صوت التسبيح عاليا.. في صمت الخلائق.

ثم ينزل الله تبارك وتعالى في جلاله وملكه، ويضع كرسيه حيث يشاء من أرضه، الناس أبصارهم زائغة، والشمس تدنو من الرؤوس من فوقهم، لا يفصل بينهم وبينها إلا ميل واحد، ولكنها في هذا اليوم حرها مضاعف.

أنا وأنت واقفون معهم نبكي دموعنا تنهمر من الفزع والخوف..

الكل ينتظر...، ويطول الانتظار..

خمسون ألف سنة..

تقف لا تدري إلى أين تمضي إلى الجنة أو النار..

خمسون ألف سنة ولا شربة ماء..

تلتهب الأفواه والأمعاء..

الكل ينتظر..

البعض يطلب الرحمة، ولو بالذهاب إلى النار من هول الموقف..

وطول الانتظار..

لهذه الدرجة نعم..؟؟؟!!!

فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه..

يا من تريد النجاة..

فاليوم عمل لا حساب، وغداً حساب لا عمل..!!

يوم القيامة.. وما أدراك ما يوم القيامة؟ ثم ما أدراك ما يوم القيامة؟ يوم الحسرة والندامة..

ويبدأ ذلكم اليوم بالنفخ في الصور، حين ينفخ إسرافيل نفخة الفزع والصعق، فحينئذ يفزع الناس ويصعقون فيموت كل مخلوق، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]. فيمكثون أربعين، فينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، وليس في الإنسان شيء إلا بلي إلا عظم واحد هو عجب الذنب، فمنه يركب الخلق يوم القيامة، فحينئذ ينفخ في الصور النفخة الثانية، وهي: نفخة البعث والنشور فيها يحيي الله عز وجل كل الأموات، ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا

﴿مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣] ثم بعد ذلك يحشر الله عز وجل الخلق جميعا: الإنس والجن والملائكة حتى الوحوش إلى الموقف العظيم، ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٤٨]، ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣-٩٥].

واقرأ سورة التكوير بتأمل وتدبر ترى أوصاف يوم القيامة، من الأوصاف التي تنزعج لها القلوب، وتشتد من أجلها الكروب وترتعد لها الفرائص وتعم المخاوف، وتحث أولي الألباب للاستعداد لذلك اليوم، وتزجرهم عن كل ما يوجب اللوم، ولهذا قال بعض السلف: من أراد أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليتدبر سورة: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ بل ثبت هذا مرفوعا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾)[1].

وعن القاسم بن أبي بزة: (حدثني من سمع ابن عمر قرأ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ حتى بلغ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وقال: فبكى حتى خرّ، وامتنع من قراءة ما بعده). قال ابن كثير: «﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾؛ أي: أما يخاف أولئك من المبعث، والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر، في يوم عظيم الهول، كثير الفزع، جليل الخطب، من خسر فيه أدخل ناراً حامية ؟! وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي يقومون حفاة عراة غرلاً في موقف صعب حرج ضيق ضنك على المجرم، ويغشاهم من أمر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس عنه[2] ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]».

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٣٣) والحاكم (٢/ ٥١٥ و٤/ ٥٧٦) وأحمد (٢/ ٢٧ و٣٦ و١٠٠..) وغيره.

(٢) دموع القراء لمحمد الرملي (٧٦-٧٧).

اعلموا أن موعد الخلائق أجمعين يوم القيامة فأحضر قلبك وسمعك وبصرك وعقلك للأمر العظيم تذكر يا عبد الله، ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤١-٤٢] فتصور وقوع الصوت في سمعك ودعائك إلى العرض على الله مالك الملك فيطير قلبك ويشيب رأسك للنداء؛ لأنها صيحة واحدة للعرض على الرب، فبينما أنت في فزع من الصوت إذ سمعت بانشقاق الأرض، فخرجت مغبرا من غبار قبرك قائما على قدميك شاخصا ببصرك إلى السماء، ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧] فتصور تعريك ومذلتك وانفرادك بخوفك وأحزانك وهمومك وغمومك في زحمة الخلائق، ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، ثم تذكر وتصور إقبال الوحوش من البراري منكسة رؤوسها لهول يوم القيامة، فبعد توحشها وانفرادها من الخلائق ذلت ليوم النشور وانشقت السماء فيا هول صوت ذلك الإنشقاق والملائكة على حافات ما يتفطر من السماء ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦-١٨] فيا لشدة ذلك الأمر وهول يوم القيامة، فتصور وقوفك مفردا عريانا حافيا، وقد أدنيت الشمس من رؤوس الخلائق، لا ظل لأحد إلا ظل رب العالمين، فبينما أنت على تلك الحال المزعجة اشتد الكرب والوهج من حر الشمس، ثم ازدحمت الأمم وتدافعت وتضايقت واختلفت الأقدام وانقطعت الأعناق من شدة العطش والخوف العظيم، وانضاف إلى حر الشمس كثرة الأنفاس وازدحام الأجسام، والعطش تضاعف ولا نوم و لا راحة، وفاض عرقهم على الأرض حتى استنقع ثم ارتفع على الأبدان، ثم تصور مجيء جهنم تقاد، ولها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ

وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر:٢٣] فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه يقول: نفسي نفسي فتصور ذلك الموقف المهيل المفزع الذي قد ملأ القلوب رعبا وخوفا و قلقا وذعرا يا له من موقف ومنظر مزعج، وأنت لا محالة أحدهم فتوهم نفسك بكربك و قد علاك العرق والفزع والرعب الشديد، والناس معك منتظرون لفصل القضاء إلى دار السعادة أو إلى دار الشقاء، فتصور أصوات الخلائق وهم ينادون بأجمعهم منفرد كل واحد منهم بنفسه ينادي نفسي، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ ۝ وَبَنِيهِ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، فتصور نفسك وحالتك. عندما يتبرأ منك الولد والوالد، والأخ والصاحب لما في ذلك اليوم من المزعجات والقلاقل والأهوال التي ملأت القلوب من الخوف والفزع والرعب والذعر، ولولا عظم هول ذلك اليوم ما كان من المروءة والحفاظ أن تفر من أمك وأبيك ولكن لشدة عظم الخطر والكرب اضطرك إلى ذلك فلا تلام على فرارك منهم و لا لوم عليهم إذا فروا منك، ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]، وبينما أنت في تلك الحالة مملوءا رعبا، قد بلغت القلوب الحناجر من شدة الأهوال والخوف العظيم؛ إذ نصب الميزان فتصور الميزان وعظمته، وقد نصب لوزن الأعمال، وتصور الكتب المتطايرة في الأيمان والشمائل وقلبك واجف مملوء خوفاً، متوقع أين يقع كتابك في يمينك أو شمالك أو من وراء ظهرك، فيا لها من مواقف وأهوال وخطوب مجرد تصورها يبكي المؤمن حقاً، وتصور بينما أنت واقف بين الخلائق الذين لا يعلم عددهم إلا الله ﷻ، إذ نودي باسمك على رؤوس الخلائق والأشهاد من الأولين والآخرين: أين فلان بن فلان، هلم للعرض على الله ليسألك عن الخطرة

والخطوة، واللحظة واللفظة والنظرة، عن مالك وعلمك وعملك وشبابك وعمرك، فقمت أنت لا يقوم غيرك لما لزم قلبك من العلم من أنك أنت المطلوب فقمت ترتعد فرائصك وتضطرب رجلاك وجميع جوارحك وقلبك من شدة الخوف، والذهول في أشده والخفقان مرتفعا إلى الحنجرة، ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ [غافر: ١٨] وجوارحك مرتعدة بيدك صحيفة محصا فيها الدقيق والجليل لا تغادر صغيرة و لا كبيرة، فقرأتها بلسان كليل وقلب منكسر، وداخلك من الخجل والخوف والوجل والحياء من الله الذي لم يزل إليك محسنا وعليك ساترا، فبأي لسان تجيبه حين يسألك عن قبيح فعلك وعظيم جرمك، وبأي قدم تقف غدا بين يديه، وبأي طرف تنظر إليه وبأي قلب تحتمل كلامه العظيم الجليل ومساءلته وتوبيخه.

ثم تفكر في الصور إنها صبيحة العرض على الله الملك الأعلى ذي الجلال والإكرام والعظمة والكبرياء، فتسمع الصوت فيطير فؤادك ويشيب رأسك، فتخرج مغبراً حافياً عارياً، وقد رجت الأرض رجا، وبست الجبال بساً وشخصت الأبصار... ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣-١٨].

رويدك يامسكين سوف ترى غداً إذا نصب الميزان وانتشر الصحف

إخواني: والله وبالله وتالله إن ليوم القيامة يومَ العرض الأكبر، ذلكم اليوم العظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين أهوالاً عظيمة، وشدائدَ جسيمة وعجائب ودواهي وطوام، وأموراً عظاماً، يحار فيها اللبيب، ويندهش الحليم ويحتار، وتنخلع القلوب وتذيب الأكباد، وتنسي الأولاد، وتذهل الحوامل، وتشيب الولدان، وتتقطع منها الأكباد،

وتطيش لها العقول، وتبلغ القلوب الحناجر. نعم إنها فظائع وأهوال وشدائد تصم الآذان وتصك الأسنان وتفزع القلوب يوم لا تنفع فيه الندامة ولا تفلح فيه الملامة..

الأجسام عارية، والأقدام حافية، والقلوب وجلة واجفة خائفة، والعقول ذاهلة، والأبصار خاشعة، وخرج العبد المسكين وحيدا حسيراً كسيراً أسيراً، خرج مكشوفا مبهوتا حقيراً ذليلاً حافياً عارياً، لا ثوب يواريه، خرج إلى جبَّار السماوات والأرض ؛ ليسأله ويحاسبه عن الأيام التي مَضَت والأعوام التي انقضت.

تصوَّر نفسك وأنت واقف مع الخلائق الذين لا يعلم عددهم إلا الله ﷻ، إذ نوديَ باسمك على رؤوس الخلائق مع الأوَّلين والآخرين، نادى المناد على رؤوس الأشهاد أين فلان بن فلان ؟ يافلان بن فلان هلم للعرض على الله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

إنه يوم تنتهي عنده الأيام وتتبدد عنده الأوهام وتجمع فيه الخصوم وتنشر فيه الدواوين وتنصب الموازين.

ينصب الميزان لوزن أعمال العباد والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها.

وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من حقوق الله الصلاة، وأول ما يحاسب عليه من حقوق العباد الدماء، قال ﷺ: **(أول ما يحاسب به العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس في الدماء)**[1]. والحقوق المتعلقة بالخلق من أشدِّ ما يحاسب عليه العبد بعد الشرك بالله، وذلك أن العفو عنها مرتبط بالمظلومين أنفسهم، والناس في ذلك اليوم أحرص ما يكونُ على الحسنات، لذلك أمر ﷺ بالتحلل من المظالم في الدنيا قبل أن يكون القصاص بالحسنات والسيئات، ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال: **(من كانت له مظلمة لأخيه، من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم. إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)**[2].

---

(١) رواه النسائي وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري.

وفي الحديث: (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)، وفي الحديث: (يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دما فيقول: يا رب سل هذا فيم قتلني)، ويقول أبو هريرة ﷺ: (كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول له: مالي ولك وما بيني وبينك معرفة فيقول له: كنت تراني على الخطأ وعلى المنكر فلا تنهاني).

وقال الحسن رحمه الله: «إن الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول: بيني وبينك الله، فيقول: والله لا أعرفك، فيقول: أنت أخذت طينة من حائطي، وآخر يقول: أنت أخذت خيطا من ثوبي».

قال إبراهيم التيمي رحمه الله: «شيئان قطعا عني لذة الدنيا، ذكر الموت، وذكر الموقف بين يدي الله عز وجل».

فمثل نفسك إذا وثب خصماؤك وهجم عليك طالبوك وأحاطوا بك ومدوا أيديهم إليك فهذا يأخذ بيدك، وهذا بشعرك وهذا بما أمكنه مما أذن الله له أن يأخذ منه فواحد يقول: يا رب هذا ضربني، وثاني يقول: هذا شتمني، وثالث يقول: هذا اغتابني...هذا غصبني..هذا احتقرني هذا ظلمني حقي، هذا عاملني فغشني ولم ينصحني، هذا رآني مظلوما فقدر على نصري فلم ينصرني هذا علم أني جائع وكان قادرا على أن يطعمني فلم يطعمني...

وتسأل: كيف كانت معاملتك مع الناس، كيف كانت معاشرتك لهم، فبينما أنت كذلك لا تدري ما تقول ولا تدري ما تعمل، ولا أين تفر ولا كيف تتخلص وقد أبهتك الأمر وأدهشك الحال إذ سمعت نداء المنادي: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧]، فلا تسأل عن انخلاع قلبك واضطرام صدرك، وقلة أنصارك وعدم المدافعين عنك، فما شئت من ضلوع تحترق وأكباد تخترق وأحشاء تصطفق وهموم تنبعث عليك وتندفق.

نعم يا لها من مواقف وأهوال وخطوب وشدائد وكروب ومخاوف في يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار.

ومن تلك الأهوال ذلك الدمار الشامل الرهيب الذي يشده الناس، يشد أبصارهم ويملك عليهم نفوسهم، ويزلزل قلوبهم؛ فالأرض تزلزل والجبال تسير وتنسف والبحار تسجر وتفجر، والسماء تنشق وتمور، والشمس تكور وتذهب، والقمر يخسف، والنجوم ينكدر ضوؤها وينفرط عقدها.

ألا إن الخلائق أجمع لعلى موعد يحضرونه سويا، ويرونه سويا، ويسمعون ما فيه سويا، في زمان واحد ومكان واحد يقف فيه الخلائق أجمعون، ذكرهم وأنثاهم شريفهم ووضيعهم، غنيهم و فقيرهم موعد زماني ومكاني لا بد من حضوره، لا مفر لأحد منه: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [هود: ١٠٣]، في ذلك اليوم الكل مشغول بنفسه، في ذلك اليوم تتعالى الصيحات، وتتوالى الزفرات، وتصخب ألسنة الندم، وترتفع صيحات الندامة والحسرة.

يوم تتغير فيه حياة الناس، بسننها ومعالمها،ويشهدون حوادث لم يروها أو يسمعوها من قبل، ذلك اليوم يوم الدين ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار١٧-١٩].

يوم أخبر الله ﷻ عنه بأبلغ وصف وأتم بيان؛ ليكون الناس على بينة مما يحدث فيه، أكثر الله من ذكر أحداثه تعظيماً لشأنه- وتقدم ذكر الآيات في مقدمة الكتاب-.

ويكفي من أهوال القيامة وكرباتها وشدائدها وأحوالها أن الطفل الصغير الذي لم يجر عليه القلم ولم يعمل أي عمل يشيب رأسه من هول ذلك اليوم، وصدق الله: ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧].

وقـد شـاب الـصغير بغـير ذنـب   فكيـف تكـون حـال المجـرمين

* * *

يـوم القيامـة يـا لـشدة هولـه   تبـيض منـه مفـارق الولـدان

يـوم القيامـة لـو علمـت بهولـه   لفـررت مـن أهـل ومـن أوطـان

* * *

كـأني بنفـسي في القيامـة واقـف   وقـد فـاض دمعـي والفـرائص ترعـد

فيا له من هول ما أعظمه، ومن كرب ما أشده، ومن خطب ما أبشعه، وإياك أن تستبطيء هذا اليوم وأن تستبعده فما سيرك إليه ببطيء، ولا هو منك ببعيد وإن طال المدى وامتدت الغاية فكل آت قريب، وكل ما يكون سيكون قال عز من قائل: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥].

تذكر قدومك على الله، تذكر يوم لقاء الله، تذكر وقوفك بين يدي الله، تذكر يوم العرض على الله في يوم تدافعت وتزاحمت الأمم وجثت على الركب..

تذكر حينئذٍ ضعفك وشدة خوفك وانهيار أعصابك وخفقان قلبك... وقفت بين يدي الملك الحق المبين، الذي كنت تهرب منه، ويدعوك فتصد عنه.. وقفت وبيدك صحيفة، لا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها، فتقرؤها بلسان كليل وقلب كسير، قد عمك الحياء والخوف من الله.. فبأي لسان تُجيبه حين يسألك: عن عمرك وشبابك وعملك ومالك؟ وبأي قدم تقف غداً بين يديه؟ وبأي عين تنظر إليه؟، وبأي قلب تجيبه؟ ماذا تقول غداً له ؟، عندما يقول لك ﷻ: يا عبدي لماذا لم تجلني؟ لماذا لم تستح مني؟ لماذا لم تراقبني؟. عبدي استخففت بنظري إليك، ألم أُحسنُ إليكَ؟ أَلَمْ أُنعِمُ عليكَ.

فيا من ولج في بحر المعاصي وغرق في شهواته: ألا تخشى مجيء الموت بغتة فتساق من فرش إلى أكفان ؟ ألا تخشى الافتضاح عند الموت وهول المطلع ؟ ألا تخشى هيبة الوقوف

بين يدي الله. ألا تستشعر وقت ولحظة وزن الأعمال بالميزان وتطاير الصحف، يوم يقوم الأشهاد.

أخي الكريم: أين تذهب؟؟ انتبه !! عليك شهود يراقبونك في أي مكان وفي أي زمان فأين تذهب؟؟ وأنت يا أختاه انتبهي واعلمي أن هناك شهود يشهدون على أفعالك ويراقبون تحركاتك فاحذري، فأما الشاهد الأول: فهو هذه الأرض التي نمشي عليها ونأكل عليها وننام عليها، ونطيع الله عليها ومنا من يعصي الله عليها، هذه الأرض لها يوم ستتحدث فيه وتتكلم فيه بما عملت عليها- عبد الله - سوف يأتي اليوم الذي تفضحك فيه وتكشف أسرارك، ولعلك تقول ما الدليل على أن الأرض ستشهد يوم القيامة؟فأقول: يقول الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ١-٤]، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فسرها النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: (**أتدرون ما أخبارها**) قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال ﷺ: (**فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عملت كذا وكذا يوم كذا كذا، فهذه أخبارها**)[1].

نعم يا أخي الكريم: إي والله يا أخي ويا أختاه فيا ترى !! هل تذكر ذلك الشاب الذي يتجول بسيارته للذهاب إلى أماكن النساء لكي ينظر إليهن ويغمزهن هل تذكر شهادة الأرض عليه ؟ وهل تذكر ذلك الذي يسافر لتلك البلاد لكي يعصي الله عليها، ويقارف الفواحش والآثام هل تذكر أن الأرض سوف تفضحه وتخبر عن سيئاته وآثامه ؟ أخي أتذكر لما كنت في ذلك المكان الذي تيسرت لك فيه المعصية وبدأت في فعلها،نعم إن الناس لم ينتبهوا لجريمتك ولم يشهدوا عليك، ولكن الأرض التي فعلت تلك المعصية

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٥٣)، وقال: «حديث حسن، حسن بشواهده».

عليها سوف تشهد عليك، نعم إنك غافل ولكن الأرض لا تغفل، و يا ترى تلك الفتاة التي تتجول في الأسواق وتبرز جمالها ولباسها وتريد من الناس أن ينظروا لها !! يا ترى هل شعرت أن تلك الأرض سوف تخبر عنها وتكشف عن جرائمها وسيئاتها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ هل علمت تلك المرأة التي تركب مع السائق بلا محرم أن الأرض سوف تفضحها يوم العرض على الله؟وهل تذكرت تلك المرأة التي تسافر بلا محرم أن الأرض سوف تكشف أسرارها يوم الوقوف بين يدي الله تعالى ؟ وأما الشاهد الثاني: - فهم الملائكة الذين يكتبون علينا أعمالنا ويسجلون علينا سيئاتنا وحسناتنا قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

أيها الأخ الحبيب: أتذكر في تلك الليلة لما كنت أمام جهاز التلفاز وكنت تنظر إلى ما تبثه القنوات من تلك الصور العارية؟ لعلك تذكرت ذلك الموقف..هل كنت وحدك؟ إنك لو علمت أن الملائكة قد كتبوا عليك تلك المعصية لما فعلت تلك المعصية.وهناك شاب آخر قد أخذ سماعة الهاتف ليعاكس الفتيات... يا ترى !! هل علم بأن الملائكة الكاتبين قد سجلوا عليه سوء عمله؟وتلك الفتاه التي سمعت الأذان ولكنها تساهلت في أداء الصلاة حتى خرج وقتها ولم تصل تلك الصلاة ؛ لأنها انشغلت بالمكالمة الهاتفية أو لعلها كانت تشاهد الأفلام والقنوات.... إنني أجزم أن تلك الفتاة غافلة عن شهادة الملائكة وأنهم يكتبون عليها أعمالها، وأقول لأولئك المفسدين من العلمانيين والكتاب المنافقين، إن ما تقولونه وتكتبونه سترونه في كتابكم يوم القيامة، لأن الملائكة الكاتبين قد كتبوا أقوالكم وأعمالكم، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]. وبعد تلك الكتابة من الملائكة، يا ترى ماذا سيجري بعد ذلك؟ عندما تموت سيطوى كتابك، ولكنك سوف تلتقي معه عندما تخرج من قبرك، وسوف تعطى هذا الكتاب الذي كتبته عليك الملائكة في الدنيا، وسوف يأمرك الله جل

وعلا بأن تقرأه عندما تقف بين يديه، قال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤] إنها لحظة عجيبة، إنها ساعة حرجة عندما يقف العبد حافياً عارياً أمام الجبار جل جلاله، ومع العبد كتاب وهذا الكتاب هو ديوان الحسنات والسيئات، فما هو شعورك يا من كان ليله في السهر على القنوات ونهاره في النوم عن الصلوات ؟ ما حالك يا عبد الله عندما ترى سيئاتك في ذلك الكتاب ؟ ويا ليت الأمر ينتهي عند مجرد رؤيتك له بل تؤمر بقراءته.. فماذا ستقرأ وماذا ستجد ؟ ماذا ستقرأ يا شارب الدخان؟ ماذا ستقرأ يا من عق والديه؟ ماذا ستقرأ يا من أهمل تربية أبنائه؟ ماذا ستقرأ يا آكل الربا؟ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠] .. وأقول لتلك الفتاة التي غفلت عن ربها وأعرضت عن طاعة مولاها ماذا ستجدين في ذلك الكتاب الذي: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩]؟؟ أختاه ستقرئين أعمالك هناك فماذا ستقرئين؟ أما لباسك فحرام أما وقتك فضياع في الآثام. يا أختاه الأمر خطير، فمتى ستحذرين؟ أوصيك أن تحفظي هذه الآية: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾. وأما الشاهد الثالث فهي الجوارح التي هي من نعم الله علينا: اليدان والقدمان واللسان والعينان والأذنان بل وسائر الجلود... ستأتي يوم القيامة لتشهد عليك يا عبد الله وستشهد عليك يا أختاه... إنه مشهد لا مثيل له يقف العبد أمام ربه ويبدأ الحساب ثم تبدأ الجوارح لتكشف الأسرار ولتخبر بالفضائح والجرائم التي فعلتها في أيامك السابقة ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ وبعد ذلك ماذا يجري ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾. وهل يقف الحد عند ذلك؟ لا بل ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]. فيا حسرتاه... عندما تنطق اليدان وتخبر عنك أيها الإنسان وتقول يا رب: بيده اشترى المجلات الماجنة بيده حرك "ريموت" القنوات الفضائية يا رب بيده

لمس المرأة الأجنبية ورفع السماعة لمعاكسات الفتيات يا رب بيده شرب الدخان والشيشة والمخدرات بيده تعاطى الخمر والمسكرات، وتلك الفتاة، تنطق يداها، فما عساها تقول..!! يا رب بيدها لبست العباءة الضيقة وبيدها وضعت المكياج والعطور لكي تمر بها أمام الرجال إنه يوم الفضائح وتتكلم القدمان: أنا للحرام ذهبت وعن الصلاة قعدت وإلى بلاد الحرام مشيت... ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾. وإن الأمر يزداد حرجاً وشدة عندما تنطق سائر الجلود ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠] وكأني بذلك الشاب يقف متعجباً وهو يرى العين تشهد عليه بكل نظرة سيئة إنه متعجب وهو يسمع شهادة الأذنان بكل أغنية وفاحشة استمع إليها... وبعد ذلك يحصل الأمر الغريب يخاطب المرء جوارحه ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ لم يا عين تشهدين؟ !! لم يا سمع تشهد؟ !! لم يا قدم تتكلمين؟!! ولكن الجواب أعظم ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: ٢١] وينتهي ذلك المشهد العجيب... ولكن يا ترى !! ما حالك هناك ؟ وهل ستكون ممن شهدت له الجوارح بالطاعات أم ستكون ممن تفضحه جوارحه أمام الله خالق الكائنات؟ وأخيراً يا ترى هل بقي أحد يشهد علينا؟ نعم إنه الواحد الأحد رب الشهود، إنه الواحد المعبود، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] الذي يراك أينما كنت ويعلم بحالك. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥] فسبحان العليم بعباده ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] فسبحان الذي لا تخفى عليه خافيه ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥١] فسبحان من يعلم ما في الصدور.

والله إن من أكبر أسباب ضعفنا وتقصيرنا هو «الغفلة عن مراقبة الله تعالى» و إلا فلو أن العبد الذي يخلو بذنوبه، ويبتعد عن الناس لكي لا يروه، لو يعلم ذلك العبد بعلم الله به

ورؤيته له لما فعل تلك الفعلة السيئة ولكنه غفل عن الله، فتمادى في الشهوات ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ وذلك الشاب الذي يعاكس الفتيات لو تذكر وهو في حديثه مع تلك الفتاه، لو تذكر هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: ١] لترك المعاكسات والشهوات إن الواحد منا لو يعلم أن أحداً من الناس علم بذنب من ذنوبه لأصابه الخجل والحياء، ولكن أين الحياء من الله تعالى ؟ وأقول لتلك الأخت المؤمنة قبل أن تلبس ذلك اللباس المحرم لتفتن الشباب تذكري أن الجبار الذي على العرش استوى يراك ويعلم بما تفعلين، وهو عليم بذات الصدور. فإلى كل مؤمن ومؤمنة تذكروا إن من أسماء الله: العليم، البصير، الشهيد،الخبير، المحيط، السميع، وكلها توجب مراقبة الله في كل حين فيا من يسافر للعصيان تذكر نظر الواحد المنان ويا من يتمتع بالنظر الحرام، أنسيت رؤية الملك العلام ؟ ويا من يسهر على الآثام، إن الله يراك ويعلم بحالك....فأين ستذهب ؟!! وأخيراً، متى نحذر من شهادة الشهود؟..

إن الأمر خطير ويوم العرض عسير وهناك تبدو الأسرار وتنكشف الفضائح والجرائر والجرائم والمخازي... تذكر يوم العرض على الله وقد صار تاريخك مكشوفا وصحيفتك مكشوفة وجسدك مكشوف وصدق الله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

قل لي بربك ما غرك بربك الكريم حيث أغلقت الأبواب وأرخيت الستور واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور ما ذا سيكون جوابك عند كشف الأسرار وهتك الأستار وينادى على رؤوس الخلائق: إن فلانا يوم كذا هم أن يعاكس الفتاة الفلانية، وفلانا فكر وقدر أن ينام عن الجماعة فجر كذا، وفلانا سافر لبلد العهر والفجور، وفلانا كان إذا خلا بنفسه بارز الله بالعظائم، وإذا لقي الناس لقيهم أواها منيبا مخبتا، وفلانا قد ظلم أهله فأدخل عليهم الدشوش والأفلام، والمنكرات والسائق والخادمة، والمحن والفتن والشرور والإحن،

وفلانا أفطر يوما من رمضان بغير عذر لما خلى بنفسه، وفلانا يحمل رسائل مغازلات وصور مجون وعاريات، وينشرها في النت والجوال والصحف والمجلات، وفلانا سخر ولمز وهزأ بالصالحين، وفلانا رأى المنكر فجامل وداهن ولم ينكر، وفلانا رأى مظلوما قدر على نصرته فلم ينصره، وفلاناً تعلم ليقال عالم، وفلاناً قاتل ليقال شهيد، وفلاناً تصدق ليقال جواد، وينصب لكل غادر لواء يقال هذه غدرة فلان بن فلان، إلى غير ذلك من المكنونات والمخبآت، فحينئذ يساق العباد ومعهم الأشهاد فيشيب الصغير ويسكر الكبير، ويتعلق بأمه الجنين خائفا مذعورا مندهشا، وتغلي الحميم وتزفر الجحيم، وييأس الكفار، وتسعر النيران وتتغير الألوان، ويخرس اللسان وتنطق الجوارح، اللهم لا تفضحنا بذنوبنا اللهم لا تفضحنا بين العالمين، اللهم ارحمنا في ذلك الموقف واسترنا بسترك الجميل، ولا تخزنا يوم القيامة يوم الحسرة والندامة، اللهم استر عوراتنا وآمن يوم الوقوف روعاتنا، واغفر لنا ما سلف ومضى وكان من الذنوب والزلل والعصيان.

أخي تذكر يوم تشهد عليك الشهود وتفضحك الجوارح والجلود فأين يكون مهربك؟ والشهود منك والشهادة عليك... تأمل يا مسكين تعصي الله بها ومن أجلها! ثم تأتي يوم القيامة وتشهد عليك.

يا غادياً في غفلة ورائحاً	إلى متى تستحسن القبائحا
وكم إلى كم لا تخاف موقفاً	يستنطق الله به الجوارحا
يا عجبا منك وأنت مبصر	كيف تجنبت الطريق الواضحا

واليك نماذج من صور الندامة يوم القيامة:

الصورة الأولى: عند الموت، ويبدأ الندم عند اللحظات الأخيرة من عمره، عندما يستيقن بخروج روحه من جسده، وفي تلك الأثناء يتذكر ليعمل صالحا عندما يتذكر

آلاف الساعات التي لم يستغلها في طاعة الله، ويتمنى أن يرجع إلى الدنيا الأولى التي يواجهها الإنسان.

الصورة الثانية: عند عرض الأعمال: عندما يوضع كتاب الأعمال ويرى كل إنسان ما قدم وأخر، فيفاجأ صاحب المعصية بما في كتابه فإنه لم يترك كلمة قالها منذ عشرات السنين ولا فعلا قام به داخل الأبواب الموصدة وفي ظلمة الليل فيصيح نادما: ﴿مَالِ هَـٰذَا ٱلۡكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩] وقد نسي أو تناسى أنه كان عليه ملكان يسجلان عليه مثقال كل ذرة، من معصية أو خير، وتتفاعل في نفسه الحسرة فيتمنى أنه لم يسلم الكتاب ولم يعرف الحساب، بل يتمنى الموت على أن لا يرى هذا العذاب، وتمنى كذلك أن يكون ترابا تطؤه الأقدام ولا أن يعذب ذلك العذاب: ﴿يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَـٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

الصورة الثالثة: المحاسبة في يوم القيامة، فإنهم يحاسبون حسابا دقيقا لا يخطر على بال إنسان، حتى الذرة يسأل عنها ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨] وفي الحديث: **(لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم فعل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه)**.

الصورة الرابعة: شهادة الجوارح - وتقدم ذكرها -.

الصورة الخامسة : عند مجيء النار يقول ﷺ: **(يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها)** عندما يرى الإنسان النار بهذه الصورة العظيمة يجرونها أربعة آلاف وتسعمائة مليون ملك وقد تصاعدت منها الألسنة، وهو يسمع تغيظها وزفيرها وهي تصيح بصوت مرعب: هل من مزيد هل من مزيد حينها يتذكر

الإنسان لحظات المعاصي والكسل والتواني والتسويف ومخادعة الله بالتوبة، والساعات الكثيرة التي ضاعت، ولكن ما فائدة كل هذه الذكريات وهو يتقطع حسرات، وإنها لأقسى حالات الندم التي يمر بها الإنسان دون أمل لإصلاح ما قد فات، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ۝ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٣-٢٤].

تفكر إذا برزت النار فأحرقت وزفرت.

ختام اليوم الآخر

وختامة للمؤمن مسك، بالشوق إلى لقاء الله في الجنة، ولذة النظر إلى وجهه الكريم هناك، نسأل الله أن يكرمنا بذلك، فتفكر في حال المنصرف إلى جنة عرضها السماوات والأرض، جنة فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ۝ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٢-١٠٣] دار النعيم الأبدي والنعيم السرمدي، دار لا يموت سكانها ولا يخرب بنيانها، ولا يهرم شبابها، ولا يتغير حسنها وإحسانها، هواؤها النسيم وماؤها التسنيم، يتقلب أهلها في رحمة أرحم الراحمين، ويتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم كل حين ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [النساء: ١٢٢] فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فيها من أنواع المآكل والمشارب اللذيذة والمناظر العجيبة، والأزواج الحسنة والغرف والقصور المزخرفة، والأشجار المتدلية والفواكه المستغربة، والأصوات الشجية والنعم السابغة، وتزاور الإخوان وتذكرهم ما كان منهم في رياض الجنان، وأعلى من ذلك كله وأجل رضوان الله عليهم وتمتع الأرواح بقربه والعيون برؤيته، والأسماع بخطابه الذي ينسيهم كل نعيم وسرور، ولولا الثبات من الله لطاروا وماتوا من الفرح والسرور والحبور، فلله ما أحلى ذلك النعيم وما أعلى ما أنالهم الرب الكريم وما حصل لهم من كل خير وبهجة ما لا يصفه الواصفون.

إخواني إن أعلى وأغلى وأسمى وأنفس و أسنى وأتم وأكمل وألذ وأطيب وأحلى وأهنا متعة ولذة وأنس وسعادة رؤية وجه الله الكبير المتعال ذي الجلال والإكرام والجمال والكمال . روى صهيب عن النبي ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً لم تروه، فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويزحزحنا عن النار، ويدخلنا الجنة؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه، قال فوالله ما أعطاهم الله شيئاً

أحب إليهم من النظر إليه)، ثم تلا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[١]. فسر الحديث في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ بالنظر إلى وجه الله الكريم، فالحسنى هي الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم.

هذا فيه دليل على أن رؤية الله -عز وجل- أعظم نعيم، يعطاه أهل الجنة حتى إنهم ينسون ما هم فيه من النعيم، عند رؤيتهم لله، وهذا يدل على أنه لا يراه أحد في الدنيا، هذا يؤيد القول الصحيح أن الله -تعالى- لا يراه أحد في الدنيا، وأن النبي ﷺ لم ير ربه ليلة المعراج؛ لأنها نعيم وادخرت للمؤمنين في الجنة، فلا يراه أحد في الدنيا لا الرسل ولا غيرهم، ولأن البشر أو الناس أو الخلق لا يستطيعون الثبات لرؤية الله لبشريتهم الضعيفة في الدنيا.

عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: **(إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا)**[٢]، فالمحافظة على هاتين الصلاتين سبب في أعظم مغنم أهل الجنة وهي رؤية الله عز وجل ومن لا يحافظ عليها لا يرجى له رؤية الله عز وجل.

والنظر إلى وجه الله تعالى من المزيد الذي وعد الله به المحسنين في قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

وفي الحديث: نادى المنادي: **(يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا، ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار، فبينما هم كذلك إذا سطع لهم نور أشرقت له الجنة، فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) البخاري (٥٧٣)، ومسلم.

وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ويقول: يا أهل الجنة فيكون أول ما يسمعونه منه تعالى أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني فهذا يوم المزيد، فيجتمعون على كلمة واحدة أن قد رضينا فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي هذا يوم المزيد فاسألوني، فيجتمعون على كلمة واحدة أرنا وجهك ننظر إليه، فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لو لا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى أنه ليقول يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بلى، بمغفرتي بلغت منزلتك هذه)، فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة، ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجه الكريم في الدار الآخرة، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٥].

فحـــي عـــلى جنـــات عـــدن فإنهـــا　　منازلـــك الأولى وفيهـــا المخـــيم

ولكننـــا ســـبي العـــدو فهـــل تـــرى　　نعـــود إلى أوطاننـــا ونـــسلم

فأعظم النعم النظر إلى وجه الله الكريم في جنات النعيم، يقول ابن الأثير رؤية الله: «هي الغاية القصوى في نعيم الآخرة، والدرجة العليا من عطايا الله الفاخرة، بلغنا الله منه ما نرجو».

فليتـــك تحلـــو والحيـــاة مريـــرة　　وليتـــك تـــرضى والأنـــام غـــضاب

وليـــت الـــذي بيني وبينـــك عـــامر　　وبينـــي وبـــين العـــالمين خـــراب

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

* * *

ألا يا نفس ويحك ساعديني ... بسعي منك في ظلم الليالي

لعلك في القيامة أن تفوزي ... بطيب العيش في تلك العلالي

فكن لله متجها بقلب ... فعند الله جنات عوال

تمتع يا سليم القلب فيها ... بكل السؤال من قبل السؤال

ترى وجه الإله ونعم وجه ... مليء بالمحبة والجلال

* * *

و الله لولا رؤية الرحمن في الـ ... جنات ما طابت لذي العرفان

أعلى النعيم نعيم رؤية وجهه ... وخطابه في جنة الرضوان

وإذا رأوه المؤمنون نسوا الذي ... هم فيه مما نالت العينان

فإذا توارى عنهم عادوا إلى ... لذاتهم من سائر الألوان

فلهم نعيم عند رؤيته سوى ... هذا النعيم فحبذا الأمران

فأي نعيم أعظم من رؤية الرحمن ... يا حبذا هذا النعيم يا وسنان

فهلا اشتقت وتولهت وتولعت إلى رؤيته سبحانه وتعالى، التي هي والله وبالله وتالله من أعظم المنن، وأجمل العطايا وخير الهدايا مكرمة ومنحة إلهية جليلة جزيلة ما بعدها نعيم أبدا، فهنيئا ثم هنيئا لعين نعمت وقرت ولذت وهنئت وسكنت وارتاحت وأنست وأمنت برؤية الله، يقول المولى عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ليس إلى جمال صنع الله ولكن إلى جمال وجلال وكمال ذات ذي العزة والجلال، فوالله ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا الآخرة إلا بجنته ولا الجنة إلا برؤيته. سبحان الله سبحان الله نرى الله في الجنة نرى الله الذي طالما ركعنا له في الدنيا وسجدنا وصلينا وصمنا وذكرنا وراقبنا

وخشينا ورجونا وعبدنا وتبنا ورجعنا فمتى ذلك متى متى متى تقر العيون وترتاح النفوس وتطمئن القلوب وتهنأ الأرواح برؤية الله التي هي الغاية القصوى في نعيم الآخرة والدرجة العليا من عطايا الله الفاضلة .

فأين المشتاقون الموهون المولعون المتيمون المتطلعون المتشوقون إلى لذة النظر إلى وجه الله ﷻ في الجنة – اللهم ارزقنا رؤية وجهك الكريم –.

وتمام ذلك وكماله الخلد الدائم في تلك المنازل العاليات ولذلك قال المولى ﷻ: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٤] أهل الجنة ملوك آمنون، وفي أنواع السرور يمتعون، ولهم فيها كل ما يشتهون، وإلى وجه الله ناظرون، وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون لا يخافون ولا يحزنون، ومن ريب المنون آمنون، وهم فيها اشتهت أنفسهم خالدون، مفتحة لهم الأبواب، من ذا الذي يقوى على وصف نعيمهم وسرورهم، أم من ذا الذي يحسن التعبير عن عيشهم وسعادتهم؟ والله تعالى مكرمهم يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠] إن نعيم جنات دار النعيم يعظم يا أخي عن الوصف، ويقصر دونه البيان والكلام والضبط والحصر، وكيف يحصر ما لا يفنى و لا يبيد؟ وكيف يوصف ما لا يدرك كنهه ولا يعرف أوله من أخره؟ كيف يقدر قدر دار غرسها الله تبارك وتعالى بيده؟ وجعلها مقرا لأحبابه وملأها من رحمته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، ومقامها بالمقام الكريم، وأودعها جميع الخير بحذافيره وطهرها من كل عيب ونقص وآفة، ما ذا أقول في وصفها وقد طاب ثمرها واطردت أنهارها، ودام نعيمها وبهجتها وسرورها وقرت أعين أهلها فيها، وهم في غرفها وقصورها ومقاصيرها ودرجاتها ولذاتها وطربها كل ذلك فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيا، بناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم لا ييأس، يخلد لا يموت، لا تبلى ثيابهم،

ولا يفنى شبابهم، الجنة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة، ومقام أبد في دار سليمة وفاكهة وخضرة، وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية وهي كما قيل: أحق ما أنفقت فيه نفائس الأنفاس، وأولى ما شمر له العلماء الأكياس، وأحرى ما زاحم عليه عقلاء الناس، والحسرة كل الحسرة أن تضيع لحظة من الوقت الشريف والعمر النفيس في غير الاشتغال بالعمل الموصل إلى هذه الدار، وكيف يكون عاقلا من باع الجنة فيها بشهوة ساعة؟ أمن أهل الجنة الموت فطاب لهم العيش، وأمنوا الأسقام فهنيئا لهم في جوار الله طول المقام، واعجبا ثم واعجبا واعجبا ثم واعجبا كيف يأنس ويهنأ بعيش دونها؟! والله وبالله و تالله لو لم يكن بها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديرا أن يهجر الدنيا بسببها، وأن لا يؤثر عليها شيئا مهما كان، فهل تريد التمتع بالحور العين؟ هل تريد النظر إلى وجه الله الكريم؟ هل تريد النعيم السرمدي الدائم الذي لا يزول ولا يحول ؟ فالموعد إن شاء الله الجنة .

نـــدْعُوكَ رَبِّي أَنْ تَكُـــونَ دِيَارُنَـــــا   فِي جَنَّـــــةِ الْفِـــرْدَوْسِ ذَاكَ الْمُفْـــرِحُ

أخي المسلم الحبيب: أسأل الله أن أراك يوم القيامة مع الهادي الحبيب، وأراك تتبختر في حلة خضراء، تبرق من حرير، وأرى وجهك مشرقاً، وأرى في عينيك بريق. فإذا سألتك! قلت لي ضاحكاً: فزنا برؤية الله والولدان والأباريق.

فنسأل ربنا المولى وفي الأسحار نبتهل: بأن نلقاك في فرح بدار ما بها ملل. بجنات وروضات بها الأنهار والحلل، بها الأصحاب قاطبة والرسل. أدعو الله لكم من عمق الفؤاد عسى ربي يظلكم بعرش عظيم الشأن في يوم التناد. ويجمع شملنا في دار سعد مع الأحباب في كنف الجواد، ونقول: ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٦-٢٧].

واحذر أن يكون المنصرف بك إلى نار تلظى، والعياذ بالله، نار حرها شديد وقعرها بعيد، وعصيها حديد، وشرابها صديد، وحراسها أولو بطش شديد، لا تقوى عليها الحجارة ولا الحديد.

سوداء مظلمة شعثاء موحشة   دهماء محرقة لواحة البشر

[ماذا أعددنا له؟؟!!]

قال إبراهيم التَّيمي رحمه الله: «مثَّلت نفسي في الجنّة آكل مِن ثمارها وأشرب من أنهارها وأتمتع بنعيمها، فقلت لنفسي: يا نفس، أي شيء تُريدين؟ فقالت: أنْ أُرَدَّ إلى الدنيا فأزداد في العمل الذي نلت به هذا.

ثمّ مثَّلت نفسي في النّار، أُحْرَقُ بجحيمها وأُطْعَمُ من زقومها، فقلت لنفسي: أي شيء تريدين ؟ فقالت: أن أُردّ إلى الدّنيا فأَعْمل عملاً أتخلَّصُ به من هذا، فقلت لنفسي: يا نفس فأنتِ في الأمنية فاعملي».

فيا من يريد الجنة عليك..

بالتحلي بعمارة الظاهر والباطن بخشية الله تعالى ؛ محافظاً على شعائر الإسلام، وإظهار السنة ونشرها بالعمل بها والدعوة إليها ؛ دالاً على الله بعلمك وسمتك وعملك، متحلياً بالرجولة، والمساهلة، والسمت الصالح. وملاك ذلك خشية الله تعالى، ولهذا قال الإمام أحمد – رحمه الله تعالى – «أصل العلم خشية الله تعالى».

فالزم خشية الله في السر والعلن، وعليك بالتحلي بدوام المراقبة لله تعالى في السر والعلن؛ سائراً إلى ربك بين الخوف والرجاء ؛ فإنهما للمسلم كجناحي الطائر. فأقبل على الله بكليتك وليمتلئ قلبك بمحبته، ولسانك بذكره، والاستبشار والفرح والسرور بأحكامه وحِكَمِه سبحانه.

ولا تغتر بالتستر والحيلة، فإن لله عيوناً من الملكوت ناظرة إليك، وإن للطاعات عبقاً وشذاً تفوح على أهلها وإن كتموها، وللمعاصي نتناً و زفراً تفوح على أهلها وإن أخفوها، وإذا نزعت عن الغواية، فليكن لله ذلك النزع لا للناس، وكن تواباً رجَّاعاً، أواباً إلى الله، عظيم الالتجاء إليه، والاستعانة بقوته، وباهر قدرته، ومتملقاً له، خاضعاً لجلاله وكن كثير الدعاء، أخي احمد الله أن مدّ الله في عمرك ولم يقبض نفسك وأنت في غيك وإعراضك وغفلتك.

يا نفس لا بالموت تعتبري ولا ... تصغي لقول الدهر حين يقول
يا نفس بعد المصطفى أفتطمعي ... في الخلد كلا ما إليه سبيل
يا نفس كم تعصي إلهك جهرة ... والقلب مني بالذنوب عليل
يا نفس توبي من ذنوبك إنه ... من يعصِ رب العرش فهو ذليل
يا نفس كم تعصي وربك ناظر ... ويرى فعالك والدجى مسدول
كيف الطريق إلى النجاة وإنني ... بقيود ذنبي دائماً مغلول
ما حيلتي إلا البكاء وقد غدا ... حزني على قبح الذنوب يطول
من بعد موت المصطفى هل لامرئ ... الدهر يوماً للبقاء سبيل

قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «من لم يردعه القرآن والموت فلو تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع . فمتى يستعد للموت من تظلله سحائب الهوى ويسير في أودية الغفلة؟ متى يستعد للموت من لا يبالي بأمر الله في حلال أو حرام؟ متى يستعد للموت من هجر القرآن الكريم تلاوة وعملا؟ متى يستعد للموت من لا يصلي الفجر إلا بعد خروج وقتها؟».

جاء رجل إلى الحسن البصري يسأله عن سبب زهده في الدنيا فقال: «علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأن قلبي، وعلمت أن الله مطلع علي فاستحييت أن يراني في معصية، وعلمت أن الموت ينتظرني فأعددت نفسي للقاء ربي..

فاستعدن يا عبد الله من هذه اللحظة للقاء الله ولا تؤخر وتؤجل وتسوف تقول: سوف أتوب سوف أحافظ على صلاة الفجر في المسجد، سوف أبذل جهدي في صلاح أهلي بمراقبتهم لله ومحافظتهم على الصلاة ومرافقتهم للأخيار، سوف أحطم الدش وأترك السفر لبلاد العهر، سوف أترك الربا وسماع الأغاني والموسيقى والإسبال والدخان وحلق اللحى،

سوف أبر والدي وأصل رحمي وأناصح جاري وإخواني المسلمين، سوف أعاهد نفسي بالمحافظة على أوامر الله والبعد عما حرم المولى.

وتذكر كلام النبي ﷺ **(لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت أو حرقت)**، وفي لفظ: **(لا تشرك بالله شيئا وإن قتلت وحرقت)**، وفي لفظ: **(لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وحرقت بالنار ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة)**، وفي لفظ: **(ولا تترك الصلاة متعمدا فإن من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله)**، وفي لفظ: **(ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله)**، وفي لفظ: **(ولا تتركن صلاة متعمدا فمن فعل ذلك فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله أطع والديك وإن أخرجاك من مالك ومن كل شيء هو لك)**، وفي لفظ: **(ولا تعقن والديك وإن أمرك أن تخرج من أهلك ومالك)**، وفي لفظ: **(ولا تعص والديك وإن أمراك أن تخلى من أهلك ودنياك فتخل ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر)**، وفي لفظ: **(ولا تشربن خمراً فإنه رأس كل فاحشة)**؛ وفي لفظ: **(ولا تشربن خمرا فإنها مفتاح كل شر وإياك والمعصية! فإن بالمعصية حل سخط الله، وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس! وإذا أصاب الناس موت وأنت فيهم فاثبت، وأنفق على أهلك من طولك ولا ترفع عنهم عصاك أدبا وأخفهم في الله عز وجل)**».

* **الله الله في الاهتمام بالعقيدة**: وتحقيق التوحيد وتجريده لرب العالمين واحذر الشرك والخرافات والبدع وعليك بهذه الفائدة عض عليها بالنواجذ لا تهملها لا تفرط فيها لا تغفل عنها فتندم ولات ساعة مندم، فجهلها والإعراض عنها هو الخسران المبين والضلال البعيد والشقاء الأبدي، فلقنها أهلك وأولادك وغيرهم.

فائدة عقدية مهمة بعنوان: عقيدة كل مسلم:

«سؤال وجواب مع الدليل من القرآن والسنة الصحيحة»:

[١] لماذا خلقنا الله تعالى؟

ج: خلقنا لنعبده ولا نشرك به شيئا قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقال ﷺ: **(حق الله على العباد أن يعبدوه و لا يشركوا به شيئا)**[١].

[٢] كيف نعبد الله تعالى ؟

كما أمرنا الله ورسوله مع الإخلاص قال ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] وقال ﷺ: **(من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)**[٢]، أي: مردود.

[٣] هل نعبد الله خوفا وطمعا ؟

نعم، نعبده خوفا وطمعا قال ﷻ: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٥٦] « أي: خوفا من ناره وطمعا في جنته»، وقال ﷺ: **(أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار)**[٣].

[٤] ما هو الإحسان في العبادة ؟

مراقبة الله وحده الذي يرانا قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١، الشعراء: ٢١٨] وقال ﷺ: **(الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)**[٤].

[٥] لماذا أرسل الله الرسل ؟

للدعوة إلى عبادته ونفي الشرك عنه قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال ﷺ: **(الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد)**[٥]، أي كل الرسل دعوا إلى التوحيد.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه مسلم.

[٦] ما هو توحيد الإله ؟

إفراده بالعبادة كالدعاء والنذر والحكم قال ﷻ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد : ١٩]، أي لا معبود بحق إلا الله، وقال ﷺ : (**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**)(١).

[٧] ما معنى لا إله إلا الله؟

لا معبود بحق إلا الله قال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [لقمان : ٣٠] وقال ﷺ: (**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه**)(٢).

[٨] ما معنى التوحيد في صفات الله ؟

إثبات ما وصف الله به نفسه أو رسوله ﷺ قال ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى : ١١]، وقال ﷺ: (**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا نزولا يليق بجلاله**) (٣).

[٩] ما هي فائدة التوحيد للمسلم ؟

الهداية في الدنيا والأمن في الآخرة قال ﷻ : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام : ٨٢]، وقال ﷺ: (**حق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا**)(٤).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) متفق عليه.

[١٠] أين الله؟

ج: الله على السماء فوق العرش قال ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، «أي: علا وارتفع،كما جاء في البخاري»، وقال ﷺ: (**إن الله كتب كتابا إن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش**)[١].

[١١] هل الله معنا بذاته أم بعلمه؟

الله معنا بعلمه يسمعنا ويرانا قال ﷻ: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] «أي: بحفظي ونصري وتأييدي»، وقال ﷺ: (**إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم**)، أي: بعلمه يسمعكم ويراكم[٢].

[١٢] ما هو أعظم الذنوب؟

ج: أعظم الذنوب الشرك بالله قال ﷻ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وسئل أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: (**أن تجعل لله ندا وهو خلقك**)[٣].

[١٣] ما هو الشرك الأكبر؟

ج: هو صرف العبادة لغير الله كالدعاء قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٠]، وقال ﷺ: (**أكبر الكبائر الإشراك بالله**)[٤].

[١٤] ما هو ضرر الشرك الأكبر؟

ج: الشرك الأكبر يسبب الخلود في النار قال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال ﷺ: (**من مات يشرك بالله شيئا دخل النار**)[٥].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه مسلم.

[١٥] هل ينفع العمل مع الشرك؟

ج: لا ينفع العمل مع الشرك قال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]؛ (من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)[١]، حديث قدسي.

[١٦] هل الشرك موجود في المسلمين؟

ج: نعم: موجود بكثرة مع الأسف قال ﷻ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، وقال ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى يعبدوا الأوثان)**[٢].

[١٧] ما حكم دعاء غير الله كالأولياء ؟

ج: دعاؤهم شرك يدخل النار قال ﷻ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ «أي: في النار» [الشعراء ٢١٣]، وقال ﷺ: **(من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار)**[٣].

[١٨] هل الدعاء عبادة لله تعالى ؟

ج: نعم: الدعاء عبادة لله تعالى قال ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال ﷺ: **(الدعاء هو العبادة)**[٤].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح رواه الترمذي.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه الترمذي.

[١٩] هل يسمع الأموات الدعاء؟

ج: الأموات لا يسمعون الدعاء قال ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، و قال ﷺ: (**إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام**)[١].

[٢٠] هل نستغيث بالأموات أو الغائبين؟

ج: لا نستغيث بهم، بل نستغيث بالله قال ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]، وكان ﷺ إذا أصابه هم أو غم قال: (**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**).

[٢١] هل يجوز الاستعانة بغير الله؟

ج: لا تجوز الاستعانة إلا بالله قال ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقال ﷺ: (**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**)[٢].

[٢٢] هل نستعين بالأحياء الحاضرين؟

ج: نعم: فيما يقدرون عليه قال ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]. و قال ﷺ: (**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**)[٣].

[٢٣] هل يجوز النذر لغير الله؟

لا يجوز النذر إلا لله قال ﷻ: ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ﴾ [آل عمران ٣٥]، وقال ﷺ: (**من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**)[٤].

---

(١) رواه النسائي.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

[٢٤] هل يجوز الذبح لغير الله؟

لا يجوز لأنه من الشرك الأكبر قال ﷻ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] «أي: الذبح لله فقط»، وقال ﷺ: (لعن الله من ذبح لغير الله)(١).

[٢٥] هل يجوز الطواف بالقبور؟

ج: لا يجوز الطواف إلا بالكعبة قال ﷻ: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، «أي: الكعبة»، وقال ﷺ: (من طاف بالبيت العتيق سبعا وصلى ركعتين كان كعتق رقبة)(٢).

[٢٦] هل تجوز الصلاة والقبر أمامك ؟

ج: لا تجوز الصلاة إلى القبر قال ﷻ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة ١٤٤] «أي: استقبل الكعبة»، وقال ﷺ: (لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها)(٣).

[٢٧] ما حكم العمل بالسحر؟

ج: العمل بالسحر كفر قال ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال ﷺ: (اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله والسحر)(٤).

[٢٨] هل نصدق العراف والكاهن؟

ج: لا نصدقهما في إخبارهم عن الغيب قال ﷻ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال ﷺ: (من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد)(٥) .

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن ماجه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه أحمد.

[٢٩] هل يعلم الغيب أحد؟

ج: لا يعلم الغيب أحد إلا الله و قال ﷺ: قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] (لا يعلم الغيب إلا الله)[١].

[٣٠] بما ذا يجب أن يحكم المسلمون ؟

ج: يجب أن يحكموا بالقرآن والسنة قال ﷻ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقال ﷺ: (الله هو الحكم وإليه الحكم)[٢].

[٣١] ما حكم القوانين المخالفة للإسلام؟

ج: العمل بها كفر أكبر إذا أجازها قال ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة ٤٤]، وقال ﷺ: (وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم)[٣].

[٣٢] هل يجوز الحلف بغير الله؟

ج: لا يجوز الحلف إلا بالله قال ﷻ: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]، وقال ﷺ: (من حلف بغير الله فقد أشرك)[٤].

[٣٣] هل يجوز تعليق الخرز والتمائم؟

ج: لا يجوز تعليقهما لأنه من الشرك قال ﷻ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧] وقال ﷺ: (من علق تميمة فقد أشرك)[٥]، التميمة: ما يعلق من العين والآفة.

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) رواه أبوداود.

(٣) رواه ابن ماجه.

(٤) رواه أحمد.

(٥) رواه أحمد.

[٣٤] بما ذا نتوسل إلى الله تعالى؟

ج: نتوسل بأسمائه وصفاته والعمل الصالح قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال ﷺ: (أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك)(١).

[٣٥] هل يحتاج الدعاء لواسطة مخلوق؟

ج: لا يحتاج الدعاء لواسطة مخلوق قال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال ﷺ: (إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم) «أي: بعلمه يسمعكم ويراكم»(٢).

[٣٦] ما هي واسطة الرسول ﷺ؟

ج: واسطة الرسول ﷺ هي التبليغ قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال ﷺ: (اللهم اشهد)(٣)، جوابا لقول الصحابة: أي نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت.

[٣٧] ممن نطلب شفاعة الرسول ﷺ؟

ج: نطلب شفاعة الرسول ﷺ من الله قال ﷻ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤] (اللهم شفعه في)(٤)، أي: شفع الرسول ﷺ في.

[٣٨] كيف نحب الله ورسوله ﷺ؟

ج: المحبة تكون بالطاعة واتباع الأوامر قال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)(٥).

---

(١) رواه أحمد.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الترمذي.

(٥) رواه البخاري.

[٣٩] هل نبالغ في مدح الرسول ﷺ؟

ج: لا نبالغ في مدح الرسول ﷺ قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال ﷺ: **(لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ﷺ)**[١].

[٤٠] من هو أول المخلوقات؟

ج: من البشر آدم ومن الأشياء القلم بعد العرش قال ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧١]، وقال ﷺ: **(إن أول ما خلق الله القلم)**[٢].

[٤١] من أي شيء خلق محمد؟

ج: خلق الله محمدا من نطفة قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [غافر: ٦٧]، وقال ﷺ: **(إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة)**[٣].

[٤٢] ما حكم الجهاد في سبيل الله؟

ج: الجهاد واجب بالمال والنفس واللسان قال ﷻ: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ٤١]، وقال ﷺ: **(جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)**[٤].

[٤٣] ما هو الولاء للمؤمنين؟

ج: هو الحب والنصرة للمؤمنين الموحدين قال ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة ٧١]، وقال ﷺ: **(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)**[٥].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبوداود.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أبوداود.

(٥) رواه مسلم.

[٤٤] هل تجوز موالاة الكفار ونصرتهم؟

ج:لا تجوز موالاة الكفار ونصرتهم قال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ «أي: الكافرون»[المائدة: ٥١]، وقال ﷺ:(إن آل بني فلان ليسوا لي بأولياء)«لأنهم من الكفار»[١].

[٤٥] من هو الولي؟

ج: الولي هو المؤمن التقي قال ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، وقال ﷺ: (إنما وليي الله وصالح المؤمنين)[٢].

[٤٦] لماذا أنزل الله القرآن؟

ج: أنزل الله القرآن للعمل به قال ﷻ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال ﷺ: (اقرؤوا القرآن واعملوا به ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به)[٣].

[٤٧] هل نستغني بالقرآن عن الحديث؟

ج: لا نستغني بالقرآن عن الحديث قال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال ﷺ: (ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه)[٤].

[٤٨] هل نقدم قولا على قول الله ورسوله ﷺ؟

ج: لا نقدم قولا على قول الله ورسوله ﷺ قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]، وقال ﷺ: (لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف)[٥].

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد.

(٤) رواه أحمد.

(٥) رواه أبو داود.

[٤٩] ما ذا نفعل إذا اختلفنا؟

ج: نعود إلى الكتاب والسنة الصحيحة قال ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، و قال ﷺ: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ).

[٥٠] ما هي البدعة؟

ج: كل ما لم يقم عليه دليل شرعي قال ﷻ: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) «أي: غير مقبول»[١].

[٥١] هل في الدين بدعة حسنة؟

ج: ليس في الدين بدعة حسنة قال ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]، وقال ﷺ: (إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)[٢].

[٥٢] هل في الإسلام سنة حسنة؟

ج: نعم كالبادئ بفعل خير ليقتدى به قال ﷻ: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، وقال ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده)[٣].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه مسلم.

[٥٣] هل يكتفي الإنسان بإصلاح نفسه؟

ج: لا بد من إصلاح نفسه وأهله قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]، وقال ﷺ: (إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه)[١].

[٥٤] متى ينتصر المسلمون؟

ج: إذا عملوا بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، وقال ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي منصورين)[٢].

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه ابن ماجه.

العقيدة الصحيحة

«الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه.

فلما كانت العقيدة الصحيحة هي أصل دين الإسلام وأساس الملة رأيت أن تكون هي موضوع المحاضرة.

ومعلوم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة: أن الأعمال والأقوال إنما تصح وتقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة، فإن كانت العقيدة غير صحيحة بطل ما يتفرع عنها من أعمال وأقوال، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقد دل كتاب الله المبين وسنة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم على أن العقيدة الصحيحة تتلخص في الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. فهذه الأمور الستة هي أصول العقيدة الصحيحة التي نزل بها كتاب الله العزيز، وبعث الله بها رسوله محمداً ﷺ.

ويتفرع عن هذه الأصول كل ما يجب الإيمان به من أمور الغيب، وجميع ما أخبر الله به ورسوله ﷺ.

وأدلة هذه الأصول الستة في الكتاب والسنة كثيرة جداً، فمن ذلك قول الله سبحانه: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة:١٧٧].

وقوله سبحانه: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ الآية [البقرة:٢٨٥].

وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦].

وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠].

أما الأحاديث الصحيحة الدالة على هذه الأصول فكثيرة جداً. منها الحديث الصحيح المشهور الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإيمان، فقال له: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) الحديث[1].

وهذه الأصول الستة: يتفرع عنها جميع ما يجب على المسلم اعتقاده في حق الله سبحانه وفي أمر المعاد وغير ذلك من أمور الغيب.

أولاً: الإيمان بالله:

الإيمان بالله سبحانه: الإيمان بأنه الإله الحق المستحق للعبادة دون كل ما سواه لكونه خالق العباد والمحسن إليهم والقائم بأرزاقهم والعالم بسرهم وعلانيتهم، والقادر على إثابة مطيعهم وعقاب عاصيهم، ولهذه العبادة خلق الله الثقلين وأمرهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

---

(١) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة.

وقد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لبيان هذا الحق والدعوة إليه، والتحذير مما يضاده كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقال عز وجل: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود:١-٢].

وحقيقة هذه العبادة: هي إفراد الله سبحانه بجميع ما تعبّد العباد به، من دعاء وخوف ورجاء، وصلاة وصوم وذبح ونذر، وغير ذلك من أنواع العبادة على وجه الخضوع له والرغبة والرهبة مع كمال الحب له سبحانه والذل لعظمته.

وغالب القرآن الكريم نزل في هذا الأصل العظيم:

كقوله سبحانه: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر:٢-٣].

وقوله سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣].

وقوله عز وجل: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر:١٤].

وفي الصحيحين عن معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**).

ومن الإيمان بالله أيضاً: الإيمان بجميع ما أوجبه على عباده وفرضه عليهم، من أركان الإسلام الخمسة الظاهرة وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً، وغير ذلك من الفرائض التي جاء بها الشرع المطهر.

وأهـم هـذه الأركـان وأعظمهـا: شـهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمـدًا رسـول الله ﷺ.

فشهادة أن لا إله إلا الله تقتضي إخلاص العبادة لله وحده ونفيها عما سواه، وهذا هـو معنـى لا إله إلا الله، فإن معناها لا معبود بحق إلا الله فكل ما عبد من دون الله من بشر أو ملك أو جني أو غير ذلك فكله معبود بالباطل، والمعبود بالحق هو الله وحده كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢].

وقد سبق بيان أن الله سبحانه خلق الثقلين لهذا الأصل الأصيل وأمرهم به، وأرسل به رسله وأنزل به كتبه، فتأمل ذلك جيدا وتدبره كثيراً ليتضح لك ما وقع فيه أكثر المسلمين من الجهل العظيم بهذا الأصل الأصيل، حتى عبدوا مع الله غيره، وصرفوا خالص حقه لسواه، فالله المستعان.

ومن الإيمان بالله سبحانه: الإيمان بأنه خالق العالم ومدبّر شؤونهم والمتصرف فيهم بعلمه وقدرته كما يشاء سبحانه، وأنه مالك الدنيا والآخرة ورب العالمين جميعاً، لا خالق غيره، ولا رب سواه، وأنه أرسل الرسل وأنزل الكتب لإصلاح العباد ودعوتهم إلى ما فيه نجاتهم وصلاحهم في العاجل والآجل، وأنه سبحانه لا شريك له في جميع ذلك، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

ومن الإيمان بالله أيضاً: الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا الواردة في كتابه العزيز، والثابتة عن رسوله الأمين، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل يجب أن تُمَرّ كما جاءت به بلا كيف، مع الإيمان بما دلت عليه من المعاني العظيمة، التي هي أوصاف

الله عز وجل، فيجب وصفه بها على الوجه اللائق به، من غير أن يشابه خلقه في شيء من صفاته، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وقال عز وجل: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٤].

وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان، وهي التي نقلها الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله في كتابه "المقالات عن أصحاب الحديث وأهل السنة" ونقلها غيره من أهل العلم والإيمان.

قال الأوزاعي رحمه الله: «سئل الزهري ومكحول عن آيات الصفات فقالا: أمرُّوها كما جاءت».

وقال الوليد بن مسلم رحمه الله: «سئل مالك، والأوزاعي، والليث بن سعد وسفيان الثوري رحمهم الله عن الأخبار الواردة في الصفات، فقالوا جميعاً أمرُّوها كما جاءت بلا كيف».

وقال الأوزاعي رحمه الله: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله سبحانه على عرشه ونؤمن بما ورد في السنة من الصفات».

ولما سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ مالك رحمة الله عليهما عن الاستواء قال: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق».

ولما سئل الإمام مالك رحمه الله عن ذلك قال: «الاستواء معلوم و الكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»، ثم قال للسائل: «ما أراك إلا رجل سوء!» وأمر به فأخرج.

وروي هذا المعنى عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها.

وقال الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك رحمةُ الله عليه: «نعرف ربنا سبحانه بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه».

وكلام الأئمة في هذا الباب كثيراً جداً لا يمكن نقله في هـذه العجالـة، ومن أراد الوقوف على كثير من ذلك فليراجع ما كتبه علماء السنة في هذا الباب مثل كتاب "السنة" لعبد الله ابن الإمام أحمد، وكتاب "التوحيد" للإمام الجليل محمد بن خزيمة، وكتاب "السنة" لأبي القاسم اللالكائي الطبري، وكتاب "السنة" لأبي بكر أبى عاصم، وجواب شيخ الإسلام ابن تيمية لأهل حماة، وهو جواب عظيم كثير الفائدة قد أوضح فيه رحمه الله عقيدة أهل السنة، ونقل فيه الكثير من كلامهم والأدلة الشرعية والعقلية على صحة ما قاله أهل السنة، وبطلان ما قاله خصومهم. وهكذا رسالته الموسومة بـ: "التدمرية" فقد بسط فيها المقام وبين فيها عقيدة أهل السنة بأدلتها النقلية والعقلية والرد على المخالفين بما يظهر الحق ويدمغ الباطل لكل من نظر في ذلك من أهل العلم بقصد صالح ورغبة في معرفة الحق.

وكل من خالف أهل السنة فيما اعتقدوا في باب الأسماء والصفات فإنه يقع ولا بد في مخالفة الأدلة النقلية والعقلية مع التناقض الواضح في كل ما يثبته وينفيه. أما أهل السنة والجماعة: فأثبتوا لله سبحانه ما أثبته لنفسه في كتابه الكريم أو أثبته له رسوله محمد في سنته الصحيحة إثباتاً بلا تمثيل ونزَّهوه سبحانه عن مشابهة خلقه تنزيهاً بريئاً من التعطيل، ففازوا بالسلامة من التناقض وعملوا بالأدلة كلها، وهذه سنة الله سبحانه فيمن تمسك بالحق الذي بعث به رسله وبذل وسعه في ذلك وأخلص لله في طلبه أن يوفقه للحق ويظهر حجته كما قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:١٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣].

وقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره المشهور عند كلامه على قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، كلاماً حسناً في هذا الباب يحسن نقله هاهنا لعظم فائدته.

قال رحمه الله ما نصه: «للناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ليس هذا موضع بسطها وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهوية وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً. وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، بل الأمر كما قال الأئمة منهم: نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال: من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه. فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عن الله النقائص - فقد سلك سبيل الهدى».

ثانيًا: الإيمان بالملائكة:

يتضمن الإيمان بهم إجمالاً وتفصيلاً فيؤمن المسلم بأن لله ملائكة خلقهم لطاعته ووصفهم بأنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨]. وهم أصناف كثيرة، منهم الموكلون بحمل العرش، ومنهم خزنة الجنة والنار، ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد.

ونؤمن على سبيل التفصيل بمن سمى الله ورسوله منهم: كجبريل وميكائيل، ومالك خازن النار، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور، وقد جاء ذكره في أحاديث صحيحة، وقد ثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن النبي قال: (**خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وصف لكم**)[1].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

ثالثًا: الإيمان بالكتب:

يجب الإيمان إجمالاً بأن الله سبحانه قد أنزل كتباً على أنبيائه ورسله لبيان حقه والدعوة إليه، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ الآية [الحديد:٢٥].

وقال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٣].

ونؤمن على سبيل التفصيل بما سمى الله منها كالتوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن.

والقرآن الكريم: هو أفضلها وخاتمها، وهو المهيمن عليها والمصدق لها، وهو الذي يجب على جميع الأمة اتباعه وتحكيمه مع ما صحت به السنة عن رسول الله؛ لأن الله سبحانه بعث رسوله محمداً رسولاً إلى جميع الثقلين، وأنزل عليه هذا القرآن ليحكم به بينهم وجعله شفاءً لما في الصدور وتبيانا لكل شيء وهدى ورحمة للمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام:١٥٥].

وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

رابعًا: الإيمان بالرسل:

يجب الإيمان بالرسل إجمالاً وتفصيلاً: فنؤمن أن الله سبحانه أرسل إلى عباده رسلاً منهم، مبشرين ومنذرين ودعاة إلى الحق، فمن أجابهم فاز بالسعادة، ومن خالفهم باء بالخيبة

والندامة، وخاتمهم وأفضلهم هو نبينا محمد بن عبد الله، كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

ومن سمى الله منهم أو ثبت عن رسول الله تسميته آمناً به على سبيل التفصيل والتعيين كنوح وهود وصالح وإبراهيم وغيرهم، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

خامساً: الإيمان باليوم الآخر:

وأما الإيمان باليوم الآخر فيدخل فيه الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله مما يكون بعد الموت كفتنة القبر وعذابه ونعيمه، وما يكون يوم القيامة من الأهوال والشدائد والصراط والميزان والحساب والجزاء ونشر الصحف بين الناس فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره، ويدخل في ذلك أيضاً الإيمان بالحوض المورود لنبينا محمد، والإيمان بالجنة والنار، ورؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتكليمه إياهم، وغير ذلك مما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة عن رسول الله فيجب الإيمان بذلك كله وتصديقه على الوجه الذي بينه الله ورسوله.

سادساً: الإيمان بالقدر:

وأما الإيمان بالقدر فيتضمن الإيمان بأمور أربعة:

الأمر الأول: أن الله سبحانه قد علم ما كان وما يكون، وعلم أحوال عباده، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وغير ذلك من شؤونهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء سبحانه وتعالى، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٧٥].

وقال عزّ وجلّ: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢].

والأمر الثاني: كتابته سبحانه لكل ما قدره وقضاه كما قال سبحانه: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ [ق:٤].

وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس:١٢].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠].

الأمر الثالث: الإيمان بمشيئته النافذة، فما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج:١٨].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

الأمر الرابع: خلقه سبحانه لجميع الموجودات، لا خالق غيره ولا رب سواه، قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر:٣].

فالإيمان بالقدر يشمل الإيمان بهذه الأمور الأربعة عند أهل السنة والجماعة خلافاً لمن أنكر بعض ذلك من أهل البدع.

ويدخل في الإيمان بالله اعتقاد أن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وأنه لا يجوز تكفير أحد من المسلمين بشيء من المعاصي التي دون الشرك والكفر، كالزنا، والسرقة، وأكل الربا، وشرب المسكرات، وعقوق الوالدين، وغير ذلك من الكبائر ما لم يستحل ذلك لقول الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن

يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦]، وما ثبت في الأحاديث المتواترة عن رسول الله أن الله يُخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خرْدل من إيمان.

ومن الإيمان بالله الحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعاداة في الله، فيحب المؤمن المؤمنين ويواليهم، ويبغض الكفار ويعاديهم.

وعلى رأس المؤمنين من هذه الأمة أصحاب رسول الله.

فأهل السنة والجماعة يحبونهم ويوالونهم ويعتقدون أنهم خير الناس بعد الأنبياء لقول النبي ﷺ: (**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**)[1].

ويعتقدون أن أفضلهم أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم على المرتضى رضي الله عنهم أجمعين، وبعدهم بقية العشرة المبشرين بالجنة ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويعتقدون أنهم في ذلك مجتهدون، من أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر، ويحبون أهل بيت رسول الله المؤمنين به ويتولونهم ويتولون أزواج رسول الله أمهات المؤمنين ويترضون عنهم جميعاً.

ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون أصحاب رسول الله ويسبونهم ويغلون في أهل البيت، ويرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله عز وجل إياها، كما يتبرؤون من طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل.

وجميع ما ذكرناه في هذه الكلمة الموجزة في العقيدة الصحيحة التي بعث الله بها رسوله محمداً وهي عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة التي قال فيها النبي ﷺ: (**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله سبحانه**).

وقال: (**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**)،

---

(١) متفق على صحته.

فقال الصحابة: من هي يا رسول الله؟ قال: (**من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**)، وهي العقيدة التي يجب التمسك بها والاستقامة عليها والحذر مما خالفها.

وأما المنحرفون عن هذه العقيدة والسائرون على ضدها فهم أصناف كثيرة؛ فمنهم عباد الأصنام والأوثان والملائكة والأولياء والجن والأشجار والأحجار وغيرها، فهؤلاء لم يستجيبوا لدعوة الرسل بل خالفوهم وعاندوهم كما فعلت قريش وأصناف العرب مع نبينا محمد،، وكانوا يسألون معبوداتهم قضاء الحاجات وشفاء المرضى والنصر على الأعداء، ويذبحون لهم وينذرون لهم، فلما أنكر عليهم رسول الله ﷺ ذلك وأمرهم بإخلاص العبادة لله وحده استغربوا ذلك وأنكروه، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]، فلم يزل يدعوهم إلى الله وينذرهم من الشرك ويشرح لهم حقيقة ما يدعو إليه حتى هدى الله منهم من هدى ثم دخلوا بعد ذلك في دين الله أفواجاً، فظهر دين الله على سائر الأديان بعد دعوة متواصلة واجتهاد طويل من رسول الله وأصحابه رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان. ثم تغيرت الأحوال وغلب الجهل على أكثر الخلق حتى عاد الأكثرون إلى دين الجاهلية، بالغلو في الأنبياء والأولياء ودعائهم والاستغاثة بهم وغير ذلك من أنوع الشرك، ولم يعرفوا معنى لا إله إلا الله كما عرف معناها كفار العرب. فالله المستعان. ولم يزل هذا الشرك يتفشى في الناس إلى عصرنا هذا بسبب غلبة الجهل وبعد العهد بعصر النبوة.

وشبهة هؤلاء المتأخرين شبهة الأولين وهي قولهم: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وقد أبطل الله هذه الشبهة وبين أن من عبد غيره كائناً من كان فقد أشرك به وكفر، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ

شُفَعَتؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، فرد الله عليهم سبحانه بقوله: ﴿قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس:١٨].

فبيّن سبحانه في هذه الآيات أن عبادة غيره من الأنبياء والأولياء أو غيرهم هي الشرك الأكبر وإن سماها فاعلوها بغير ذلك.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]. فرد الله عليهم سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر:٣].

فأبان بذلك سبحانه أن عبادتهم لغيره بالدعاء والخوف والرجاء ونحو ذلك كفرٌ به سبحانه، وأكذبهم في قولهم أن آلهتهم تقربهم إليه زلفى.

ومن العقائد الكفرية المضادة للعقيدة الصحيحة والمخالفة لما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام:

ما يعتقده الملاحدة في هذا العصر من أتباع ماركس ولينين وغيرهما من دعاة الإلحاد والكفر، سواء سموا ذلك اشتراكية أو شيوعية أو بعثية أو غير ذلك من الأسماء، فإن من أصول هؤلاء الملاحدة أنه لا إله، والحياة مادة، ومن أصولهم إنكار المعاد وإنكار الجنة والنار، والكفر بالأديان كلها. ومن نظر في كتبهم ودرس ما هم عليه علم ذلك يقيناً، ولا ريب أن هذه العقيدة مضادة لجميع الأديان السماوية ومفضية بأهلها إلى أسوأ العواقب في الدنيا والآخرة.

ومن العقائد المضادة للحق ما يعتقده بعض الباطنية وبعض المتصوفة من أن بعض من يسمونهم بالأولياء يشاركون الله في التدبير ويتصرفون في شؤون العالم، ويسمونهم بالأقطاب والأوتاد والأغواث وغير ذلك من الأسماء التي اخترعوها لآلهتهم، وهذا من

أقبح الشرك في الربوبية وهو شر من شرك جاهلية العرب، لأن كفار العرب لم يشركوا في الربوبية وإنما أشركوا في العبادة، وكان شركهم في حال الرخاء، أما في حال الشدة فيخلصون لله العبادة كما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥]. أما الربوبية فكانوا معترفين بها لله وحده كما قال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

أما المشركون المتأخرون فزادوا على الأولين من جهتين:

إحداهما: شرك بعضهم في الربوبية.

والثانية: شركهم في الرخاء والشدة كما يعلم ذلك من خالطهم وسبر أحوالهم ورأى ما يفعلون عند قبر الحسين والبدوي وغيرهما في مصر، وعند قبر العيدروس في عدن، والهادي في اليمن، وابن عربي في الشام، والشيخ عبد القادر الجيلاني في العراق، وغيرها من القبور المشهورة التي غلت فيها العامة وصرفوا لها الكثير من حق الله عز وجل، وقل من ينكر عليهم ذلك ويبين لهم حقيقة التوحيد الذي بعث الله به نبيه محمداً ومن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإنا لله وإنا إليه راجعون!!

ونسأل الله سبحانه أن يردهم إلى رشدهم وأن يكثر بينهم دعاة الهدى وأن يوفق قادة المسلمين وعلماءهم لمحاربة هذا الشرك والقضاء عليه، إنه سميع قريب.

ومن العقائد المضادة للعقيدة الصحيحة في باب الأسماء والصفات عقائد أهل البدع من الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم في نفي صفات الله عز وجل وتعطيله سبحانه

من صفات الكمال، ووصفه عز وجل بصفة المعدومات، والجمادات، والمستحيلات، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

ويدخل في ذلك من نفى بعض الصفات وأثبت بعضها كقول الأشاعرة؛ فإنه يلزمهم فيما أثبتوه من الصفات نظير ما فروا منه في الصفات التي نفوها وتأولوا أدلتها، فخالفوا بذلك الأدلة السمعية والعقلية، وتناقضوا في ذلك تناقضاً بيناً.

أما أهل السنة والجماعة فقد أثبتوا لله سبحانه ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله محمد من الأسماء والصفات على وجه الكمال، ونزهوه عن مشابهة خلقه تنزيهاً بريئاً من شائبة التعطيل، فعملوا بالأدلة كلها ولم يحرفوا ولم يعطلوا، وسلموا من التناقض الذي وقع فيه غيرهم - كما سبق بيان ذلك - وهذا هو سبيل النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة، وهو الصراط المستقيم الذي سلكه سلف هذه الأمة وأئمتها، ولن يصلح آخرهم إلا ما صلح به أولهم؛ وهو اتباع الكتاب والسنة، وترك ما خالفهما..»[1].

* * *

(١) للإمام ابن باز.

فتاوى في العقيدة

حكم بعض الممارسات الشركية عند القبور:

س: انتشرت في بعض المجتمعات الإسلامية مخالفات متعددة منها ما يقع عند بعض القبور ومنها ما يتصل بالحلف والأيمان والنذور، وقد تختلف أحكام هذه المخالفات بين ما يكون منها من قبيل الشرك المخرج من الملة، وما يكون دون ذلك فحبذا لو تفضل سماحتكم ببسط القول وبيان أحكام تلك المسائل لهم، ونصيحة أخرى لعامة المسلمين ترهيبا لهم من التساهل بأمر تلك المخالفات والتهاون بشأنها؟.

ج: الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه. أما بعد: فإن كثيرا من الناس تلتبس عليهم الأمور المشروعة بالأمور الشركية والمبتدعة حول القبور، كما أن كثيرا منهم قد يقع في الشرك الأكبر بسبب الجهل والتقليد الأعمى. فالواجب على أهل العلم في كل مكان أن يوضحوا للناس دينهم وأن يبينوا لهم حقيقة التوحيد، وحقيقة الشرك، كما يجب على أهل العلم أن يوضحوا للناس وسائل الشرك وأنواع البدع الواقعة بينهم حتى يحذروها لقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ الآية [آل عمران: ١٨٧]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠]، وقال النبي ﷺ: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله)[١]، وقال أيضا عليه الصلاة والسلام: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا)[٢]. وفي الصحيحين عن معاوية رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه

---

(١) رواه مسلم في صحيحه

(٢) رواه مسلم أيضا.

قال: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)، والآيات والأحاديث في الدعوة إلى نشر العلم وترغيب الناس في ذلك والتحذير من الإعراض وكتمان العلم كثيرة.

أما ما يقع عند القبور من أنواع الشرك والبدع في بلدان كثيرة فهو أمر معلوم وجدير بالعناية والبيان والتحذير منه، فمن ذلك دعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم، وطلب شفاء المرضى والنصر على الأعداء ونحو ذلك، وهذا كله من الشرك الأكبر الذي كان عليه أهل الجاهلية قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، والمعنى أمر وأوصى، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، والعبادة التي خلق الثقلان لأجلها وأمروا بها هي توحيده سبحانه وتخصيصه بجميع الطاعات التي أمر بها من صلاة وصوم وزكاة وحج وذبح ونذر وغير ذلك من أنواع العبادة ؛ كما قال سبحانه: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام ١٦٢-١٦٣]، والنسك هو العبادة ومنها الذبح كما قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾، وقال النبي ﷺ: (لعن الله من ذبح لغير الله)[1]، وقال الله سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن: ١٨]، وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال عز وجل في سورة فاطر: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝ إن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤]، فأوضح سبحانه في هذه الآيات أن الصلاة لغيره والذبح لغيره ودعاء الأموات والأصنام والأشجار والأحجار كل ذلك من الشرك بالله والكفر به. وأن جميع المدعوين من دونه من أنبياء أو ملائكة أو أولياء أو جن أو أصنام أو غيرهم لا يملكون لداعيهم نفعا ولا ضرا، وأن دعوتهم من دونه سبحانه شرك وكفر، كما أوضح سبحانه أنهم لا يسمعون دعاء داعيهم ولو سمعوا لم يستجيبوا له.

والواجب على جميع المكلفين من الجن والإنس الحذر من ذلك والتحذير منه وبيان بطلانه، وأنه يخالف ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من الدعوة إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء - ٢٥]، وقد مكث ﷺ في مكة المكرمة ثلاث عشرة سنة يدعو فيها إلى الله سبحانه ويحذر الناس من الشرك به، ويوضح لهم معنى لا إله إلا الله فاستجاب له الأقلون، واستكبر عن طاعته واتباعه الأكثرون، ثم هاجر إلى المدينة عليه الصلاة والسلام فنشر الدعوة إلى الله سبحانه هناك بين المهاجرين والأنصار، وجاهد في سبيل الله، وكتب إلى الملوك والرؤساء، وأوضح لهم دعوته وما جاء به من الهدى، وصبر وصابر في ذلك هو وأصحابه ﷺ، حتى ظهر دين الله ودخل الناس في دين الله أفواجا، وانتشر التوحيد وزال الشرك من مكة والمدينة ومن سائر الجزيرة على يده ﷺ وعلى يد أصحابه من بعده، ثم قام أصحابه بالدعوة إلى الله سبحانه والجهاد في سبيله في المشارق والمغارب حتى نصرهم الله على أعدائه ومكن لهم في الأرض وظهر دين الله على سائر الأديان، كما وعد بذلك سبحانه في كتابه العظيم حيث قال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

﴿ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، ومن البدع ووسائل الشرك ما يفعل عند القبور من الصلاة عندها والقراءة عندها وبناء المساجد والقباب عليها، وهذا كله بدعة ومنكر ومن وسائل الشرك الأكبر، ولهذا صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)** متفق على صحته من حديث عائشة رضي الله عنها. وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **(ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك)**، فأوضح ﷺ في هذين الحديثين وما جاء في معناهما: أن اليهود والنصارى كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد. فحذر أمته من التشبه بهم باتخاذها مساجد والصلاة عندها والعكوف عندها والقراءة عندها، لأن هذا كله من وسائل الشرك، ومن ذلك البناء عليها واتخاذ القباب والستور عليها، فكل ذلك من وسائل الشرك والغلو في أهلها، كما قد وقع ذلك من اليهود والنصارى ومن جهال هذه الأمة حتى عبدوا أصحاب القبور وذبحوا لهم واستغاثوا بهم، ونذروا لهم وطلبوا منهم شفاء المرضى والنصر على الأعداء كما يعلم ذلك من عرف ما يفعل عند قبر الحسين، والبدوي، والشيخ عبد القادر الجيلاني، وابن عربي وغيرهم من أنواع الشرك الأكبر والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله. وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن تجصيص القبور والقعود عليها والبناء عليها والكتابة عليها، وما ذاك إلا لأن تجصيصها والبناء عليها من وسائل الشرك الأكبر بأهلها. فالواجب على جميع المسلمين حكومات وشعوبا الحذر من هذا الشرك ومن هذه البدع وسؤال أهل العلم المعروفين بالعقيدة الصحيحة، والسير على منهج سلف الأمة عما أشكل عليهم من أمور دينهم حتى يعبدوا الله على بصيرة عملا بقول الله عز وجل: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وقول النبي ﷺ: **(من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة)** ، وقوله ﷺ: **(من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)** ومعلوم أن العباد لم

يخلقوا عبثا وإنما خلقوا لحكمة عظيمة وغاية شريفة، وهي عبادة الله وحده دون كل ما سواه كما قال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولا سبيل إلى معرفة هذه العبادة إلا بتدبر الكتاب العظيم والسنة المطهرة، ومعرفة ما أمر الله به ورسوله من أنواع العبادة، وسؤال أهل العلم عما أشكل في ذلك، وبذلك تعرف عبادة الله سبحانه وتعالى التي خلق العباد من أجلها، وتؤدى على الوجه الذي شرعه الله، وهذا هو السبيل الوحيد إلى مرضاة الله سبحانه والفوز بكرامته، والنجاة من غضبه وعقابه، وفق الله المسلمين لكل ما فيه رضاه، ومنحهم الفقه في دينه، وولى عليهم خيارهم وأصلح قادتهم، ووفق علماء المسلمين لأداء ما يجب عليهم من الدعوة والتعليم والنصح والتوجيه إنه جواد كريم.

ومن أنواع الشرك الحلف بغير الله كالحلف بالأنبياء وبرأس فلان وحياة فلان والحلف بالأمانة والشرف، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت)[١].

وقوله ﷺ: (من حلف بشيء دون الله فقد أشرك)[٢]، وقوله ﷺ: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)[٣]. وقال عليه الصلاة والسلام: (من حلف بالأمانة فليس منا)، وقال أيضا عليه الصلاة والسلام: (لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون)، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، والحلف بغير الله من الشرك الأصغر، وقد يفضي إلى الشرك الأكبر إذا اعتقد تعظيمه مثل تعظيم الله، أو أنه ينفع ويضر دون الله، أو أنه يصلح لأن يدعى أو يستغاث به، ومن هذا الباب قول: ما شاء الله وشاء فلان، ولولا الله وفلان، وهذا من الله وفلان، وهذا كله من الشرك الأصغر، لقول

---

(١) متفق على صحته.

(٢) رواه الإمام أحمد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

النبي ﷺ: (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان)، وبهذا يعلم أنه لا حرج بأن يقول: لولا الله ثم فلان، أو هذا من الله ثم فلان.. إذا كان له تسبب في ذلك. وثبت عنه ﷺ: أن رجلا قال له: ما شاء الله وشئت، فقال له ﷺ: (أجعلتني لله ندا قل ما شاء الله وحده)، فدل هذا الحديث على أنه إذا قال: ما شاء الله وحده فهذا هو الأكمل، وإن قال ما شاء الله ثم شاء فلان فلا حرج جمعا بين الأحاديث والأدلة كلها. والله ولي التوفيق.

سؤال عن التوسل:

س: يخلط بعض الناس بين التوسل بالإيمان بالنبي ﷺ ومحبته وطاعته والتوسل بذاته وجاهه، كما يقع الخلط بين التوسل بدعائه عليه الصلاة والسلام في حياته وسؤاله الدعاء بعد مماته، وقد ترتب على هذا الخلط التباس المشروع من ذلك بالممنوع منه، فهل من تفصيل يزيل اللبس في هذا الباب ويرد به على أصحاب الأهواء الذين يلبسون على المسلمين في هذه المسائل؟

ج: لا شك أن كثيرا من الناس لا يفرقون بين التوسل المشروع والتوسل الممنوع بسبب الجهل وقلة من ينبههم ويرشدهم إلى الحق ومعلوم أن بينهما فرق عظيم. فالتوسل المشروع هو الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب وخلق من أجله الثقلين، وهو عبادته سبحانه ومحبته ومحبة رسوله عليه الصلاة والسلام، ومحبة جميع الرسل والمؤمنين، والإيمان به وبكل ما أخبر الله ورسوله به؛ من البعث والنشور والجنة والنار وسائر ما أخبر الله به ورسوله. فهذا كله من الوسيلة الشرعية لدخول الجنة والنجاة من النار، والسعادة في الدنيا والآخرة، ومن ذلك دعاؤه سبحانه والتوسل إليه بأسمائه وصفاته ومحبته، والإيمان به وبجميع الأعمال الصالحة التي شرعها لعباده، وجعلها وسيلة إلى مرضاته والفوز بجنته وكرامته والفوز أيضا بتفريج الكروب وتيسير الأمور في الدنيا والآخرة، كما قال الله عز

وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الصافات: ١٥]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٣٤].

وهو العلم والهدى والفرقان، والآيات في هذا المعنى كثيرة. ومن التوسل المشروع التوسل إلى الله سبحانه بمحبة نبيه ﷺ والإيمان به واتباع شريعته؛ لأن هذه الأمور من أعظم الأعمال الصالحات ومن أفضل القربات. أما التوسل بجاهه ﷺ أو بذاته أو بحقه أو بجاه غيره من الأنبياء والصالحين أو ذواتهم أو حقهم فمن البدع التي لا أصل لها، بل من وسائل الشرك؛ لأن الصحابة ﷺ وهم أعلم الناس بالرسول ﷺ وبحقه لم يفعلوا ذلك ولو كان خيرا لسبقونا إليه، ولما أجدبوا في عهد عمر ﷺ لم يذهبوا إلى قبره ﷺ ولم يتوسلوا به ولم يدعوا عنده بل استسقى عمر ﷺ بعمه ﷺ: العباس بن عبدالمطلب أي بدعائه فقال ﷺ وهو على المنبر: (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون)[1]. ثم أمر ﷺ العباس أن يدعو فدعا وأمن المسلمون على دعائه فسقاهم الله عز وجل، وقصة أهل الغار مشهورة وهي ثابتة في الصحيحين، وخلاصتها أن ثلاثة ممن كان قبلنا آواهم المبيت والمطر إلى غار، فدخلوا فيه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ولم يستطيعوا دفعها، فقالوا فيما بينهم: لن ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فدعوه سبحانه

(١) رواه البخاري في صحيحه.

واستغاثوا به، وتوسل أحدهم ببر والديه، والثاني بعفته عن الزنا بعد القدرة، والثالث بأدائه الأمانة فأزاح الله عنهم الصخرة وخرجوا، وهذه القصة من الدلائل العظيمة على أن الأعمال الصالحة من أعظم الأسباب في تفريج الكروب والخروج من المضائق والعافية من شدائد الدنيا والآخرة. أما التوسل بجاه فلان أو بحق فلان أو ذاته، فهذا من البدع المنكرة، ومن وسائل الشرك. وأما دعاء الميت والاستغاثة به فذلك من الشرك الأكبر. والصحابة رضي الله عنهم كانوا يطلبون من النبي ﷺ أن يدعو لهم، وأن يستغيث لهم إذا أجدبوا، ويشفع في كل ما ينفعهم حين كان حيا بينهم، فلما توفي ﷺ لم يسألوه شيئا بعد وفاته ولم يأتوا إلى قبره يسألونه الشفاعة أو غيرها لأنهم يعلمون أن ذلك لا يجوز بعد وفاته ﷺ وإنما يجوز ذلك في حياته ﷺ قبل موته، ويوم القيامة حين يتوجه إليه المؤمنون ليشفع لهم ليقضي الله بينهم ولدخولهم الجنة، بعد ما يأتون آدم ونوحا وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام فيعتذرون عن الشفاعة، كل واحد يقول نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري فإذا أتوا عيسى عليه الصلاة والسلام اعتذر إليهم وأرشدهم إلى أن يأتوا نبينا محمدا ﷺ، فيأتونه فيقول: أنا لها أنا لها؛ لأن الله سبحانه قد وعده ذلك فيذهب ويخر ساجدا بين يدي الله عز وجل ويحمده بمحامد كثيرة ولا يزال ساجدا حتى يقال له: (ارفع رأسك وقل تُسمع، وسل تُعط، واشفع تُشَفَّع). وهذا الحديث ثابت في الصحيحين وهو حديث الشفاعة المشهور، وهذا هو المقام المحمود الذي ذكره الله سبحانه في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. ﷺ وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان، وجعلنا الله من أهل شفاعته إنه سميع قريب.

مقتضى كلمة التوحيد لا إله إلا الله

س: يلاحظ جهل كثير من المحسوبين على الأمة الإسلامية بمعنى لا إله إلا الله وقد ترتب على ذلك الوقوع فيما ينافيها و يضادها أو ينقصها من الأقوال والأعمال فما معنى لا إله إلا الله؟ وما مقتضاها؟ وما شروطها؟

ج: لا شك أن هذه الكلمة وهي: (لا إله إلا الله) هي أساس الدين، وهي الركن الأول من أركان الإسلام، مع شهادة أن محمدا رسول الله، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **(بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت)**[1]. وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما بعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن، قال له: **(إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم)** الحديث[2]، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله: لا معبود حق إلا الله، وهي تنفي الإلهية بحق عن غير الله سبحانه، وتثبتها بالحق لله وحده، كما قال الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال عز وجل: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال جل جلاله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:].

---

(١) متفق على صحته من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) متفق عليه.

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهذه الكلمة العظيمة لا تنفع قائلها ولا تخرجه من دائرة الشرك إلا إذا عرف معناها وعمل به وصدق به. وقد كان المنافقون يقولونها وهم في الدرك الأسفل من النار لأنهم لم يؤمنوا بها ولم يعملوا بها. وهكذا اليهود تقولها وهم من أكفر الناس - لعدم إيمانهم بها - وهكذا عباد القبور والأولياء من كفار هذه الأمة يقولونها وهم يخالفونها بأقوالهم وأفعالهم وعقيدتهم، فلا تنفعهم ولا يكونون بقولها مسلمين؛ لأنهم ناقضوها بأقوالهم وأعمالهم وعقائدهم.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن شروطها ثمانية جمعها في بيتين فقال:

علم يقين وإخلاص وصدقك ... مع محبة وانقياد والقبول لها

وزيد ثامنها الكفران منك بما ... سوى الإله من الأشياء قد ألها

وهذان البيتان قد استوفيا جميع شروطها:

الأول: العلم بمعناها المنافي للجهل وتقدم أن معناها لا معبود بحق إلا الله فجميع الآلهة التي يعبدها الناس سوى الله سبحانه كلها باطلة.

الثاني: اليقين المنافي للشك فلابد في حق قائلها أن يكون على يقين بأن الله سبحانه هو المعبود بالحق.

الثالث: الإخلاص وذلك بأن يخلص العبد لربه سبحانه وهو الله عز وجل جميع العبادات، فإذا صرف منها شيئا لغير الله من نبي أو ولي أو ملك أو صنم أو جني أو غيرها فقد أشرك بالله ونقض هذا الشرط وهو شرط الإخلاص.

الرابع: الصدق ومعناه أن يقولها وهو صادق في ذلك، يطابق قلبه لسانه، ولسانه قلبه، فإن قالها باللسان فقط وقلبه لم يؤمن بمعناها فإنها لا تنفعه، ويكون بذلك كافرا كسائر المنافقين.

الخامس: المحبة، ومعناها أن يحب الله عز وجل، فإن قالها وهو لا يحب الله صار كافرا لم يدخل في الإسلام كالمنافقين، ومن أدلة ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقوله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن

دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

السادس: الانقياد لما دلت عليه من المعنى، ومعناه أن يعبد الله وحده وينقاد لشريعته ويؤمن بها، ويعتقد أنها الحق. فإن قالها ولم يعبد الله وحده، ولم ينقد لشريعته بل استكبر عن ذلك، فإنه لا يكون مسلما كإبليس وأمثاله.

السابع: القبول لما دلت عليه، ومعناه: أن يقبل ما دلت عليه من إخلاص العبادة لله وحده وترك عبادة ما سواه وأن يلتزم بذلك ويرضى به.

الثامن: الكفر بما يعبد من دون الله، ومعناه أن يتبرأ من عبادة غير الله ويعتقد أنها باطلة، كما قال الله سبحانه: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله)**، وفي رواية عنه ﷺ أنه قال: **(من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه)**[1].

فالواجب على جميع المسلمين أن يحققوا هذه الكلمة بمراعاة هذه الشروط، ومتى وجد من المسلم معناها والاستقامة عليه فهو مسلم حرام الدم والمال، وإن لم يعرف تفاصيل هذه الشروط لأن المقصود وهو العلم بالحق والعمل به وإن لم يعرف المؤمن تفاصيل الشروط المطلوبة.

والطاغوت هو كل ما عبد من دون الله كما قال الله عز وجل: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

---

(١) أخرجهما مسلم في صحيحه.

ومن كان لا يرضى بذلك من المعبودين من دون الله كالأنبياء والصالحين والملائكة فإنهم ليسوا بطواغيت، وإنما الطاغوت هو الشيطان الذي دعا إلى عبادتهم وزينها للناس نسأل الله لنا وللمسلمين العافية من كل سوء، وأما الفرق بين الأعمال التي تنافي هذه الكلمة وهي: (لا إله إلا الله)، والتي تنافي كمالها الواجب، فهو: أن كل عمل أو قول أو اعتقاد يوقع صاحبه في الشرك الأكبر فهو ينافيها بالكلية ويضادها. كدعاء الأموات والملائكة والأصنام والأشجار والأحجار والنجوم ونحو ذلك، والذبح لهم والنذر والسجود لهم وغير ذلك.

فهذا كله ينافي التوحيد بالكلية، ويضاد هذه الكلمة ويبطلها وهي: (لا إله إلا الله)، ومن ذلك استحلال ما حرم الله من المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة والإجماع كالزنا وشرب المسكر وعقوق الوالدين والربا ونحو ذلك، ومن ذلك أيضا جحد ما أوجب الله من الأقوال والأعمال المعلومة من الدين بالضرورة والإجماع كوجوب الصلوات الخمس والزكاة وصوم رمضان وبر الوالدين والنطق بالشهادتين ونحو ذلك.

أما الأقوال والأعمال والاعتقادات التي تضعف التوحيد والإيمان وتنافي كماله الواجب فهي كثيرة ومنها: الشرك الأصغر كالرياء والحلف بغير الله، وقول ما شاء الله وشاء فلان، أو هذا من الله ومن فلان ونحو ذلك، وهكذا جميع المعاصي كلها تضعف التوحيد والإيمان وتنافي كماله الواجب، فالواجب الحذر من جميع ما ينافي التوحيد والإيمان أو ينقص ثوابه، والإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. والأدلة على ذلك كثيرة أوضحها أهل العلم في كتب العقيدة وكتب التفسير والحديث فمن أرادها وجدها والحمد لله، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ

إِيمَٰنًا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

حكم من يدعو غير الله:

س: في بلادنا ضل الكثير بسبب الطرق الصوفية، حيث يعبدون القبور ويدعون غير الله، ومنهم حفظة لكتاب الله وأئمة للمساجد، سؤالي يتكون من فقرات سماحة الشيخ: هل هؤلاء كفار بسبب ارتكابهم للشرك وبعدم معرفتهم للتوحيد إذا كانوا يجهلون معنى لا إله إلا الله، وهل يعذرون بالجهل أم هم كفار؟ وجهونا في ضوء هذا السؤال.

ج: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد: فقد دل الكتاب العزيز والسنة المطهرة على بيان توحيد الله جل وعلا، وعلى أنواع الشرك الأكبر، فمن تلبس بالشرك من سائر الناس وهو بين المسلمين ممن بلغه القرآن والسنة فإنه يحكم عليه بالشرك، قال الله جل وعلا: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال الله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

فمن بلغه القرآن العظيم والسنة المطهرة، ثم تعاطى الشرك يحكم عليه بالشرك لتساهله وعدم عنايته بما أوجب الله عليه من التفقه في الدين ومن البصيرة، فإذا كان يدعو الأموات ويستغيث بالأموات أو بالنجوم أو بالأشجار والأحجار، أو بالأصنام، أو بالجن يدعوهم يستغيث بهم ينذر لهم فهذا شرك أكبر، يستتاب من ذلك يستتيبه ولي الأمر، فإن تاب و إلا وجب قتله على شركه بالله، كما قال النبي ﷺ: **(من بدل دينه فاقتلوه)**، والله بعث نبيه ﷺ بالدعوة إلى الله وجهاد المشركين، فإذا كان الرجل بين المسلمين وفي بلاد المسلمين، أو بين قوم بلغهم القرآن والسنة ثم تساهل واستمر على ما

هو عليه فإنه يحكم عليه بالشرك، إذا كان يدعو الأموات أو يستغيث بالأموات، وينذر لهم أو بالجن أو بالملائكة، أو بالأنبياء يقول يا سيدي فلان، أو يا نبي الله فلان اغفر لي أو أنجني من النار، أو أغثني أو اشف مريضي أو رد غائبي أو أنا في جوارك أنا في حسبك، يقول هذا للميت أو للجن أو للملائكة أو لغيرهم.

هذا من الشرك الأكبر، لأن الله يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، ويقول جل شأنه: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، ويقول جل وعلا: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤]، ويقول عن المشركين وهم جهال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، ويقول جل وعلا عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ وقال - سبحانه وتعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]، فسماهم كذبة بزعمهم أن أصنامهم تقربهم إلى الله زلفى، وسماهم كفرة بعبادتهم إياها وشركهم إياها.

حكم الاستهزاء بشعائر الدين:

س: ظهر في كثير من المجتمعات الإسلامية الاستهزاء بشعائر الدين الظاهرة كإعفاء اللحى وتقصير الثياب ونحوهما - فهل مثل هذا الاستهزاء بالدين الذي يخرج من الملة؟ وبماذا تنصحون من وقع في مثل هذا الأمر وفقكم الله؟

ج: لا ريب أن الاستهزاء بالله ورسوله وبآياته وبشرعه وأحكامه من جملة أنواع الكفر لقول الله عز وجل: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

ويدخل في ذلك الاستهزاء بالتوحيد أو بالصلاة أو بالزكاة أو الصيام أو الحج أو غير ذلك من أحكام الدين المتفق عليها.

أما الاستهزاء بمن يعفي لحيته، أو يقصر ثيابه ويحذر الإسبال، أو نحو ذلك من الأمور التي قد تخفى أحكامها، فهذا فيه تفصيل، والواجب الحذر من ذلك، ونصيحة من يعرف منه شيء من ذلك حتى يتوب إلى الله سبحانه ويلتزم بشرعه، ويحذر الاستهزاء بمن تمسك بالشرع في ذلك، طاعة لله عز وجل ورسوله ﷺ، وحذرا من غضب الله وعقابه، والردة عن دينه وهو لا يشعر، نسأل الله لنا وللمسلمين جميعا العافية من كل سوء إنه خير مسؤول. والله ولي التوفيق.

بعض أحكام المزاح:

س: المزاح بألفاظ فيها: كفر أو فسق أمر موجود في بعض المجتمعات المسلمة، فحبذا لو ألقى سماحتكم الضوء على هذا الأمر، وموقف طلبة العلم والدعاة منه؟.

لا شك أن المزاح بالكذب وأنواع الكفر من أعظم المنكرات ومن أخطر ما يكون بين الناس في مجالسهم. فالواجب الحذر من ذلك وقد حذر الله من ذلك بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

وقد قال كثير من السلف رحمهم الله: «إنها نزلت في قوم قالوا فيما بينهم في بعض أسفارهم مع النبي ﷺ: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا

أجبن عند اللقاء، فأنزل الله فيهم هذه الآية». وصح عن النبي ﷺ أنه قال: (**ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ثم ويل له**)[1].

فالواجب على أهل العلم وعلى جميع المؤمنين والمؤمنات، الحذر من ذلك والتحذير منه، لما في ذلك من الخطر العظيم والفساد الكبير والعواقب الوخيمة، عافانا الله والمسلمين من ذلك، وسلك بنا وبهم صراطه المستقيم إنه سميع مجيب.

حكم سب الله عز وجل أو الرسول ﷺ:

س: ما حكم من سب الله أو سب رسوله أو انتقصهما، وما حكم من جحد شيئا مما أوجب الله، أو استحل شيئا مما حرم الله؟ ابسطوا لنا الجواب في ذلك لكثرة وقوع هذه الشرور من كثير من الناس؟.

ج: كل من سب الله سبحانه بأي نوع من أنواع السب، أو سب الرسول محمدا ﷺ، أو غيره من الرسل بأي نوع من أنواع السب أو سب الإسلام، أو تنقص أو استهزأ بالله أو برسوله ﷺ فهو كافر مرتد عن الإسلام إن كان يدعي الإسلام بإجماع المسلمين لقول الله عز وجل: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥]. وقد بسط العلامة الإمام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله الأدلة في هذه المسألة في كتابه: "الصارم المسلول على شاتم الرسول"، فمن أراد الوقوف على الكثير من الأدلة في ذلك فليراجع هذا الكتاب لعظم فائدته ولجلالة مؤلفه، واتساع علمه بالأدلة الشرعية رحمه الله.

وهكذا الحكم في حق من جحد شيئا مما أوجبه الله أو استحل شيئا مما حرمه الله من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، كمن جحد وجوب الصلاة، أو وجوب الزكاة، أو

---

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي بإسناد صحيح.

وجوب صوم رمضان، أو وجوب الحج في حق من استطاع السبيل إليه، أو جحد وجوب بر الوالدين أو نحو ذلك، ومثل ذلك من استحل شرب الخمر أو عقوق الوالدين، أو استحل أموال الناس ودماءهم بغير حق، أو استحل الربا أو نحو ذلك من المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة وبإجماع سلف الأمة، فإنه كافر مرتد عن الإسلام إن كان يدعي الإسلام بإجماع أهل العلم. وقد بسط العلماء رحمهم الله هذه المسائل وغيرها من نواقض الإسلام في باب حكم المرتد، وأوضحوا أدلتها فمن أراد الوقوف على ذلك فليراجع هذا الباب في كتب أهل العلم من الحنابلة والشافعية والمالكية والحنفية وغيرهم، ليجد ما يشفيه ويكفي إن شاء الله.

ولا يجوز أن يعذر أحد بدعوى الجهل في ذلك؛ لأن هذه الأمور من المسائل المعلومة بين المسلمين وحكمها ظاهر في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.

والله ولي التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

حكم من استهزأ بالرسول العظيم ﷺ أو سبه أو تنقصه أو استحل شيئا مما حرمه:

س: بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله..

لقد اطلعت على ما نشرته صحيفة صوت الإسلام بالقاهرة نقلا عن صحيفة المساء المصرية الصادرة في ٢٩ يناير الماضي من الجرأة على الجناب الرفيع والمقام العظيم مقام سيدنا وإمامنا: محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا بتمثيله بحيوان من أدنى الحيوانات، وهو الديك.

ج: لا يشك مسلم أن هذا التمثيل كفر بواح، وإلحاد سافر واستهزاء صريح بمقام سيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين وقائد الغر المحجلين، إنها لجرأة تحزن كل مسلم، وتدمي قلب كل مؤمن، وتوجب اللعنة والعار والخلود في النار، وغضب العزيز

الجبار، والخروج من دائرة الإسلام والإيمان إلى حيز الشرك والنفاق والكفران لمن قالها أو رضي بها، ولقد نطق كتاب الله الكريم بكفر من استهزأ بالرسول العظيم، أو بشيء من كتاب الله المبين، وشرعه الحكيم، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥]، فهذه الآية الكريمة نص ظاهر وبرهان قاطع على كفر من استهزأ بالله العظيم أو رسوله الكريم أو كتابه المبين، وقد أجمع علماء الإسلام في جميع الأعصار والأمصار على كفر من استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه أو شيء من الدين، وأجمعوا على أن من استهزأ بشيء من ذلك وهو مسلم أنه يكون بذلك كافرا مرتدا عن الإسلام يجب قتله. لقول الرسول ﷺ: **(من بدل دينه فاقتلوه)** ومن الأدلة القاطعة على كفر من استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه: أن الاستهزاء تنقص واحتقار للمستهزأ به، والله سبحانه له صفة الكمال، كتابه من كلامه، وكلامه من صفات كماله عز وجل، ورسوله محمد ﷺ هو أكمل الخلق وسيدهم وخاتم المرسلين وخليل رب العالمين، فمن استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه أو شيء من دينه فقد تنقصه واحتقره، واحتقار شيء من ذلك وتنقصه كفر ظاهر ونفاق سافر وعداء لرب العالمين وكفر برسوله الأمين وقد نقل غير واحد من أهل العلم إجماع العلماء على كفر من سب الرسول الكريم ﷺأو تنقصه، وعلى وجوب قتله.

قال الإمام أبو بكر ابن المنذر رحمه الله: «أجمع عوام أهل العلم على أن حد من سب النبي ﷺ القتل»، وممن قاله مالك والليث وأحمد وإسحاق، وهو مذهب الشافعي انتهى. وقوله: "عوام" جمع عامة، والعامة هنا بمعنى الجماعة، فمراده رحمه الله أن جماعات العلماء أجمعوا على وجوب قتل من سب النبي ﷺ ولاشك أن السب يتنوع أنواعا كثيرة، ولا ريب أن الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام وتنقصه وتمثيله بحيوان حقير من

أقبح السب وأعظم التنقص، فيكون فاعل ذلك كافرا حلال الدم والمال. وقال القاضي عياض رحمه الله: «أجمعت الأمة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه»، انتهى. وقال محمد ابن سحنون من أئمة المالكية: «أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ والمتنقص له كافر، والوعيد جاء عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر»، انتهى.

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله بعدما نقل أقوال العلماء في شاتم الرسول ﷺ ومتنقصه في كتابه: "الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ" ما نصه: وتحرير القول فيه: «أن الساب إن كان مسلما أنه يكفر ويقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم، وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: من شتم الرسول ﷺ أو انتقصه مسلما كان أو كافرا فعليه القتل، وأرى أن يقتل ولا يستتاب» انتهى. وكلام العلماء في هذا الباب كثير، وفيما نقلنا عنهم كفاية لطالب الحق...

من هو الذي يعذر بالجهل في العقيدة والأمور الفقهية؟

س: من هم الذين يعذرون بالجهل؟ وهل يعذر الإنسان بجهله في الأمور الفقهية؟ أم في أمور العقيدة والتوحيد؟ وما هو واجب العلماء نحو هذا الأمر؟

ج: دعوى الجهل والعذر به فيه تفصيل، وليس كل واحد يعذر بالجهل، فالأمور التي جاء بها الإسلام وبينها الرسول للناس وأوضحها كتاب الله وانتشرت بين المسلمين لا تقبل فيها دعوى الجهل ولا سيما ما يتعلق بالعقيدة وأصل الدين، فإن الله عز وجل بعث نبيه ﷺ ليوضح للناس دينهم ويشرحه لهم، وقد بلغ البلاغ المبين وأوضح للأمة حقيقة دينها، وشرح لها كل شيء، وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، وفي كتاب الله الهدى والنور فإذا ادعى بعض الناس الجهل فيما هو معلوم من الدين بالضرورة، وقد انتشر

بين المسلمين، كدعوى الجهل بالشرك وعبادة غير الله عز وجل، أو دعوى أن الصلاة غير واجبة، أو أن صيام رمضان غير واجب أو أن الزكاة غير واجبة، أو أن الحج مع الاستطاعة غير واجب، فهذا وأمثاله لا تقبل فيه دعوى الجهل ممن هو بين المسلمين؛ لأنها أمور معلومة بين المسلمين. وقد عُلِمت بالضرورة من دين الإسلام وانتشرت بين المسلمين فلا تقبل دعوى الجهل في ذلك، وهكذا إذا ادعى أحد بأنه يجهل ما يفعله المشركون عند القبور أو عند الأصنام من دعوة الأموات والاستغاثة بهم والذبح لهم والنذر لهم، أو الذبح للأصنام أو الكواكب أو الأشجار أو الأحجار، أو طلب الشفاء أو النصر على الأعداء من الأموات أو الأصنام أو الجن أو الملائكة أو الأنبياء..

فكل هذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، وأنه شرك أكبر، وقد أوضح الله ذلك في كتابه الكريم وأوضحه رسوله ﷺ، وبقي ثلاث عشرة سنة في مكة وهو ينذر الناس هذا الشرك وهكذا في المدينة عشر سنين، يوضح لهم وجوب إخلاص العبادة لله وحده ويتلو عليهم كتاب الله مثل قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله عز وجل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢- ٣]، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، وبقوله سبحانه مخاطبا الرسول ﷺ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ١-٢]، وبقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وبقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ

ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وهكذا الاستهزاء بالدين والطعن فيه والسخرية به والسب كل هذا من الكفر الأكبر ومما لا يعذر فيه أحد بدعوى الجهل؛ لأنه معلوم من الدين بالضرورة أن سب الدين أو سب الرسول ﷺ من الكفر الأكبر وهكذا الاستهزاء والسخرية، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

فالواجب على أهـل العلم في أي مكان أن ينشروا هذا بين الناس، وأن يظهروه حتى لا يبقى للعامة عذر، وحتى ينتشر بينهم هذا الأمر العظيم، وحتى يتركوا التعلق بالأموات والاستعانة بهم في أي مكان في مصر أو الشام أو العراق أو في المدينة عند قبر النبي ﷺ أو في مكة أو غير ذلك، وحتى ينتبه الحجيج وينتبه الناس ويعلموا شرع الله ودينه، فسكوت العلماء من أسباب هلاك العامة وجهلهم، فيجب على أهل العلم أينما كانوا أن يبلغوا الناس دين الله، وأن يعلموهم توحيد الله وأنواع الشرك بالله حتى يدعوا الشرك على بصيرة، وحتى يعبدوا الله وحده على بصيرة، وهكذا ما يقع عند قبر البدوي أو الحسين رضي الله عنه، أو عند قبر الشيخ عبد القادر الجيلاني، أو عند قبر النبي ﷺ في المدينة، أو عند غيرهم يجب التنبيه على هذا الأمر وأن يعلم الناس أن العبادة حق لله وحده ليس لأحد فيها حق كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، وقال سبحانه: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢- ٣]، وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، يعني أمر ربك، فالواجب على أهل العلم في جميع البلاد الإسلامية وفي مناطق الأقليات الإسلامية وفي كل مكان أن يعلموا الناس توحيد الله، وأن يبصروهم بمعنى عبادة الله وأن يحذروهم من الشرك بالله عز وجل الذي هو أعظم الذنوب، وقد خلق الله الثقلين ليعبدوه وأمرهم

بذلك، لقوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وعبادته هي: طاعته وطاعة رسوله ﷺ وإخلاص العبادة له وتوجيه القلوب إليه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

أما المسائل التي قد تخفى مثل بعض مسائل المعاملات وبعض شؤون الصلاة وبعض شؤون الصيام أو الحج فقد يعذر فيها الجاهل؟ كما عذر النبي ﷺ الذي أحرم في جبة وتلطخ بالطيب فقال له النبي ﷺ: (**اخلع عنك الجبة واغسل عنك هذا الطيب واصنع في عمرتك ما أنت صانع في حجتك**)، ولم يأمره بفدية لجهله، وهكذا بعض المسائل التي قد تخفى، يعلم فيها الجاهل ويبصر فيها، أما أصول العقيدة وأركان الإسلام والمحرمات الظاهرة فلا يقبل في ذلك دعوى الجهل من أي أحد بين المسلمين، فلو قال أحد وهو بين المسلمين: إنني ما أعرف أن الزنا حرام فلا يعذر، أو قال: ما أعرف أن عقوق الوالدين حرام فلا يعذر، بل يضرب ويؤدب، أو قال: ما أعرف أن اللواط حرام فلا يعذر؛ لأن هذه أمور ظاهرة معروفة بين المسلمين في الإسلام. لكن لو كان في بعض البلاد البعيدة عن الإسلام، أو في مجاهل أفريقيا التي لا يوجد حولها مسلمون قد يقبل منه دعوى الجهل، وإذا مات على ذلك يكون أمره إلى الله، ويكون حكمه حكم أهل الفترة، والصحيح أنهم يمتحنون يوم القيامة، فإن أجابوا وأطاعوا دخلوا الجنة وإن عصوا دخلوا النار، أما الذي بين المسلمين ويقوم بأعمال الكفر بالله ويترك الواجبات المعلومة، فهذا لا يعذر؛ لأن الأمر واضح والمسلمون بحمد الله موجودون، ويصومون ويحجون،، ويعرفون أن الزنا حرام وأن الخمر حرام، وأن العقوق حرام وكل هذا معروف بين المسلمين وفاشٍ بينهم، فدعوى الجهل في ذلك دعوى باطلة، والله المستعان.

س: ما حكم نصب القباب على قبور الصالحين بقصد تشريفهم وتكريمهم، وما حكم التبرك بها، والاستشفاء بها، والصلاة عندها، وخاصة صلاة الأعياد، وبماذا تنصحون الناس؟

ج: نصب القباب على القبور منكر ومن وسائل الشرك، وكهذا البناء عليها من المساجد كله منكر ومن عمل اليهود والنصارى؛ يقول النبي ﷺ: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، فالواجب الحذر من ذلك وعدم التشبه بهم لأنهم فعلوا ما يسبب الشرك، والرسول ذمهم على هذا ولعنهم عليه. والواجب هدمها الواجب على ولاة الأمور إذا كانوا مسلمين أن يهدموها أو يزيلوها وتبقى القبور مكشوفة ليس عليها قباب ولا مساجد، كما كانت في عهد النبي ﷺ، وعهد الصحابة، وكما كانت عند أهل السنة في مقابرهم، وكما في المملكة العربية السعودية بحمد الله فإنها مكشوفة وليس عليها بناء. ولا يجوز التبرك بها ولا دعاء أهلها ولا الاستغاثة بهم ولا النذر لهم بل هذا من الشرك الأكبر، دعاؤهم والاستغاثة بهم والنذر لهم وطلب البركة منهم كله من الشرك الأكبر، نعوذ بالله، وهكذا الذبح لهم. فيجب على المسلم أن يحذر هذه الأمور وأن يُحذِّرها غيره. والله المستعان.

س: كنا نصلي في مسجد فإذا بإمامه يأمر الناس بفعل ما حرم الله في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، فمثلاً في خطبة الجمعة أمرنا بان نتبرك بقبور الصالحين، سواءً كانوا أمواتاً أم أحياء، كما أمرنا في حالة السؤال أن نقول بجاه فلان، هل يجوز أن نصلي خلف هذا الإمام أم لا؟

ج: لا يجوز الصلاة خلف هذا، الذي يأمر بالتبرك بالصالحين وقبورهم هذا جاهل بالحكم الشرعي وجاهلٌ بالتوحيد، أما كلمة بجاه هذه كلمة بدعة لا تكون كفراً، بجاه فلان أو بحق فلان، لا تجوز؛ لأن الرسول ﷺ لم يفعل هذا ولا أصحابه وليست من

التوسل الشرعي، بل الواجب ترك ذلك، فلا يجوز للمسلم أن يقول في دعائه بجاه محمد أو بجاه فلان، أو بجاه الأولياء أو بحق الأنبياء؛ لأن هذا لم يشرع ولم يرد في أدعية النبي ﷺ ولا أدعية الصحابة رضي الله عنهم، أما كونه يأمر بالتبرك بقبور الصالحين فهذا كلام مجمل، التبرك بقبور الصالحين يقتضي أنه يسألهم ويتبرك بترابهم أو يتبرك بسؤالهم، أو الاستغاثة بهم هذا كلامٌ شديد خطير، فمثل هذا يدل على جهله، وينبغي أن يعزل ولا يكون إمام، ينبغي أن يسعى لدى المسؤولين في إبدالهم لغيره، ولا يصلى خلفه إلا إذا عُلِّم وبين له الحق وتاب من ذلك فلا حرج إن شاء الله، إذا استقام وتاب فالتوبة تجب ما قبلها.

س: ما حكم الإسلام في إحياء الآثار الإسلامية لأخذ العبرة مثل (غار ثور وغار حراء وخيمتي أم معبد) وتعبيد الطرق للوصول لتلك الآثار ليعرف جهاده ﷺ ويتأسى به؟

ج: إن العناية بالآثار على وجه الاحترام والتعظيم يؤدي إلى الشرك بالله عز وجل؛ لأن النفوس ضعيفة ومجبولة على التعلق بما تظن أنه يفيدها. والشرك بالله أنواعه كثيرة غالب الناس لا يدركها، والذي يقف عند هذه الآثار يتضح له كيف يتمسح الجاهل بترابها ويصلي عندها، ويدعو من نسبت إليه ظنا منه أن ذلك قربة إلى الله وسبب لحصول الشفاء، ويعين على هذا كثير من دعاة الضلال ويزينون زيارتها، حتى يحصل بسبب ذلك الكسب المادي، وليس هناك من يخبر زوارها بأن المقصود العبرة فقط، بل الغالب على العكس. وروى الترمذي وغيره بإسناد صحيح عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: **(الله أكبر! إنها السنن قلتم - والذي نفسي بيده -**

كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال: إنكم قوم تجهلون)[1]. فشبه قولهم: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط بقول بني إسرائيل: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، فدل ذلك على أن الاعتبار بالمعاني والمقاصد لا بمجرد الألفاظ. ولو كان إحياء هذه الآثار أو زيارتها أمرا مشروعا لفعله النبي ﷺ، أو أمر بذلك، أو فعله أصحابه أو أرشدوا إليه، وهم أعلم الناس بشريعة الله وأحبهم لرسول الله ﷺ، فلم يحفظ عنه ولا عنهم أنهم زاروا غار حراء، أو غار ثور، ولم يحفظ أنهم عرجوا على موضع خيمتي أم معبد ولا محل شجرة البيعة، بل لما رأى عمر رضي الله عنه بعض الناس يذهب إلى الشجرة التي بويع النبي ﷺ تحتها أمر بقطعها خوفا على الناس من الغلو فيها والشرك، فشكر له المسلمون ذلك وعدوه من مناقبه رضي الله عنه، فعلم بذلك أن زيارة تلك الآثار وتمهيد الطرق إليه أمر مبتدع لا أصل له في شرع الله، والواجب على علماء المسلمين وولاة أمورهم أن يسدوا الذرائع المفضية إلى الشرك، حماية لجناب التوحيد. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم[2]..

القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على عبده ورسوله وخليله، وأمينه على وحيه، نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه، ومن سلك سبيله، واهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد: فلا ريب أن سلامة العقيدة أهم الأمور، وأعظم الفرائض، ولهذا رأيت أن يكون عنوان هذه الكلمة: «القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها».

العقيدة: هي ما يعتقده الإنسان ويدين به من خير وشر، من فساد وصلاح. والمطلوب: هو التمسك بالعقيدة الصحيحة، وما يجب على العبد في ذلك؛ لأن في هذا

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٢١٨ والترمذي ٢١٨.

(٢) من فتاوى علماء البلد الحرام إعداد خالد الجريسي ص١٠٧٢، ١٠٧٣.

العالم عقائد كثيرة، كلها فاسدة إلا العقيدة التي جاء بها كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وهي العقيدة الإسلامية الصافية النقية من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، هذه هي العقيدة التي جاء بها كتاب الله، ودلت عليها سنة رسول الله ﷺ، وهي الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال عز وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فالإسلام هو دين الله لا يقبل من أحد سواه، قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وهو دين الأنبياء كلهم.

فهو دين آدم أبينا عليه الصلاة والسلام، وهو دين الأنبياء بعده نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وداود، وسليمان، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ودين غيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو دين نبينا محمد عليه الصلاة والسلام الذي بعثه الله به للناس عامة، قال النبي عليه الصلاة والسلام: **(الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد)**[1]، وفي لفظ: **(أولاد علّات)** والمعنى: أن دين الأنبياء واحد وهو توحيد الله، والإيمان بأنه رب العالمين، وأنه الخلاق العليم، وأنه المستحق للعبادة دون كل ما سواه، والإيمان بالآخرة والبعث والنشور، والجنة والنار والميزان، وغير هذا من أمور الآخرة، أما الشرائع فهي مختلفة، وهذا معنى: **(أولاد علّات)** أولاد لضرّات، كنى بهذا عن الشرائع، كما قال سبحانه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]. إخوة

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٣٤٤٢، ٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال في (مختار الصحاح): «بنو العلات: أولاد الرجل من نسوة شتى، سميت بذلك لأن الذي تزوج أخرى على أولى قد كانت قبلها ناهل، ثم علَّ من هذه العلل: الشرب الثاني، يقال عَلَلٌ بعد نهل» ا.هـ. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «معنى الحديث: أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع»، انظر: فتح الباري ٦/ ٤٨٩.

الأب: أبوهم واحد وأمهاتهم متفرقات، هكذا الأنبياء دينهم واحد وهو توحيد الله والإخلاص له.

وهو معنى (لا إله إلا الله)، وهو إفراد الله بالعبادة، والإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وما يتفرع بعد ذلك من البعث والنشور، والجنة والنار، والميزان والحساب والصراط، وغير هذا.

هكذا الأنبياء دينهم واحد، كلهم جاءوا بهذا الأمر - عليهم الصلاة والسلام - ولكن الشرائع تفرقت، بمثابة الأولاد لأمهات العلات، فشريعة التوراة فيها ما ليس في شريعة الإنجيل، وفي الشرائع التي قبلها أشياء ليست فيها، وفي شريعة نبينا محمد ﷺ أشياء غير ما في التوراة والإنجيل، فقد يسر الله على هذه الأمة وخفف عنها الكثير، كما قال جل وعلا: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال عليه الصلاة والسلام: (بعثت بالحنيفية السمحة)، فالله بعثه بشريعة سمحة ليس فيها آصار، وليس فيها أغلال، وليس فيها حرج، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، كان أتباع الشرائع الماضية قبل شريعة نبينا ﷺ لا يتيممون عند فقد الماء، بل يؤخرون الصلوات ويجمعونها حتى يجدوا الماء، ثم يتوضئون ويصلون، وجاء في هذه الشريعة المحمدية التيمم، فمن عدم الماء أو عجز عنه تيمم بالتراب وصلى، وجاء في ذلك أنواع كثيرة من التيسير والتسهيل.

وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعث النبي محمد ﷺ إلى الناس عامة، إلى الجن والإنس، والعرب والعجم، وجعله الله خاتم الأنبياء. وكان من قبلنا لا يصلون إلا في بيعهم ومساجدهم ومحلات صلاتهم، أما في هذه الشريعة المحمدية فإنك تصلي حيث

كنت، في أي أرض الله حضرت الصلاة صليت، في أي أرض الله من الصحاري والقفار، كما قال عليه الصلاة والسلام: (وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)[1].

فالشريعة الإسلامية التي جاء بها نبينا ﷺ شريعة واسعة ميسرة ليس فيها حرج ولا أغلال، ومن ذلك المريض لا يلزمه الصوم، بل له أن يفطر ويقضي، والمسافر يقصر الصلاة الرباعية، ويفطر في رمضان، ويقضي الصوم، كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، والمصلي إن عجز عن القيام صلى قاعداً، وإن عجز عن القعود صلى على جنبه، وإن عجز عن الصلاة على جنبه صلى مستلقياً، كما صحت بذلك السنة عن رسول الله ﷺ.

وإذا لم يجد من الأكل ما يسد رمقه من الحلال جاز له أن يأكل من الميتة ونحوها ما يسد رمقه حتى لا يموت.

فالعقيدة الإسلامية هي توحيد الله والإخلاص له سبحانه، والإيمان به، وبرسله، وبكتبه، وبملائكته، وباليوم الآخر من البعث والنشور، ومن الجنة والنار وغير ذلك من أمور الآخرة، والإيمان بالقدر خيره وشره، وأنه سبحانه قدر الأشياء، وعلمها وأحاط بها، وكتبها عنده سبحانه وتعالى. ومن أركان الإسلام الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج. ومن واجباته وفرائضه الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، إلى غير ذلك.

فالإسلام: هو الاستسلام لله، والانقياد له سبحانه بتوحيده، والإخلاص له والتمسك بطاعته وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام، ولهذا سمي إسلاماً؛ لأن المسلم يسلم أمره لله، ويوحده سبحانه، ويعبده وحده دون ما سواه، وينقاد لأوامره ويدع نواهيه، ويقف عند حدوده، هكذا الإسلام.

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٣٣٥، ٤٣٨، ٣١٢٢)، ومسلم (٥٢١).

وله أركان خمسة وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.

والشهادتان معناهما: توحيد الله والإخلاص له، والإيمان بأن محمداً رسوله عليه الصلاة والسلام إلى جميع الثقلين الجن والإنس، وهاتان الشهادتان هما أصل الدين، وهما أساس الملة، فلا معبود بحق إلا الله وحده، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، كما قال عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

وأما شهادة أن محمداً رسول الله فمعناها أن تشهد عن يقين وعلم أن محمد بن عبدالله ابن عبد المطلب الهاشمي المكي ثم المدني هو رسول الله حقاً، وهو أشرف عباد الله، وقرابته وأسرته هم أفضل العرب على الإطلاق، فهو خيار من خيار من خيار عليه الصلاة والسلام، وهو أشرف الخلق وسيد ولد آدم ﷺ وعلى آله وأصحابه.

فعليك أن تؤمن بأن الله بعثه للناس عامة إلى الجن والإنس، إلى الذكور والإناث، إلى العرب والعجم، إلى الأغنياء والفقراء، إلى الحاضرة والبادية، هو رسول الله إلى الجميع، من اتبعه فله الجنة، ومن خالف أمره فله النار، قال النبي ﷺ: (**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**)، قيل: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: (**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**)[1].

فهذه العقيدة الإسلامية العظيمة مضمونها توحيد الله، والإخلاص له، والإيمان برسوله محمد ﷺ وأنه رسوله حقاً، والإيمان بجميع المرسلين، مع الإيمان بوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج، والإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله، هذه هي العقيدة الإسلامية المحمدية، وقد وقع من بعض الناس قوادح فيها، ونواقض تنقضها يجب أن نبينها في هذه الكلمة.

---

(١) صحيح البخاري ٨/ ١٣٩.

والقوادح قسمان:

قسم ينقض هذه العقيدة ويبطلها، فيكون صاحبه كافراً نعوذ بالله. وقسم ينقص هذه العقيدة ويضعفها.

فالأول: يسمى ناقضاً، وهو: الذي يبطلها ويفسدها، ويكون صاحبه كافراً مرتداً عن الإسلام، وهذا النوع هو القوادح المكفرة، وهي نواقض الإسلام، وهي الموجبة للردة، وهذه تسمى نواقض.

والناقض يكون قولاً، ويكون عملاً، ويكون اعتقاداً، ويكون شكاً، فقد يرتد الإنسان بقول يقوله أو بعمل يعمله، أو باعتقاد يعتقده، أو بشك يطرأ عليه، هذه الأمور الأربعة كلها يأتي منها الناقض الذي يقدح في العقيدة ويبطلها، وقد ذكرها أهل العلم في كتبهم وسموا بابها: "باب حكم المرتد".

فكل مذهب من مذاهب العلماء، وكل فقيه من الفقهاء ألف كتباً في الغالب عندما يذكر الحدود يذكر "باب حكم المرتد"، وهو الذي يكفر بعد الإسلام، ويسمى هذا مرتداً، يعني أنه رجع عن دين الله وارتد عنه، قال فيه النبي ﷺ: **(من بدل دينه فاقتلوه)**[1].

وفي الصحيحين[2]: (أن النبي ﷺ بعث أبا موسى الأشعري إلى اليمن ثم أتبعه معاذ ابن جبل رضي الله عنهما فلما قدم عليه قال: انزل وألقى له وسادة، وإذا رجل عنده موثق قال: ما هذا؟ قال: هذا كان يهودياً فأسلم، ثم راجع دينه - دين السوء - فتهود، فقال معاذ: لا أنزل حتى يقتل قضاء الله ورسوله، فقال: انزل، قال: لا أنزل حتى يقتل قضاء الله ورسوله

---

(١) صحيح البخاري (٣٠١٧).

(٢) صحيح البخاري (٦٩٢٣)، صحيح مسلم (١٥، ١٧٣٣)، واللفظ هنا لمسلم في باب: (النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها)، من كتاب الإمارة.

ثلاث مرات، فأمر به أبو موسى ﷺ فقتل)، فدل ذلك على أن المرتد عن الإسلام يقتل إذا لم يتب، يستتاب فإن تاب ورجع فالحمد لله، وإن لم يرجع وأصر على كفره وضلاله يقتل، ويعجل به إلى النار؛ لقوله ﷺ: (من بدل دينه فاقتلوه)[1].

فالنواقض التي تنقض الإسلام كثيرة منها:

الردة بالقول:

مثل سب الله، هذا قول ينقض الدين، وهكذا سب الرسول ﷺ، يعني اللعن والسب لله ولرسوله، أو للعيب والتنقص، مثل أن يقول: إن الله ظالم، إن الله بخيل، إن الله فقير، إن الله جل وعلا لا يعلم بعض الأمور، أو لا يقدر على بعض الأمور، كل هذه الأقوال وأشباهها سب وردة عن الإسلام.

فمن انتقص الله أو سبه أو عابه بشيء فهو كافر مرتد عن الإسلام - نعوذ بالله من ذلك - وهذه ردة قولية، إذا سب الله أو استهزأ به أو تنقصه أو وصفه بأمر لا يليق، كما تقول اليهود: إن الله بخيل، إن الله فقير ونحن أغنياء، وهكذا لو قال: إن الله لا يعلم بعض الأمور، أو لا يقدر على بعض الأمور، أو نفى صفات الله ولم يؤمن بها، فهذا يكون مرتداً بأقواله السيئة.

أو قال مثلاً: إن الله لم يوجب علينا الصلاة فهذه ردة عن الإسلام، فمن قال: إن الله لم يوجب الصلاة فقد ارتد عن الإسلام بإجماع المسلمين، إلا إذا كان جاهلاً بعيداً عن المسلمين لا يعرف فيعلم، فإن أصر كفر، وأما إذا كان بين المسلمين، ويعرف أمور الدين، ثم قال: ليست الصلاة بواجبة فهذه ردة، يستتاب منها، فإن تاب وإلا قتل.

أو قال: الزكاة غير واجبة على الناس، أو قال: صوم رمضان غير واجب على الناس، أو الحج مع الاستطاعة غير واجب على الناس، من قال هذه المقالات كفر إجماعاً، ويستتاب فإن تاب وإلا قتل، نعوذ بالله من ذلك، وهذه الأمور ردة قولية.

---

(١) صحيح البخاري (٣٠١٧).

ومنها الردة بالفعل:

والردة الفعلية مثل ترك الصلاة، فكونه لا يصلي وإن قال: إنها واجبة، لكن لا يصلي هذه ردة على الأصح من أقوال العلماء؛ لقول النبي ﷺ: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)[١]، وقوله ﷺ: (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)[٢].

وقال عبد الله بن شقيق العقيلي التابعي المتفق على جلالة قدره رحمه الله: (كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة)[٣]. وهذه ردة فعلية، وهي ترك الصلاة عمداً.

ومن ذلك لو استهان بالمصحف الشريف وقعد عليه مستهيناً به، أو لطخه بالنجاسة عمداً، أو وطأه بقدمه يستهين به، فإنه يرتد بذلك عن الإسلام.

ومن الردة الفعلية كونه يطوف بالقبور يتقرب لأهلها بذلك، أو يصلي لهم أو للجن، وهذه ردة فعلية، أما دعاؤه لهم والاستعانة بهم والنذر لهم فردة قولية.

أما من طاف بالقبور يقصد بذلك عبادة الله، فهو بدعة قادحة في الدين، ووسيلة من وسائل الشرك، ولا يكون ردة، إنما يكون بدعة قادحة في الدين إذا لم يقصد التقرب إليهم بذلك، وإنما فعل ذلك تقرباً إلى الله سبحانه جهلاً منه.

---

(١) رواه الإمام أحمد، والترمذي والنسائي وابن ماجه بإسناد صحيح.
انظر: المسند ٥/ ٣٤٦، سنن الترمذي (٢٦٢٣)، سنن النسائي ١/ ٢٣١، ٢٣٢، سنن ابن ماجه (١٠٧٩) من حديث بريدة رضي الله عنه.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٣٥)، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة برقم (٨٦)، ورواه الإمام أحمد بلفظ: (بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة)، المسند ٣/ ٣٨٩.

(٣) رواه الترمذي وإسناده صحيح.

ومن الكفر الفعلي كونه يذبح لغير الله، ويتقرب لغيره سبحانه بالذبائح، يذبح البعير أو الشاة أو الدجاجة أو البقرة لأصحاب القبور تقرباً إليهم يعبدهم بها، أو للجن يعبدهم بها، أو للكواكب يتقرب إليها بذلك، وهذا مما أهل به لغير الله، فيكون ميتة، ويكون كفراً أكبر، نسأل الله العافية من ذلك، هذه كلها من أنواع الردة والنواقض عن الإسلام الفعلية.

ومنها: الردة بالاعتقاد:

ومن أنواع الردة العقدية التي يعتقدها بقلبه وإن لم يتكلم بها ولم يفعل، بل بقلبه يعتقد، إذا اعتقد بقلبه أن الله جل وعلا فقير، أو أنه بخيل، أو أنه ظالم، ولو أنه ما تكلم، ولو لم يفعل شيئاً، هذا كفر بمجرد هذه العقيدة بإجماع المسلمين. أو اعتقد بقلبه أنه لا يوجد بعث ولا نشور، وأن كل ما جاء في هذا ليس له حقيقة، أو اعتقد بقلبه أنه لا يوجد جنة أو نار، ولا حياة أخرى، إذا اعتقد ذلك بقلبه ولو لم يتكلم بشيء، هذا كفر وردة عن الإسلام نعوذ بالله من ذلك وتكون أعماله باطلة، ويكون مصيره إلى النار بسبب هذه العقيدة.

وهكذا لو اعتقد بقلبه ولو لم يتكلم أن محمداً ﷺ ليس بصادق، أو أنه ليس بخاتم الأنبياء وأن بعده أنبياء، أو اعتقد أن مسيلمة الكذاب نبي صادق، فإنه يكون كافراً بهذه العقيدة.

أو اعتقد بقلبه أن نوحاً أو موسى أو عيسى أو غيرهم من الأنبياء عليهم السلام أنهم كاذبون أو أحداً منهم هذا ردة عن الإسلام، أو اعتقد أنه لا بأس أن يدعى مع الله غيره كالأنبياء أو غيرهم من الناس، أو الشمس والكواكب أو غيرها، إذا اعتقد بقلبه ذلك صار مرتداً عن الإسلام؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ

وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فمن زعم أو اعتقد أنه يجوز أن يعبد مع الله غيره من ملك، أو نبي، أو شجر، أو جن، أو غير ذلك فهو كافر، وإذا نطق وقال بلسانه ذلك صار كافراً بالقول والعقيدة جميعاً، وإن فعل ذلك ودعا غير الله واستغاث بغير الله صار كافراً بالقول والعمل والعقيدة جميعاً، نسأل الله العافية من ذلك.

ومما يدخل في هذا ما يفعله عباد القبور اليوم في كثير من الأمصار من دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، وطلب المدد منهم، فيقول بعضهم: يا سيدي المدد المدد، يا سيدي الغوث الغوث، أنا بجوارك اشف مريضي، ورد غائبي، وأصلح قلبي، يخاطبون الأموات الذين يسمونهم الأولياء، ويسألونهم هذا السؤال، نسوا الله وأشركوا معه غيره - تعالى الله عن ذلك - فهذا كفر قولي وعقدي وفعلي.

وبعضهم ينادي من مكان بعيد وفي أمصار متباعدة يا رسول الله انصرني ونحو هذا، وبعضهم يقول عند قبره: يا رسول الله اشف مريضي، يا رسول الله: المدد المدد، انصرنا على أعدائنا، أنت تعلم ما نحن فيه، انصرنا على أعدائنا. والرسول ﷺ لا يعلم الغيب، إذ لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه، هذا من الشرك القولي والعملي، وإذا اعتقد مع ذلك أن هذا جائز وأنه لا بأس به صار شركاً قولياً وفعلياً وعقدياً نسأل الله العافية من ذلك. وهذا واقع في دول وبلدان كثيرة، وكان واقعاً في هذه البلاد، كان واقعاً في الرياض والدرعية قبل قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فقد كانت لهم آلهة في الرياض والدرعية وغيرهما، أشجار تعبد من دون الله، وأناس يقال: إنهم من الأولياء يعبدونهم مع الله، وقبور تعبد مع الله.

وكان قبر زيد بن الخطاب ﷺ موجوداً في الجبيلة حيث قتل في حروب الردة أيام مسيلمة، كان قبره يعبد من دون الله حتى هدم ذلك القبر ونسي اليوم والحمد لله بأسباب دعوة الشيخ محمد قدس الله روحه وجزاه عنا وعن المسلمين أفضل الجزاء.

وقد كان في نجد والحجاز من الشرك العظيم والاعتقادات الباطلة، ودعوة غير الله ما لا يعد ولا يحصى، فلما جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، أي قبل ما يزيد عن مائتي سنة، دعا إلى الله، وأرشد الناس، فعاداه كثير من العلماء الجهلة وأهل الهوى، لكن الله أيده بعلماء الحق، وبآل سعود - رحم الله الجميع - فدعا إلى الله، وأرشد الناس إلى توحيد الله، وبين لهم أن عبادة الجن والأحجار والأولياء والصالحين وغيرهم شرك من عمل الجاهلية، وأنها أعمال أبي جهل وأمثاله من كفار قريش في عبادتهم اللات والعزى، ومناة، وعبادة القبور، هذه هي أعمالهم، فبين رحمه الله للناس، وهدى الله على يديه من هدى، ثم عمت الدعوة بلاد نجد والحجاز وبقية الجزيرة العربية، وانتشر فيها التوحيد والإيمان، وترك الناس الشرك بالله وعبادة القبور والأولياء بعد أن كانوا يعبدونها إلا من رحم الله، بل كان بعضهم يعبد أناساً مجانين لا عقول لهم ويسمونهم أولياء، وهذا من عظيم جهلهم الذي كانوا واقعين فيه.

ومنها الردة بالشك:

عرضنا للردة التي تكون بالقول، والردة بالعمل، والردة بالعقيدة، أما الردة بالشك فمثل الذي يقول: أنا لا أدري هل الله حق أم لا؟ أنا شاك، هذا كافر كفر شك، أو قال: أنا لا أعلم هل البعث حق أم لا؟ أو قال: أنا لا أدري هل الجنة والنار حق أم لا؟ أنا لا أدري، أنا شاك.

فمثل هذا يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كافراً لشكه فيما هو معلوم من الدين بالضرورة وبالنص والإجماع.

فالذي يشك في دينه ويقول: أنا لا أدري هل الله حق؟ أو هل الرسول حق؟ وهل هو صادق أم كاذب؟ أو قال: لا أدري هل هو خاتم النبيين؟ أو قال: لا أدري مسيلمة كاذب أم لا؟ أو قال: ما أدري هل الأسود العنسي - الذي ادعى النبوة في اليمن - كاذب أم لا؟ هذه الشكوك كلها ردة عن الإسلام، يستتاب صاحبها ويبين له الحق، فإن تاب وإلا قتل. ومثل لو قال: أشك في الصلاة هل هي واجبة أم لا؟ أو الزكاة هل هي واجبة أم لا؟ وصيام رمضان هل هو واجب أم لا؟ أو شك في الحج مع الاستطاعة هل هو واجب في العمر مرة أم لا؟ فهذه الشكوك كلها كفر أكبر يستتاب صاحبها، فإن تاب وآمن وإلا قتل؛ لقول النبي ﷺ: (من بدل دينه فاقتلوه)[1].

فلا بد من الإيمان بأن هذه الأمور - أعني الصلاة والزكاة والصيام والحج - كلها حق وواجب على المسلمين بشروطها الشرعية، هذا الذي تقدم هو القسم الأول من القوادح، وهو القسم الذي ينقض الإسلام ويبطله، ويكون صاحبه مرتداً يستتاب، فإن تاب وإلا قتل.

أما النوع الثاني: فهو وجود القوادح دون الكفر، لكنها تضعف الإيمان وتنقصه، وتجعل صاحبها معرضاً للنار وغضب الله، لكن لا يكون صاحبها كافراً.

وأمثلة ذلك كثيرة منها: الزنا إذا آمن أنه حرام ولم يستحله، بل يزني ويعلم أنه عاص، هذا لا يكون كافراً وإنما يكون عاصياً، لكن إيمانه ناقص، وهذه المعصية قدحت في عقيدته لكن دون الكفر، فلو اعتقد أن الزنا حلال صار بذلك كافراً.

وهكذا لو قال: السرقة حلال، أو ما أشبه ذلك، يكون كافراً؛ لأنه استحل ما حرم الله، وكذلك الغيبة والنميمة وعقوق الوالدين وأكل الربا وأشباه ذلك، كل هذه من القوادح في العقيدة المضعفة للدين والإيمان.

وهكذا البدع، وهي أشد من المعاصي، فالبدع في الدين تضعف الإيمان، ولا تكون ردة ما لم يوجد فيها شرك.

---

(١) رواه البخاري في الصحيح.

من أمثلة البدع:

ومن أمثلة ذلك: بدعة البناء على القبور، كأن يبني على القبر مسجداً أو قبة، فهذه بدعة تقدح في الدين وتضعف الإيمان، لكن إذا بناها وهو لا يعتقد جواز الكفر بالله، ولم يقترن بذلك دعاء الميتين والاستغاثة بهم والنذر لهم، بل ظن أنه بفعله هذا يحترمهم ويقدرهم، فهذا العمل حينئذ ليس كفراً، بل بدعة قادحة في الدين تضعف الإيمان وتنقصه، ووسيلة إلى الشرك.

ومن أمثلة البدع: بدعة الاحتفال بالمولد النبوي حيث يحتفل بعض الناس في الثاني عشر من ربيع الأول بمولد النبي ﷺ، فهذا العمل بدعة لم يفعله النبي ﷺ ولا أصحابه ولا خلفاؤه الراشدون، ولم يفعلها أهل القرن الثاني ولا الثالث، بل هذه بدعة محدثة. أو الاحتفال بمولد البدوي، أو عبد القادر الجيلاني، أو غيرهما، فالاحتفال بالموالد بدعة من البدع، ومنكر من المنكرات التي تقدح في العقيدة؛ لأن الله ما أنزل بها من سلطان، وقد قال النبي ﷺ: (**وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة**)[1]، وقال ﷺ: (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**)[2]، أي: فهو مردود عليه، وقال ﷺ: (**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**)[3]، وقال: (**إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**)، فالبدع من القوادح في الدين التي دون الكفر، إذا لم يكن فيها كفر، أما إذا كان في الاحتفال بالمولد دعوة الرسول ﷺ والاستغاثة به وطلب النصر صار شركاً بالله، وكذا دعاؤهم يا رسول الله انصرنا، المدد المدد يا رسول الله، الغوث الغوث، أو اعتقادهم أن الرسول ﷺ يعلم الغيب أو غيره، كاعتقاد بعض الشيعة في علي والحسن والحسين أنهم يعلمون الغيب، كل هذا شرك وردة عن الدين، سواء كان في المولد أو في غير المولد.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق على صحته.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه.

ومثل هذا قول بعض الرافضة: إن أئمتهم الاثني عشر يعلمون الغيب، وهذا كفر وضلال وردة عن الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، أما إذا كان الاحتفال بمجرد قراءة السيرة النبوية، وذكر ما جرى في مولده وغزواته، فهذا بدعة في الدين تنقصه ولكن لا تنقضه.

ومن البدع: ما يعتقده بعض الجهال في شهر صفر من أنه لا يسافر فيه، فيتشاءمون به، وهذا جهل وضلال، فقد قال النبي ﷺ: (**لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة**)[1]، وزاد مسلم: (**ولا نوء ولا غول**) ؛ لأن اعتقاد العدوى والطيرة والتعلق بالأنواء، أو الغول كل هذه من أمور الجاهلية التي تقدح في الدين.

ومن زعم أن هناك عدوى فهذا باطل، ولكن الله جعل المخالطة لبعض المرضى قد تكون سبباً لوجود المرض في الصحيح، ولكن لا تعدي بطبعها، ولما سمع بعض العرب قول النبي ﷺ: (**لا عدوى..**) قال: يا رسول الله الإبل تكون في الرمال كأنها الظباء فإذا دخلها الأجرب أجربها، قال ﷺ: (**فمن أعدى الأول**) أي: من الذي أنزل الجرب في الأول، فالأمر بيد الله سبحانه وتعالى إذا شاء أجربها بسبب هذا الجرب، وإن شاء لم يجربها. وقد قال ﷺ: (**لا يوردن ممرض على مصح**) يعني لا توردوا الإبل المريضة على الصحيحة، بل تكون هذه على حدة وهذه على حدة، وذلك من باب اتقاء الشر والبعد عن أسبابه، وإلا فالأمور بيد الله، لا يعدي شيء بطبعه إنما هو بيد الله: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، فالخلطة من أسباب وجود المرض فلا تنبغي الخلطة، فالأجرب لا يخالط الصحيح، هكذا أمرنا الرسول ﷺ من باب الاتقاء والحذر من أسباب الشر، لكن ليس المعنى أنه إذا خالط فإنه سيعدي لا، قد يعدي وقد لا يعدي، والأمر بيد الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا قال ﷺ: (**فمن أعدى الأول؟**).

---

(١) متفق على صحته.

ومن هذا الباب قوله ﷺ: (فر من المجذوم فرارك من الأسد) والمقصود: أن تشاؤم أهل الجاهلية بالعدوى وبالتطير أو الهامة وهي روح الميت، يقولون: إنها تكون كأنها طائر حول قبره يتشاءمون بها، وهذا باطل لا أصل له، وروح الميت مرتهنة بعمله إما في الجنة أو النار.

والطيرة والتشاؤم بالمرئيات والسمعيات من عمل الجاهلية، حيث كانوا يتشاءمون إذا رأوا شيئاً لا يناسبهم مثل الغراب، أو الحمار الأسود، أو مقطوع الذنب، أو ما أشبه ذلك، فيتشاءمون به، هذا من جهلهم وضلالهم، قال الله جل وعلا في الرد عليهم: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١] فالله بيده الضر والنفع، وبيده العطاء والمنع، والطيرة لا أصل لها، ولكنه شيء يجدونه في صدورهم ولا حقيقة له، بل هو شيء باطل، ولهذا قال ﷺ: (لا طيرة)، ولذا يجب على المسلم إذا رأى ما يتشاءم به ألا يرجع عن حاجته، فلو خرج ليسافر وصادفه حمار غير مناسب، أو رجل غير مناسب أو ما أشبه ذلك، فلا يرجع، بل يمضي في حاجته ويتوكل على الله، فإن رجع فهذه هي الطيرة، والطيرة قادحة في العقيدة ولكنها دون الشرك الأكبر، بل هي من الشرك الأصغر.

وهكذا سائر البدع كلها من القوادح في العقيدة، لكنها دون الكفر، إن لم يصاحبها كفر. فهذه البدع مثل بدعة الموالد، والبناء على القبور، واتخاذ المساجد عليها، ومثل صلاة الرغائب هذه كلها بدع، والاحتفال بليلة الإسراء والمعراج التي يحدثونها بسبع وعشرين من رجب، هذه بدعة ليس لها أصل، وبعض الناس يحتفل بليلة النصف من شعبان ويعمل فيها أعمالاً يتقرب بها، وربما أحيا ليلها أو صام نهارها يزعم أن هذا قربة، فهذا لا أصل له، والأحاديث فيه غير صحيحة، بل هو من البدع.

والجامع في هذا أن كل شيء من العبادات يحدثه الناس ولم يأمر به الرسول ﷺ ولم يفعله ولم يقره فهو بدعة؛ لأن الرسول ﷺ قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه

فهو رد)، وقال: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)، وكان يقول في خطبة الجمعة: (وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) يحذر الناس من البدع ويدعوهم إلى لزوم السنة ﷺ.

فالواجب على أهل الإسلام أن يلزموا الإسلام ويستقيموا عليه، وفي هذا كفايتهم وكمالهم، فليسوا بحاجة إلي بدع، يقول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فالله أكمل الدين وأتمه بحمده وفضله، فليس الناس بحاجة إلى بدع يأتون بها، وقد قال ﷺ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ).

فليس الناس بحاجة إلى بدع زيد وعمرو، بل يجب التمسك بما شرعه الله، والسير على منهج الله، والوقوف عند حدوده، وترك ما أحدثه الناس، كما قال الله سبحانه وتعالى ذماً للبدع وأهلها: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وفق الله الجميع لما فيه الخير، وأصلح أحوال المسلمين، ووفقهم للفقه في دينه، وجنبهم أسباب الزيغ والضلال والانحراف، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين[1].

---

(١) ابن باز.

[أعود مكررا فأقول: إن من أهم القضايا وأخطرها]

أولاً: العقيدة الصافية الصحيحة التي تقتضي تجريد التَّوحيد لرب العالمين تعلّماً واعتقاداً وعملاً ؛ لأنها الأساس الذي تُبْنَى عليه صِحَّةُ الأَعمال وقبولها، فلا جهاد ولا علم ولا صلاة ولا دعوة ولا قبول لأيِّ عملٍ إلاَّ بها.

وأعظم ما أمر الله به التَّوحيد، وأعظم ما نُهِيَ عنه الشِّرك،؛ لأن التوحيد الذي هو حقُّ الله على العبيد أعظَمُ ما صُرِفَت إليهِ الهمم، وأُفْنِيَت نفائِسُ الأوقاتِ من أَجْلِهِ؛ لأن بهِ سعادة المسلم، وبجهلِهِ وتركه شقاوته، فلا بد لكلِّ عبد أنْ يعرفَ التوحيد الذي فرضه الله عليه، كما أنه يجب معرفة ما هو ضده وهو الشرك.

ومن لا يعرف الشرك يقع فيه وهو لا يشعر، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وهو العقيدة الصحيحة.

وبعض المتعيلمين يُهَوّنون مِنَ العقيدة وشأنها، يقول : اتركوا النَّاس على عقائدهم لا تتّرضوا لها، اجمعوا ولا تفرَّقوا، لا داعي لتدريس العقيدة، الناس ليسوا بحاجة إلى العقيدة، هل الناس يشكون في وجود الله، الناس بحاجة إلى علمِ الفقه .

أو«يقولون: إن كتب العقيدة جافة، أو التَّطرق للعقائد والتَّصوف والبدع إنما هو خدمة لليهود والنَّصارى ؛ لأن العقيدة ثانوية».

أقول لهذا وأمثاله ما قاله الشَّاعر:

وإن ألقاك فَهْمُكَ في مهاوٍ فَلَيْتُكَ ثُمَّ ليتُكَ ما فَهِمْت

نَسِيَ هذا المسكين أَنَّهُ لا اجتماعَ للقلوبِ، ولا صلاح للعالم إلا بالتوحيد، ولو كانوا صالحين في نفوسهم ما دام أنهم لا ينكرون الشرك، ولا يَدْعُون إلى التوحيد ولا يتبرؤون من المشركين يكونون مثلهم.

والتوحيد: هو حق الله الواجب على العبيد، وهو أعظم أوامر الدين، وأصل الأُصول كلها، وأساس صحة الأَعمال، وأنه الفرض الأَعظم على جميع العبيد، ومن ظن أنه في غنى

عن التوحيد فهو غني عن دين الله، وعلم التوحيد هو العلم الأساسي الذي تجدُرُ العناية به تعلماً وتعليماً؛ لأنه يتعلق بذات الله وشرف كل علم بمتعلقه، لذا يجب على المسلم تحقيقه وتصفيته وتخليصه من شوائب الشرك والطقوس البدعية والخرافات، وإفراد العبودية لله وحده قبل أي عبادة من صلاة أو صيام ونحوهما...، لأن من شروط قبول العمل أن يكون مبنياً على عقيدة صالحة، فإذا بُنِيَ العمل على غير ذلك فلن يُقبل من صاحبه أي عمل، والعبادة لا تُسَمَّى عبادة إلا مع التوحيد، بل لا يسمى الإنسان مسلماً إلا بالتوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فَسدَت، كالحدث إذا دخل في الطهارة، فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه في النار، عرفت أن أهمَّ ما عليكَ معرفة ذلك لعلَّ اللهَ أنْ يُخَلِّصُكَ من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله الذي قال الله عنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، فسمى من دعا غير الله مشركا كافراً..

فيا شباب أمة محمد ﷺ، الله الله بالعقيدة الصَّافية، لا تُدَنِّسوها بشركيَّات وبدع وتصوّف وخرافات فتَضيعوا أيما ضياع ؛ لأنهُ إذا فَسَدَت العقيدة فلا إسلام فلا إسلام فلا إسلام.

يتقطَّع قلب المسلم أسًى وحسرة على هذا الواقع المحزن لبعض المسلمين.

ويذوب قلبه حزناً حينما يرى الجهلة والسَّذج قد عبثت فيهم البدع والشِّركيَّات.

تُتلى الأوراد البدعية، وتنشد المدائح الشركية، وتدور الرؤوس طرباً وهياماً بدفوف ليالي الموالد المزعومة.

جماعات في إثر جماعات، وأفواج في إثر أفواج، يتقاطرون كالسيل المنهمر، يستنجدون بذلك المقبور، ويستغيثون به ويعفّرون وجوههم بالتراب، ويتمرغون على أعتابه، ويتعلقون بأستاره، وتسمع الصراخ والعويل الذي لا ينقطع من الرجال والنساء: يا فُلان أغثني... يا فلان ارزقني... !.

يرحل أحدهم الليالي ذوات العدد، ويتكبّد من المشاق الشيء الكثير، حاملاً نذره ليذبحه بين يدي ذلك القبر، يلتمس القربى والبركة، ويطلب العون والمدد..!.

سبحان الله ... أهكذا يكون الإسلام عند هؤلاء الضلال ؟، ولقد سيطرت الدروشة بصورها العبثية المختلفة وألوانها الشركية المتعددة على عقول كثير من المنتسبين إلى الإسلام... كم هو محزن ومؤلم للنّفس أن تطل علينا من جديد الجاهلية بصورتها الأولى!.

كيف يلذ لنا طعام، أو نهنأ بشراب، ونحن نرى هذه الخرافة التي تعبث بعقول السذج وقلوبهم ؟!.

هل يطيب لنا عيش ونحن نرى هذا الضلال ينخر في قلوب العباد، ويجعلها ألعوبة بأيدي الدراويش والمخرفين ودهاقنة الفساد ؟!.

إن هذه الجموع أمانة في أعناقنا، فأين العلماء... وأين الدعاة والمصلحون في مشارق الأرض ومغاربها... ؟!

وللمناسبة أنقل كلاما - باختصار وتصرف يسير- من رسالة بعنوان: "سجدة أمام قبر": «فهذا العصر موصوف بأنه عصر علوم وتقنية، وعصر ازدهار علمي ومعرفي، تقدمت فيه العلوم والمعارف تقدما مذهلا، وأصبحت الدول صغيرها وكبيرها تتبارى وتتنافس في الاختراع والابتكار والاكتشاف والتطوير. ولكن من العجب: أن العصر

بعقلانيته وماديته وعلومه ومعارفه و مخترعاته ومكتشفاته، وما يريهم الله في الآفاق وفي أنفسهم من الآيات والدلائل، لم ينفكوا من الخرافة والدجل، فلقد انتشر الإلحاد والضلال انتشارا واسعا، فالشرك في صور شتى يضرب بأطنابه في كثير من أنحاء المعمورة..وثنيات في الشرق والغرب ؛بل لقد عبد الشيطان علانية في هذا العصر، وراجت الكهانة والسحر والشعوذة في بدع وضلالات و جهالات، وفئام من أمة الإسلام قد أصابها من ذلك كفر غير يسير، تعلقوا بالقبور والمقبورين،ولجئوا إلى السحرة والمشعوذين. ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن توحيد الله وإفراده بالعبادة أولى أوليات الدين، وأعظم ما يتوجه إليه اهتمام المصلحين . وهذا بسط لصورة من صور هذا الانحراف المشين : انحراف شديد انتاب بعض العقول حين ابتعدت عن صحيح النقل وصريح العقل،فكان اعتمادها على الرؤى والأحلام و المنامات ؟ !وهل دين الله الحق يبنى على الأحلام والمنامات، ناهيك إذا كانت منامات تخالف الشرع، وتضاد التوحيد،وتنتقص من مقام سيد المرسلين محمد ﷺ.

صور من الضلالات:

يقول قائل منهم: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي: (إذا كانت لك حاجة وأردت قضاءها فانذر لفلانة ولو فلساً فإن حاجتك تقضى) ما هذا التعلق بالقبور والفتنة بالمقبورين؟ حتى لقد تعددت الأضرحة لشخص واحد في بلدان متعددة، ولكن المضللين لم يعدموا حيلة ليسوغوا هذا التناقض والافتراء فقالوا: «إن الأرض لأجسام الأولياء كالماء للسمك، فيظهر في أماكن متعددة. ويزار كل مكان يقال إن فيه نبياً أو وليا صالحاً» فانتشرت الأضرحة، وتكاثرت القبور وفيها مالا يصح نسبته لشخص ولا لمكان، في المدينة الواحدة من بعض بلدان المسلمين أكثر من ثلاثمائة ضريح، وفي الدولة الواحدة أكثر من ستة آلاف، وفي مشهد واحد ترى ما يسمى مشهد السبعة والسبعين ولياً..

كيف تتدرج الفتنة بالقبور؟:

أيها المسلمون..لو تأملتم كيف تتدرج الفتنة بأصحابها:إن أول ذلك يبدأ بتعظيم الرجل في صلاحه وتقواه واعتقاد عظم منزلته عند الله وقربه منه.ثم تبدأ زيارة قبره ليس لتذكر الآخرة والاعتبار، ولكن لاعتقاد بركته وبركة مكانه.وحينئذ يبدأ دعاء الله عنده في قلوب العوام وأشباه العوام، وترجى إجابة الدعاء عنده.ثم يتدرج الأمر في اعتقاد أن البركة تفيض على كل شيء حول هذا المكان فيعمدون إلى التمسح والتقبيل.ثم ينتقل من دعاء الله عنده إلى دعاء الله به، والإقسام على الله به، واتخاذه وسيلة وواسطة للاستشفاع به عند الله ؛ لأنه طاهر مكرم قريب، له عند الله جاه ثم ينتقل إلى درجة أعلى، فما دام هذا مكرماً ذا جاه فليس بممتنع أن يعطيه الله من القدرة على التصرف في بعض الأمور وأحوال الكون ومن ثم يدعوه ويرجوه، ويخافه ويخشاه، ويستغيث به ويطلب منه المدد ثم يصبح هو صاحب السر الذي توجل منه النفوس، وتر تجف منه القلوب، وتتحير عنده العقول ومن ثم يتخذ مقصداً يعتكف عنده، ويطاف حوله،وتوقد عليه القناديل، وتعلق عليه الستور، ويبنى عليه المسجد، ويقبل ويستلم، ويذبح عنده، ويتخذ له عيد ومتعبد.

صورة محزنة من صور الإنحراف:

وتأملوا رحمكم الله ما ذكره بعضهم في وصف زيارة لقبر الشيخ الإمام عبد القادر الجيلاني رحمه الله يقول: «إن أول ما يجب على الزائر أن يتوضأ وضوءاً سابغاً، ثم يصلي ركعتين بخشوع، ثم يتوجه إلى تلك الكعبة المشرفة، يعني قبر الشيخ عبد القادر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وبعد السلام على صاحب الضريح المعظم يقول: يا صاحب الثقلين أغثني، وأمدني بقضاء حوائجي وتفريج كربتي،أغثني يا محيي الدين عبد القادر،أغثني يا ولي الدين عبد القادر، أغثني يا سلطان عبد القادر، يا حضرة الغوث الصمداني، يا سيدي عبد القادر الجيلاني، عبدك ومريدك مظلوم عاجز محتاج إليك في جميع الأمور في الدين والدنيا والآخرة».

تحسر وتفكر:

ما هذا أيها الإخوة، ما هذا يا عباد الله،أهذا ما آل إليه حال الإسلام بين أقوام، أي عين يجمل بها أن تستبقي في محاجر ها قطرة واحدة من دمع، فلا تريقها أمام هذا المنظر المحزن؟منظر أقوام منتسبين إلى الإسلام، منتسبين إلى محمد ﷺ صاحب الملة الحنفية، منظر أقوام حول القبور وما يسمى أضرحة، ركع سجد، خاشعون باكون، متضرعون على أعتاب قبر، وحول أستار ضريح.. إنهم يقفون بين يدي الشيخ الجيلاني وغيره كما يقفون بين يدي الله، ويصفونهم بأوصاف هي من خصائص الله سبحانه، يقولون لصاحب القبر: (أنت المتصرف في الكائنات) و(أنت سيد الأرض والسماوات)، (المتصرف في الأكوان)، (محيي الدين)، (ماحي الذنوب)و(دافع البلاء)ومن أحاديثهم: (إذا أعيتكم الأمور، فعليكم بأصحاب القبور)، ومن أقوالهم: (ما خاب من زار الأعتاب).

نداء: أيها العلماء..أيها الدعاة..يا ولاة أمور المسلمين..ارفقوا بالعامة، واشفقوا عليهم وانقذوهم..إن ربكم سبحانه يغار لنفسه،يغار على حرماته،يغار على حقه وتوحيده..

أخطاء يجب إزالتها:

إن من الخطأ البين أن تسمى هذه القبور مقامات أو يطلق عليها مشاهد، إن مقام الصالحين محفوظ عند ربهم، أما هذه فقبور وأجداث كسائر القبور، يحرم تشييدها، ورفعها، والبناء عليها، وزخرفتها، وإقامة المقاصير حولها، ويحرم الصلاة فيها وإليها وعندها، وبناء المساجد عليها، والطواف بها، ومناجاة من فيها، والتمسح بجدرانها، وتقبيلها، والتعلق بها، ويحرم وضع الأستار والعمائم عليها، ويحرم إيقاد الشموع والقناديل حولها، وقد لعن نبيكم محمد ﷺ المتخذين على المقابر المساجد والسرج.ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: **(لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)**، وقال: **(لا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك)**، **(اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم**

اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) أيها العلماء: نعم أيها العلماء، إن أعظم وسائل هذه الفتنة وما تغتر به القلوب الضعيفة فتنة البناء على القبور وتشييدها.

مع الإمام الشوكاني وبلاء البناء على القبور وتشييدها:

يوضح ذلك ويجليه الإمام الشوكاني رحمه الله فيقول: «لاشك ولا ريب أن السبب الأعظم الذي نشأ من هذا الاعتقاد في الأموات، هو ما زينه الشيطان للناس من رفع القبور ووضع الستور عليها، وتجصيصها وتزيينها بأبلغ زينة، وتحسينها بأكمل تحسين، فإن الجاهل إذا وقعت عيناه على قبر من القبور قد بنيت عليه قبة فدخلها ونظر إلى القبور والستور الرائعة والسرج المتلألئة وقد سطعت حولها مجامر الطيب،فلا شك ولا ريب أن يمتلئ قلبه تعظيماً لذلك القبر، ويضيق ذهنه عن تصور ما لهذا الميت من المنزلة، ويدخله من الروعة والمهابة، ما يزرع في قلبه من العقائد الشيطانية التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين، وأشد وسائله إلى ضلال العباد،فما يزال يزلزله عن الإسلام قليلاً قليلاً،حتى يطلب من صاحب القبر ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى».

المخرج: عباد الله...:

ليس هناك مخرج لإنقاذ هؤلاء العوام وأشباه العوام من ضعاف العقول والطغام إلا بما يأتي:

١ - العناية بحمل النفوس على أن تفرد تعلقها بالله وحده **(إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله)**.

٢ - الاعتقاد التام الجازم الخالص بأنه سبحانه المنفرد بالنفع والضر والتدبير، ومن ثم فهو سبحانه المستحق للربوبية و الألوهية على خلقه أجمعين ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

٣- إيضاح ثمرة التوحيد وبيان آثاره في النفس والحياة، وبسط ذلك من خلال توضيح نهج الأنبياء والصالحين والمصلحين الذين حققوا التوحيد، ودعوا إليه فكان هو همهم الأول وشأنهم الأعظم ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

٤- الاعتماد على نصوص الشرع من كتاب الله وسنة رسوله والحرص على الانفكاك مما عليه الآباء والأجداد والتقاليد والأعراف المخالفة للدين الحق، ولو قال بها بعض من ينتسب إلى العلم، فقد قال عبد الله بن عباس: (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر،) ويقول أبو الزناد: «إن السنن لا تخاصم، ولا ينبغي لها أن تتبع بالرأي،ولو فعل الناس ذلك لم يمض يوم إلا انتقلوا من دين إلى دين، ولكن ينبغي للسنن أن تلتزم ويتمسك بها على ما وافق الرأي وخالفه».

٥- الطريق إلى الله يكون باتباع سنة رسول الله قولاً وفعلاً وعزماً وعقداً ونية ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤].

٦- لابد من البيان للناس أن البدع والمستحدثات تنشط النفوس في اتباعها، والتزام السنن ثقيل وشاق،ولابد لأهل العلم والدعوة أن يعرفوا ذلك ويعوه، ويأخذوا الناس بالسنن و يحببوها إليهم.. يقول الإمام أبو الوفاء ابن عقيل منبهاً إلى ذلك: «لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام، عدلوا عن أوضاع الشرع، إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غير هم، مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى الشرع عنه، وتقبيلها ،ومن إيقاد النيران، وخطاب الموتى بالألواح، وكتب الرقاع فيها: يا مولاي افعل في كذا وكذا...إلخ».

٧-العناية وفقكم الله ورحمكم بنشر العلم النافع، وتطهير القلوب، وتزكية النفوس ليحصل الانتفاع بمواعظ القرآن الكريم وأحكامه.

٨-التحذير من العقائد الفاسدة، والادعاءات الباطلة، والعادات البالية التي شوهت معالم الدين، وزيفت حقائق الملة، ومعتقدات أهل الحق في منهج صاف ينفي عبث العابثين وتحريف المبتدعين، وأباطيل الملحدين.

أيها المسلمون: لقد جاء الإسلام بعقيدة التوحيد صافية نقية ليرفع نفوس المسلمين، ويغرس في قلوبهم العزة والشرف والأنفة والحمية، وليعتق رقابهم من رق العبودية لغير الله، فلا يذل صغيرهم لكبيرهم، ولا يهاب ضعيفهم قويهم ، ولا يكون لذي سلطان فيهم سلطان إلا بالحق والعدل وأدب الشرع.: أيها المسلمون.. لقد بعث الله نبيه محمدا بالهدى ودين الحق، ففرق به بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، وطريق الجنة وطريق النار، وأوليائه وأعدائه، والمعروف والمنكر، والطيب والخبيث والحلال والحرام.. فالحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، ليس لأحد من الثقلين سبيل إلى رضا الله وكرامته ورحمته ؛ إلا بالإيمان بمحمد و اتباعه.

فعلى جميع الخلق أن يتبعوه ويسلموا لحكمه في جميع أمور الدين الظاهرة و الباطنة وشرائع الإسلام، وحقائق الإيمان وليس لأحد أن يعدل عما جاء به رسول الله إلى ما يخالفه.

سلامة السلف من الافتتان بالقبور:

ومن رحمة الله بأمة الإسلام،أن سلفها الصالح سلم من هذا الداء،داء الافتتان بالقبور،فسعدت بهم الدنيا،ورشدت بهم الحياة،وبلغوا أمانات الوحي بصدق، ولو أنهم غرتهم هذه الأوهام،وانحرفوا في هذه الانحرافات ما فتحوا مصراً، ولا أعقبوا أثراً.

مع الإمام الشاطبي:

وها هو الإمام الشاطبي رحمه الله يوضح ذلك فيقول: «إن الصحابة رضوان الله عليهم، بعد موته ﷺ لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك، إذ لم يترك النبي بعده في الأمة خيراً

من أبي بكر ولم يفعل شيئاً من ذلك، ولا عمر، ولا عثمان، ولا علي، ولا سائر الصحابة رضوان الله عليهم، لم يثبت من طريق صحيح أن أحداً تبرك بواحد منهم، على نحو ما وقع منهم مع النبي في حياته، بل كانوا قدوة فيها اتبعوا فيه نبيهم من أحكام الدين، فهذا إجماع منهم على ترك هذه الأشياء، إما لقيام الدليل عندهم على اختصاص التبرك به لمزيد بركته، وكمال نفحاته، وطهارة روحه..بخلاف غيره فلا يبلغ شأوه، وإما سدا للذريعة خوفاً من أن يجعل ذلك سنة، أو لأن العامة لا تقف عند حد بل تبالغ في التماس البركة، حتى تخرج بالمتبرك به عن الحد، فتعتقد فيه ما لا يليق به. قال رحمه الله: وهذا التبرك هو أصل العبادة ولأجله قطع عمر الشجرة التي بويع تحتها رسول الله فالسلف تركوا العمل بذلك كله لما يلزم عليه من الفساد».

أيها المسلمون: ألا فاتقوا الله رحمكم الله، واجتهدوا في سد الذرائع وقطع الوسائل الموصلة إلى هذه الانحرافات الشديدة، التي قد تصل بأصحابها إلى الشرك بالله في توحيد الإلوهية فيدعى غير الله، ويرجى سواه، وتتعلق القلوب بغير الله، وقد تصل بهم إلى الشرك في توحيد الربوبية فيعتقدوا أن التدبير وتصريف أمور الكون يملكه غير الله، عياذاً بالله من الخذلان، والارتكاس في حبائل الشيطان أهـ.

ومن هذا التخبط: التخبط الذي يعيشه بعض من ينتسب إلى الإسلام حيث وقعوا فيما وقع فيه المشركون السالفون، بصرفهم جل العبادات للقبور المقدسة لديهم كالنحرِ لها والطواف حولها والاستغاثة بها والتبرك بترابها وطلب الشّفاء منها وشد الرحال إليها. لقد صرفت الأموال الباهضة من أجل القبور وعفّروا على أعتابها الخدود وكثرت الاستغاثات وطلب قضاءِ الحاجات من الغائبين والأموات. وفي بعضِ الجهات قدم الجهلاء عرائض الشكوى وطلب الحاجات إلى أولئك المقبورين الرفات، وهكذا يتقدمون بعرائضهم

وتضرعاتهم وتوسّلاتهم التي لا يجوز صرفها إلا لله وحده فمن هذه الأقوال: «أريد أيها الشيخ ولداً، أو وظيفة» وذاك يستغيث من ظالم ظلمه، وتلك تريد ولدا وزوجاً وغيره وهكذا دواليك.

وإليك هذه القصة: «لطيفة»:

يحكى أن أحد الظرفاء كان جالساً في مزار مشهور فجاء رجل يطلب من صاحب القبر (الولي) النجدة لأن امرأته تلد ولادة متعسرة ! وانصرف هذا الرجل ثم جاء رجل آخر من بعده ليطلب من صاحب القبر مساعدة ابنه الذي دخل في الامتحان، فهو يطلب أن ينجحه، وفي هذه اللحظة قال له ذلك الرجل الظريف: إن الولي (صاحب القبر) ليس هنا الآن فقد ذهب لتوليد امرأة حامل تعسرت ولادتها !!

وأسوق هنا إلى من لا يرفع للتوحيد شأناً ولا يُلقي له بالاً هذه الأسطر في: (الهدهد الغيور على التوحيد) قال ﷻ : ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٠-٢٦]، وتتحرك الغيرة على العقيدة في قلب طير من الطيور ويأبى أن يرى أحداً يسجد لغير الله لأنه علم أن الشرك شؤم ووبال، وهي حقيقة يجب أن يعرفها الجميع. كيف يسجدون لغير الله ؟ وكيف تخضع رؤوسهم وتنحني رقابهم أمام المخلوقين ؟؟ كان المفروض أن يرتفع الرأس ويشرئب العنق وتنتصب القامة

أمام المخلوقين؛ لأن المخلوقين سواسية أمام الله في العبودية، وإن كانوا يتفاوتون في المقامات فالجبهة لا تذل إلا لله، والظهر لا ينحني إلا لواهب الحياة وهو الله، وهي كرامة أعطاها الله للإنسان الكريم، فالعبودية بالنسبة للإنسان مقام عال لا يختارها إلا العارفون، فرسول الله ﷺ خيَّره الله بين أن يكون ملكاً رسولاً أو عبداً رسولاً، فاختار جانب العبودية على الملك؛ لأنه ﷺ عرف الحقيقة، وكيف لا يعرفها وهو معلم الحكمة ؟!.

إن الهدهد كان مؤمناً بمعنى أنه لا يعبد إلا الله وحده قال الله عز وجل: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] وحقيقة إن الهدهد هذا عالم ومدرك لخفايا بعض الأمور التي لا يعلمها إلا أهل العلم.. ما مر الهدهد على القوم المشركين مرور اللاهين، ولا تأول موقفهم ولا قال: إنهم جاهلون لكنه انتفض وجاء لنبي الله عليه السلام بالخبر اليقين... قد يقول قائل: إن الهدهد هذا أعد إعداداً خاصاً وإنه كان من جنود سليمان المكلفين بالحراسة وإنه في منزلة العقلاء العارفين. وقد يكون هذا الأمر حقاً لكن المهم في الأمر تلك الغضبة والانتفاضة من طير، بينما نجد بعض الناس وهم من أبناء الإسلام ومع هذا يمرون على مشاهد قريبة من هذا النوع فلا يغضبون ولا ينكرون، بل قد يبررون موقف المخطئين الضالين عن طريق التوحيد.

الله الله، لو مر الهدهد على بعض ديار المسلمين اليوم ورأى ذلك الإقبال وذلك الإندفاع إلى القباب والقبور والأضرحة، ولو سمع تلك الصيحات لبعض المسلمين تتوجه لغير الله، إنها حقيقة مؤسفة مرة؛ فمتى ينتبه لها المسلمون.. ودعاة الإسلام؟!!.

ما ذا قال الهدهد لسليمان عليه السلام وهو يتحدث عن بلقيس: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٤-٢٦].

لا يكن الهدهد أغير منك على التوحيد، ومسكين مسكين من كان الهدهد خيرا منه .

شبهة خطيرة والجواب عنها:

ومن الضلال المبين أن يسمي بعض الناس في هذه الأزمنة الشرك الأكبر تشفعاً وتوسلاً، وبعض الضلال يسميه مجازاً يعني بذلك: أن استغاثتهم بالمقبورين والغائبين وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكر بات على سبيل المجاز وأن الله هو المقصود في الحقيقة، وهذا معنى قول المشركين ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣].

و﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]؛ لأنهم لم يكونوا يعتقدون أن آلهتهم تدبر شيئاً من دون الله، إنما يستجلبون النفع و يستدفعون الضر بجعلها وسائط بينهم وبين الله الذي بيده الضر والنفع لمكانتهم ومنزلتهم وقربهم من الله، فيدعونهم ليكونوا واسطة بينهم وبين الله، وغالب شرك العبادة لهم كان بذريعة اتخاذهم وسائط بينهم وبين الله، ولم يعذرهم الله بذلك بل سماهم مشركين.

قد يقول لك قائل: إننا لم نعبد أهل القبور ولم نسجد لهم، ولم نطلب منهم مباشرة أن يشفوا مرضانا أو يعافوا مبتلانا، أو يردوا غائبنا أو يفرجوا كرباتنا، إننا نعلم أن هذا بيد الله وحده هو المالك المتصرف سبحانه وهو الخالق الرازق المحيي المميت الذي بيده وحده كل شيء، وإنما طلبنا من أصحاب الجاه هؤلاء الأولياء والصالحين أن يشفعوا لنا عند الله، ويكونوا وسطاء بيننا وبينه سبحانه؛ لأن عندنا من الذنوب ما يجعلنا نخجل ونستحي أن نطلب من الله مباشرة مقصودنا.

والجواب عن ذلك يتلخص في أمور:

أولا: أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، فهو ليس كالمخلوقين يحتاج إلى من يعرفه بحاجة أحد، أو يبين له ضرورة فلان، أو يتوسط لذلك المقصر أو يحتاج لصاحب

الجاه أن يشفع عنده، فهو سبحانه لا يخفى عليه شيء من حال عباده قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥].

ثانيا: أن الله تعالى عاب على المشركين جعلهم الشفعاء بينهم وبينه وسماهم بسبب ذلك مشركين. قال تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

ثالثا: أن هؤلاء المدعوين الأموات لا يملكون الضر و لا النفع لأنفسهم ولا لغيرهم فهم أموات قد جيفوا واندرست عظامهم وبلوا فلا يبقى من ابن آدم إلا عجب الذنب – كما قال النبي ﷺ: (**ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب الذنب**)[1]، إلا الأنبياء فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجسادهم ومع هذا كله فهم كغيرهم في أن دعاءهم والاستغاثة بهم شرك بالله تبارك وتعالى. وعجب الذنب عظم لطيف في أسفل الصلب – وهم بحاجة إذا كانوا مسلمين إلى الدعاء والاستغفار. قال تعالى: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾ [الروم: ٥٢]. سبحان الله!!!! يدعون أمواتاً سكنوا الأضرحة، وهم عنهم غافلون ولندائهم لا يسمعون، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦]، ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ۝

---

(١) متفق عليه.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [الاسراء: ٥٦-٥٧].

أقول: هذا كلام من ؟ وحكم من ؟ والمعنى: لا أحد أضل ممن يدعو من دون الله مع أنهم لا يستجيبون له وغافلون عنهم وعن دعائهم. - وانظر: كتاب: كيف نفهم التوحيد لمحمد أحمد با شميل - فالله وحده القريب السميع لدعائنا القادر على الاستجابة.

سبحان الله !!!! أي ذلة ومهانة أحط من أن ينصرف الإنسان بقلبه عن خالقه ورازقه، عن ربه الذي هو معه يسمع ويرى، ثم يتوجه في ضراعة وخشوع إلى عظامٍ نخرة عجزت عن صد غارات الدود الذي اقتتل على التهام اللحم المحيط بها في القبر !! إلا الأنبياء فإن الله حرَّم على الأرض أجسادهم وهو قوله ﷺ: **(إن الله حرَّم على الأرض أجساد الأنبياء)**[1]. ومع هذا كله فهم كغيرهم في أن دعاءهم والاستغاثة بهم شرك بالله تبارك وتعالى.

فَتراهُ يَتوجَّه إليها فيطلب منها العون والمدد، داعياً إياها، مستغيثاً بها لإنقاذه من الغرق!!، فإنّاَ لله وإنَّا إليهِ راجعونَ.إنها و الله حماقات يتأذى منها نظر المؤمن وينكوي قلبه من تلك المهازل الشركية والتصرفات الجاهلية. وصدق الله: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]. أي المشركين لأن الشرك ظلم عظيم. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]. فسمى من دعا غير الله كافراً. وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٠ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ

---

(١) أخرجه النسائي (١٣٧٤) وأبو داود (١٥٣١، ١٠٤٧) واللفظ له وابن ماجة (١٦٣٦، ١٦٣٧) وأحمد ٤/ ٨ والدا رمي (١٥٧٢) والحاكم ١/ ٢٧٨ وابن حبان (٩١٠).

وَرَسَٰلَٰتِهِۦ﴾ [الجن: ٢٠-٢٣].. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، فسمى الدعاء عبادة و توعد من استكبر عن دعاء الله بجهنم. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: (١٨٨]. وهذا مقتضى قولنا في صلاتنا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

رابعا: أن الله لا يرضى أن يشفع عنده أحد لأحد إلا بإذنه ولا بد أن يكون سبحانه راضيا عن المشفوع له قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء ٢٨]، ثم أين الشافع الميت الذي قد كان ترابا وأكلته الهوام وما يدريه عن رضى الله عن المشفوع له. قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر: ٤٣].

من رسالة بعنوان أخطاء ومخالفات لا أصل لها منتشرة عند القبور لكاتب هذه الأسطر عفا الله عنه والتي حظيت بتقريظ سماحة مفتي عام المملكة حفظه الله.

غربة الإسلام

أبكي على دين حق كيف ينهار ... من بعد ما بان للإسلام أنوار

أبكي على غربة الإسلام إذ حصلت ... في وقتنا وبدا للدين إدبار

أبكي عليه بكاء الطفل في صغر ... طفل يتيم فلا أهل ولا جار

أبكي عليه بكاء لا مثيل له ... أبكي ودمعي على الخدين مدرار

فانظرإلى وقتنا كم فيه من فتن ... فيه الحوادث والأشرار أشرار

وانظر إلى الشر قد أبدى نواجذه ... من المصائب عقل المرء يحتار

قد قلدوا أهل شرك في خلائقهم ... وبالرذائل أما الحق إهدار

هل قلدوهم بصاروخ وقنبلة ... أم بالمدفع لا والله ما صاروا

بل قلدوهم بأشياء محرمة ... من السفالة فالجهال قد حاروا

والجهل قد عم أين الحق يطفئه ... فقد طغى لأمور الشر تيار

أين الشهامة والأخلاق هل ذهبت ... أين الرجولة والأحرار هل غاروا

وكل يوم ترى في دهرنا بدعا ... وقد أحاطت بنا والله أخطار

أخشى العقوبة تأتينا كما وقعت ... على القرون كما جاءتك أخبار

أخبارهم في كتاب الله قد وردت ... فيهم لذي العقل والواعين تذكار

أخشى من الشر أن نضحى كأندلس ... بعد المهانة عبدان وكفار

أين الأسود ذوو التوحيد من قدم ... ومن لهم في الوغى كر وتكرار

أين الذين لدين الله قد رفعوا ... ونزهوه وللإسلام قد ثاروا

أين الذين لأهل الشرك قد كسروا ... تشهد لهم جميل الفعل أعصار

يا أمة الدين هبوا من تغافلكم ... إن الرقود به ذل به عار

عودوا إلى الحق ليس الغير ينفعكم ... توبوا إلى الرب إن الرب غفار

قوموا جميعا فليس الذل يرفعكم ... بالذل لا تنقضي للمرء أوطار

نرجـوا الإلـه بِمَـنٍّ منـه ينقـذنا ... مـن المـصائب فالأزمـان أكـدار

نرجـوه ينـصر هـذا الـدين في أمـم ... حتـى يقـوم لـه في الكـون أنـصار

حتـى نكـون أسـودا حـول ملتنـا ... حتـى يعـود لنـا مـن خـصمنا الثـار

حتـى نحـارب أعـداء ونخـرجهم ... ولا يـدور مـن البـاغين ديـار

ماذا قدَّمنا لتوضيح حقيقة هذا الدين، وشرح أصول التوحيد، وقواعد الشهادة..؟!!!

لقد كان هم التوحيد هو الهم الأكبر الذي يحمله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ولهذا كانت وصية النبي ﷺ لمعاذ لَّما بعثه إلى اليمن: البدء بالأهم فالمهم: (**إنَّك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة**)[1].

فما أحوجنا إلى هذه الوصية والعض عليها بالنواجذ، فالتوحيد بشموله وكماله هو المنطلق الأساسي للدعوة، وهو أولى الواجبات الدعوية التي يلزم الاعتناء بها.

وكم يحزن المرء حينما يرى بعض الدعاة يجعلون همَّهم الأكبر هو الاشتغال بالفروع دون الأصول، أو حينما يتخبطون في متاهات جدلية وكلامية تشغلهم عن همِّ التوحيد.

وخلاصة القول: أنَّ التوحيد مُنْطَلَقُ الدعوة إلى الله وغايتها، فلا دعوة إلى الله بدونه، ومهما تَسَمَّت باسمٍ من أسماءِ الإسلامِ، وانتسبت إليه، وذلك أنَّ الرُّسُلَ جميعاً - وعلى رأسهم سيِّدهم وخاتمهم محمد - كانت دعوتهم إلى توحيد الله بدءاً وغاية ونهاية، فكل رسولٍ قال لقومه أوَّل ما قال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾.

---

(١) البخاري مسلم.

فهذه هي غاية المسلمِ، وهدفه السَّامي، الذي يسعى عُمُرَهُ باذلاً جُهدَهُ لإيجادها بين الناس، وتوطيدِها بين الخلائق.

ثانيا: لزوم منهج رسول الله ﷺ:

والحذر مما يخالفه من بنيات الطريق من حزبيات وجماعات وشعارات، يوالي ويتعصب من أجل حزبه، ويعادي من أجل حزبه، وليس في الإسلام وليس في الدنيا إلا حزبان اثنان: حزب الله، وحزب الشيطان، مفلحون وخاسرون.

فالحذر الحذر من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون: فهذا قائد لحزب يبايع على إحدى الطرق الصوفية، وهذا يدعو على جهل وضلال يتخبط في دين الله لا يفرق بين السنة والبدعة، وهذا لا يرى إلا الجهاد فقط ويتنقص العلماء ويحقرهم وينبزهم بالألقاب، ويقول: أنهم مداهنون . وهذا همه جمع الناس بغض النظر عن عقائدهم مهما تباينت واختلفت، وهذا همه نشر البدعة والخرافة، والتبجح بأهل البدع والتصوف بل والثناء عليهم، وهذا همه العلم فلا يدعو ولا ينشر علمه بل قعيد بيته.

أمور يضحك السفهاء منها ويبكي من عواقبها اللبيب

ومن عنده مسكة من عقل وإيمان ينفر من هذه المناهج ويحذر منها، ويدعو إلى نهج رسول الله ﷺ، سبحان الله : من الذي حصر الإسلام في مسألة معينة دون سواها. سبحان الله!! الدين كامل وكل لا يتجزأ، ديننا عقيدة صافية وعبادة وشريعة، وجهاد وأخلاق ومعاملة، ودين ودولة، علم ودعوة، وهذا منهج رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨]، فلا حزب كذا ولا صوفية كذا، ولا جماعة كذا تقتصر على بعض الدين دون بعض، ومن هذا فعله فقد قال الله فيه: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، خذها جميعا تفز، وإلا فاطرحها وخذ رجز الشياطين، ولله در القائل:

إني ســــأعمم تعمـــــيما الحـــزب يحـــرم تحـــريما
يـــا ويـــح مـــصائب أمتنـــا إســـلام يخـــدم تنظـــيما

وإذا كان ولا بد من مخالطتهم لدعوتهم وتوضيح المنهج السلفي فلا يكون إلاَّ للعلماء أو لطلاب العلم المتمكنينَ من العقيدة الصحيحة ومن السنة - أولاً - ومنهج السلف الصالح وإلا فلا.

وإليك أخي هذه الفتوى:

١- فتوى اللجنة للبحوث العلمية والإفتاء في السعودية، فتوى رقم (١٦٧٤):

س: ما حكم الإسلام في الأحزاب، وهل تجوز الأحزاب في الإسلام.... ؟.

ج: لا يجوز أن يتفرق المسلمون في دينهم شيعاً وأحزاباً يلعن بعضهم بعضاً ويضرب بعضهم رقاب بعض، فإن هذا التفرق مما نهى الله عنه وذم من أحدثه أو تابع أهله، وتوعد فاعليه بالعذاب العظيم، وقد تبرأ الله ورسوله منه، قال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٣، و١٠٥].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩-١٦٠].

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (ولا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) والآيات والأحاديث في ذم التفرق في الدين كثيرة.

أما ما كان ولي أمر المسلمين هو الذي نظمهم ووزع بينهم أعمال الحياة ومرافقها الدينية والدنيوية ليقوم كل بواجبه في جانب من جوانب الدين والدنيا، فهذا مشروع، بل واجب

على ولي أمر المسلمين أن يوزع رعيته على واجبات الدين والدنيا على اختلاف أنواعها، فيجعل جماعة لخدمة علم الحديث من جهة نقله وتدوينه وتمييز صحيحه من سقيمه..إلخ. وجماعة أخرى لخدمة فقه متونه تدويناً وتعلماً. وأخرى لخدمة اللغة العربية قواعدها ومفرداتها وبيان أساليبها والكشف عن أسرارها. وإعداد جماعة رابعة للجهاد والدفاع عن بلاد الإسلام وفتح الفتوح وتذليل العقبات لنشر الإسلام، وأخرى للإنتاج الصناعي والزراعي والتجاري... إلخ.

فهذا من ضرورات الحياة التي لا تقوم للأمة قائمة إلا بها ولا يحفظ الإسلام ولا ينتشر إلا عن طريقه، هذا مع اعتصام الجميع بحبل الله وهدي النبي ﷺ وما كان عليه الخلفاء الراشدون وسلف الأمة ووحدة الهدف وتعاون جميع الطوائف الإسلامية على نصرة الإسلام والذود عن حياضه وتحقيق وسائل الحياة السعيدة وسير الجميع في ظل الإسلام وتحت لوائه على صراط الله المستقيم، وتجنبهم السبل المضلة والفرق الهالكة، قال الله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فتوى اللجنة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو:	عضو:	نائب رئيس:	رئيس:
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن باز

٢- فتوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله:

س: هل هناك نصوص في كتاب الله وسنة نبيه فيهما إباحة تعدد الجماعات الإسلامية ؟

ج: ليس في الكتاب والسنة ما يُبيح ذلك، بل فيهما ما يذم ذلك ؛ قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

ولا شك أن هذه الأحزاب تنافي ما أمر الله به، بل ما حث الله عليه في قوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

ولاسيما حينما ننظر إلى آثار هذا التفرق والتحزب حيث كان كل حزب وكل فريق يرمي الآخر بالتشنيع والسب والتفسيق، وربما بما هو أعظم من ذلك، لذلك فإنني أرى أن هذا التحزب خطأ.

وقول بعضهم: إنه لا يمكن للدعوة أن تقوى وتنتشر إلا إذا كانت تحت تحزب!!.

نقول: إن هذا الكلام غير صحيح، بل إن الدعوة تقوى وتنتشر كلما كان الإنسان أشد تمسكاً بكتاب الله وسنة رسول الله ، وأكثر اتباعاً لآثار النبي ﷺ وخلفائه الراشدين. أهـ.

وسئل حفظه الله سؤالاً آخر:

هل لتعدد الجماعات الإسلامية في الساحة أثر سلبي أم أنها ظاهرة صحية ؟.

ج: تعدد الجماعات ظاهرة مَرَضِيَّةٌ وليس ظاهرة صِحِّيَّة، والذي أرى أن تكون الأمة الإسلامية حزباً واحداً، ينتمي إلى كتاب الله وسنة نبيه[1].

وأُحيل القارئ الكريم إلى رسالة قيمة في هذا الصدد لفضيلة الشيخ العلامة بكر أبوزيد "حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية" والذي ختمه بقوله (ص١٤٥): «وفي الختام أرى التنبيه على أن المراد من هذا البحث هو استصلاح الأحوال، بدلالة المسلمين على طريق جماعة المسلمين في الدعوة إلى الله على منهاج النبوة لا غير. وتحذيرهم من تشقيق جماعة المسلمين بالانتماءات إلى الفرق. وتنبيه هذه الجماعات بالالتفات إلى أخطائها ونصحها بالرجوع إلى الدعوة على منهاج النبوة على ما كان عليه

---

(١) انظر: كتاب "الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات" للشيخ العثيمين (ص١٥٤-١٥٦) إعداد علي بن حسين أبو لوز.

النبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، والاجتماع على ذلك في جماعة واحدة، هي (جماعة المسلمين)».

وأن تتجرد من أمراض الشبهات، نابذة الفرق والتحزب لتفوز بنصر الله في الأرض والنجاة من عذابه في الآخرة.

وإنَّ هذا التوجه إلى تقويم هذه الفرق (الجماعات) ودعوتها إلى الالتفات إلى مناهجها في الدعوة ؛ لتصحح مسارها على أنوار الهدي المعصوم (الكتاب والسنة): لا يعني ذلك جحد ما لدى أي طائفة أو فرقة أو حزب أو جماعة من الحق، فإن واجب العدل والإنصاف يقضي بتأييد الحق، ونبذ الباطل، ومنابذة أهله، والبراءة من كل مخالفة ومخالف - كل بحسب ما لديه من خير وشر - حتى تؤب تلك الفرق إلى جماعة المسلمين السائرة إلى الله والدار الآخرة على مدارج النبوة.

ولا أرى الصمت بعد هذا إلا أبلغ من الكلام،أستودع الله - كل مسلم - الذي لا تضيع ودائعه، والحمدلله رب لعالمين.

المسلم لا يدعو إلى جماعة ولا حزب وإنما المسلم إذا سئل عن جماعته قال: أهل السنة والجماعة وهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وإذاسئل عن قدوته قال: نبيي ﷺ.

وإذاسئل عن زاده قال: العمل الصالح.

وإذاسئل عن دليله قال: الكتاب والسنة.

وإذا سئل عن ماذ ا يريد قال: وجه الله.

وإذا سئل عن نسبه قال: الإسلام.

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

لا تسألوا عن عنصري أو نسبي إنه الإسلام أمي وأبي

ثالثا : طلب العلم الشرعي:

علم الحلال والحرام الذي يفقده كثير من الناس فتجد بعضهم مسكينا يتخبط في عبادته ولله در القائل:

ومــــن بغـــير علـــم يعمـــل أعمالـــــه مـــــردودة لا تقبـــل

ولابد لكل مسلم أن يأخذعلمه من شيخ تقي عالم ورع سلفي المعتقد، لا يقر البدع والتصوف والتمشعر، ولا يجامل على حساب عقيدته؛ لأن الدرس غرس - أقصد بالدروس حلقات العلماء التي في المساجد ليكون من علماء الركب- قال ﷺ: **(من غدا إلى المسجدلا يريد إلا أن يتعلم خيراً، أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته)**[١]، وفي الحديث: **(من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)**[٢]، والفقه في الدين لا يكون إلا بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فهما الدليل، ومن فارق الدليل ضل السبيل، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فطالب العلم يدور مع الدليل حيث دار، ويقيل معه حيث قال، ولله در القائل:

وبــــالمهم المهـــم ابـــدأ لتـــدركه وقـــــدم الـــــنص والآراء فاتهـــــم

قـــدم وجوبـــا علـــوم الـــدين إن بهـــا يبـــين نهـــج الهـــدى مـــن موجـــب الـــنقم

فالعالم الحقيقي هو الذي يورثه علمه خشية الله، وكفى بالعلم خشية الله، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (ليس العلم كثرة الحديث، ولكن العلم الخشية) فمن حظي بالعالم الذي هذه أوصافه فليلزمه ملازمة السوارللمعصم، عن ابن سيرين قال:إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، ولله در القائل:

اصــبر عـــلى مـــر الجفـــا مـــن معلـــم فــــإن رســــوخ العلـــــم في نفراتـــــه

ومـــن لم يـــذق مـــر الـــتعلم ســـاعة تجـــرع ذل الجهـــل طـــول حياتـــه

---

(١) صحيح الترغيب ١/ ٨٦.

(٢) متفق عليه.

حياة الفتى والله بالعلم والتقى إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته

ومن فاته التعليم وقت شبابه كبر عليه أربعا لوفاته

يقول الإمام الشافعي رحمه الله: «من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم»، ويقول أبو الدرداء: (مذاكرة العلم ساعة خير من قيام الليل، والعلم من المهد إلى اللحد، ومع المحبرة إلى المقبرة، فأعط العلم كلك يعطك بعضه).

من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة، ومن تسلى بالكتب لم تفته سلوة، ومن آنسته قراءة القرآن لم توحشه مفارقة الإخوان.

وعليه أن يبادر العمر وزمن الشباب، ويفرغ نفسه لطلبه قدر استطاعته، ويسعى جهده لتحصيله، وليحذر الملل فهو مرض يصاب به عدد من المتعلمين ولا سيّما في دروس المساجد.

وليعلم أنّ المعاصي والهموم وكثرة الاشتغال مما يعوق حفظ العلم.

رابعا: العمل بالعلم:

أخي القارئ لسان حالي وأنا أسوق هذا الكلام أتمثّل قول إبراهيم التيمي رحمه الله: «ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكّذبا».

و أتمثل قول القحطاني في نونيته:

والله لو علموا خبيء سريرتي لأبى السّلام عليّ من يلقاني

قال وكيع رحمه الله: «كنّا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به».

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: «من عمل بما يعلم كفي ما لم يعلم».

قال ابن الجوزي رحمه الله: «والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به ففاتته لذات الدنيا وخيرات الآخرة فقدم مفلسا مع قوة الحجة عليه».

وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن

قال ابن جماعة: «حسن النية في طلب العلم بأن تقصد به وجه الله والعمل به، وإحياء الشريعة وتنوير قلبه وتحلية باطنه، والقرب من الله يوم القيامة، والتعرض لما أعد لأهله من رضوانه وعظيم فضله، قال سفيان الثوري: ما عالجت شيئاً أشد علي من نيّتي إن العلم لا قيمة له بدون العمل، ولذا تكاثرت النصوص في الكتاب والسنة وأقوال السلف مؤكدة وجوب ربط العلم بالعمل، ومحذّرة من الفصل بينهما، كم نقرأ في كل يوم قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾».

قال العلماء: «المغضوب عليهم هم الذين لم يعملوا بعلمهم، ويدخل فيهم اليهود بهذا الوصف، والضالون: هم الذين يعملون على جهل وضلال، ومنهم النصارى، فهل فهمنا المقصود.. !؟»

روي عن أُسَامَة بن زيد أنه قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله يَقُولُ: (يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟.
قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ)(١).

قال الشيخ الألباني: «(يُجاءُ الرجل) أي الذي يخالف علمه عمله، والاندلاق: خروج الشيء من مكانه بسرعة».

والأقتاب: جمع (قِتب) الأمعاء، كما يدور الحمار برحاه: أي الطاحون.

فانظر يا أخي إلى حال مَن قال ولم يفعل كيف تنصبُّ مصارينه من جوفه وتخرج من دبره ويدور بها دوران الحمار بالرحى، والناس تنظر إليه وتتعجب إليه من هيئته، نسأل الله السلامة.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٢٦٧) مسلم (٢٩٨٩).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (**مررت ليلة أسري بي بأقوام تُقرضُ شفاههم بمقاريض من نار، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟**).

قال: (**خطباء أمتك الذين يقولون مالا يفعلون**)، وفي رواية: (**ويقرءون كتاب الله ولا يعملون به**).

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه فيمَ فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيمَ بلاه؟**).

قال سفيان الثوري: «العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل».

عليك باللجوء إلى الله ومضاعفة الرغبة والفزع إليه في الدعاء إليه، والانكسار بين يديه، وسؤال الله أن ينفعك بعلمك، وأن لا يجعلك ممن أعماه الله فلم يزده علمه ولا كثرة كتبه إلا حَيْرَة وضلالاً، فنجد بعض طلاَّب العلم يحفظ عشرات بل مئات الأَبيات في كل يوم أو أسبوع، ويمر عليه الشهر والشهران ولا يحفظ منه آية أو حديث.

يا طالب العلم الحذر الحذر من الفتوى وإن اضطررت إليها، فالفتوى خطيرةٌ جداً ومحرجة، وهي توقيع عن رب العالمين، فاحذر أن تقول على الله بغير علم، وحذار حذار من التسرع فيها والتهالك منها، وعليك بكلمة: لا أدري. فهي عند أهل التقوى والورع كالماء البارد، وجُنَّةُ العالم: (لا أدري) ويهتك حجابها الاستنكاف منها، وقوله: يقال أو سمعت أو ما شابهها، وإن كان نصف العلم لا أدري، فنصف الجهل يقال أو أظن، فانتبه لهذا وَفَّقكَ الله.

فالعلم أول الطريق، فمن أراد الدعوة إلى الله فعليه أن يقدم العلم، ومن أراد الأمر بالمعروف والنهي عن النكر فليقدم العلم، ومن أراد التغيير في المجتمع فعليه أن يقدم العلم، فهو أول الطريق، قال الإمام أحمد بن حنبل: «الناس أحوج إلى العلم منهم إلى

الطعام والشراب؛ لأن الطعام يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يحتاج إليه في كل وقت».

خامسا: الدعوة إلى الله:

- وتقدم طرف منها أول الكتاب -.

أخي: إن المنكرات التي في مجتمعنا لم تنتشر في يوم وليلة ولكن انتشرت لأن واحدا فعل، وواحداً سكت. وهما شريكان في صنع ذلك المنكر. أما حكم الدعوة في هذا الزمان

فيقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: «فعند قلة الدعاة وكثرة المنكرات، وعند غلبة الجهل كحالنا اليوم، تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته، وإذا كان في محل محدود كقرية ومدينة ونحو ذلك، ووجد فيها من تولى هذا الأمر، وقام به وبلغ أمر الله كفى، وصار التبليغ في حق غيره سنة، لأنه قد أُقيمت الحجة على يد غيره، ونفذ أمر الله على يد سواه .

ولكن بالنسبة إلى بقية أرض الله وإلى بقية الناس يجب على العلماء حسب طاقتهم، وعلى ولاة الأمر حسب طاقاتهم، أن يبلغوا أمر الله بكل ما يستطيعون، وهذا فرض عين عليهم على حسب الطاقة والقدرة.

وبهذا يعلم أن كونها فرض عين وكونها فرض كفاية أمر نسبي يختلف، فقد تكون الدعوة فرض عين بالنسبة إلى أقوام وإلى أشخاص، وسنة بالنسبة إلى أشخاص وإلى أقوام؛ لأنه وجد في محلهم ومكانهم من قام بالأمر وكفى عنهم».

وهو القائل رحمه الله في شرحه لحديث: (لا يمشي أحدكم في نعل واحدة): «ظاهر النهي للتحريم. فسئل: قد تكون النعل في مكان والأخرى قريبة منها . فقال: لا تلبسها إلا جميعا. فقيل ولو لخطوة واحدة ؟ فقال: احرص على ألا تعص الله ولو بخطوة

واحدة». فأين نحن من هذا الموقف الذي يدل على العلم والتقى والورع والحرص والشفقة والرحمة والخوف على الغير والتحذير من أن يقعوا فيما يسخط الله وحمله هم الدعوة إلى الله.

فأين نحن من هم الدعوة إلى الله ؟

واعلم أن وظيفة النبي ﷺ الرئيسية ومهمته الأُولى الدعوة إلى الله، فهي شعار رسالته وحقيقة وظيفته وعنوان مهمته، يقول الله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨]، أدعو إلى الله وحده لا شريك له، لا إلى غيره من حظ أو رئاسة.

واعلم أنه كما أن الدعوة إلى الله واجبة على الرسول فهي كذلك واجبة على أتباعه، كل بحسب حاله واستطاعته لا يسعه تركها بحال من الأَحوال، وأن تصيبه من متابعة النبي ﷺ بمقدار نصيبه من الدعوة، بل إن الصلاح الشخصي الذي لا يتجاوز صاحبه وهو يرى حدود الله تُنْتَهَكُ ومحارمه تُسْتَبَاحُ، وهو بارد القلب هادئ البال لا يُجْدِيهِ غداً عند الله كما ورد في الأثر: (**إن الله أمر جبريل أن يأخذ قرية فيقلب عاليها سافلها.فقالت الملائكة: يا رب إن فيها عبدك فلاناً لم تصعد له معصية منذ كذا وكذا.فقال: به فابدأ فإنَّهُ لم يتمعَّر وجهه يوماً مِن أجلي**).

فهذا على الرغم من صلاحه في ذات نفسه في ذلك الغاية القصوى، إلا أن تقصيره في دعوة غيره وإصلاحه مع الباطل جعله عند الله أَوَّل الهالكين.

وانظر إلى قوله ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. لتجد أن الدعوة إلى الله ﷻ واجبة في حق كل مكلف، فالخطاب هنا أمر والأمر - كما في القاعدة الأصولية - للوجوب ما لم يصرفه صارف، ولا صارف هنا، بل حتى أساليب الدعوة أوجب الله ﷻ علينا أن نسلك أفضلها وأحكمها. وإنك لتجد المسلم المتقاعس عن القيام بواجب الدعوة إلى الله قد أفلس من كل عذر وحجة وهو يسمع قول النبي ﷺ: (**بلّغوا عَنّي ولو آية**).

بل إن السمة البارزة والعلامة الفارقة لأمة الإسلام بين الأمم هي: أنَّها أُمَّة آمرةٌ بالمعروف ناهيةٌ عن المنكر، تعيش لهذه القضية وتشتغل بهذه الوظيفة، تصبغ بها حضارتها وتدخل في جميع تفاصيل حياتها وتنال بها الحظوة والرفعة والتميز، قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وإنك أخي المسلم لتدرك خطورة الأمر وأنت تستمع إلى المصطفى وهو ينفي الإيمان عن كل من لم يقم بواجب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حده الأدنى وصورته الصغرى وهي: إنكار الباطل والدعوة إلى الحق بالقلب عند العجز عن ممارسة ذلك باللسان والجوارح، وذلك في قوله : (**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وليس بعد ذلك مثقال حبه خردل من إيمان**).

فيا هذا: هلم بنا نتساءل عن مساحة وحجم هذا الدين في دائرة اهتمامنا ؟ وعن مدى الهم الذي نحمله في صدورنا لهذا الدين ؟ كم نبذل للدين ؟ كم نجهد للدين؟!! كم نهتم للدين ؟!! هل هو قضية في حياتنا تتراءى لنا وتؤرقنا ؟!! أم رضينا بعبادات تحولت إلى عادات ؟!!.

ماذا قدّمت لأمتك؟ ماذا قدّمنا لديننا الذي ندين الله به؟ ماذا قدّمنا لإسلامنا؟ ماذا قدّمنا لآخرتنا؟ هل أمرنا بالمعروف؟ هل نهينا عن المنكر؟ من يقم بالدين إذا لم نقم نحن؟ الدين ديننا من يحمل همّهُ ؟ من ينشر سلعة الإيمان ؟ من يحمل هذا الدين ؟ من يبلغ دين الله؟ ويحمله للعالمين ؟ من يرحم به العالمين ؟ إنه أنت، أنت أيها المسلم، الذي كملت نفسك وتكمل غيرك.

العمل للدين مسؤولية للجميع، ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤] العملُ لهذا الدين لا يقف عند زمن محدود، أو في مكان محدود، ولنا في رسول الله أسوة

حسنة، لقد كانت حياته ﷺ كلها عمل لهذا الدين، ودعوة إلى الله، وجهاد في سبيله، ومن ثم أصحابه الكرام ومن تبعهم بإحسان.

وليس موقوفاً على جهة أو فئة أو طائفة، بل مسؤولية ملقاة على عاتق كل مسلم، العمل موزع أدواراً بين المسلمين، وليس مسلم يعجز أن يتخذ له دوراً ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

العمل للدين قرين الانتماء إليه، العمل للدين وظيفة العمر ليس موقتاً بوقت ولا محدداً بزمن وإنما هو وظيفة العمر كله، العمل للدين قضية كل مسلم في كل لفتة وفلتة.

فهل وعينا الدور والهمة الكبيرة وهذا عمر أمير المؤمنين الفاروق ليعطي الدروس على فراش الموت، وهو على فراش الموت في آخر رمق من حياته لا يذهل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دخل ألوف من الناس يعودونه وهو في لحظاته الأخيرة يودع الدنيا، وأخذ ينظر إليهم بطرف عينيه الذابلتين وهو لا يكادُ يقوى على النّطق بكلمة، وحدث أن دخل عليه في هذه اللحظات شاب من الأَنصار يلبس جِلْباباً إلى تحت كعبيهِ، ينظر إليه عمر وأشار إليه أن أقبل، ثم أمره أن يقترب إلى فمه ليسمع همساته التي سيهمسها إليه، فلمّا فعل، قال : (يا ابن أخي قَصِّر ثِيابَك، فإِنَّ هذا أطهر لصلاتك وأنقى لِثَوبك).الله أكبر وهو على فراش الموت لم يشغله ما هو فيه من أن يعطي الدروس للأُمة، لله درك يا عمر، فهل تلد لنا الأُمهات من أبناء الإسلام شبيهاً بعمر ؟ قال الشَّاعر:

ماذا أقول لربي حين يسألنا ... عن الشريعة لم نحم معاليها

ومن يجيب الحبيب إذا قال لنا ... أذهبتم سنتي والله مبقيها

وقال آخر:

تهون الحياةُ وكلٌّ يهون ... ولكن إسلامنا لا يهون

وقال آخر:

كــلُّ بـــذلٍ إذا العقيــدة ريعــت دون بـــذلِ النفـــوس نـــزرٌ زهيـــد

وقال آخر:

عــارٌ عــلى أمــة دان الوجــود لهــا أن يــستبيح حماهــا خــائنُ الــذِّمم

كنــا أســاتذةَ الدنــيا وقــادتهــا مــا بالنــا اليــومَ أصــبحنا مــن الخــدم

يا ويلنا من الله حين نقرأ أن سلفنا الصالح، الذين حملوا الإسلام إلى مجاهل إفريقيا وإلى أقصى بلاد الصين، والهند وإلى أقصى شمال إفريقيا، حتى وقفوا على شاطئ المحيط الأَطلسي وعبروا البحر وفتحوا الأندلس وكادوا يهزمون فرنسا.

حين نقرأ أن الدعاة الأوَّل وحملة رسالة الإسلام كانوا تجاراً، ومع سلعهم وتجارتهم كانوا يحملون الإسلام، ويقدمونه عملياً في أشخاصهم خلقاً وسلوكاً ومعاملة، فيعجب الناس بهذا الدين الذي حمله هؤلاء الرجال فيؤمنوا به ويدخلون فيه أفواجاً.

حين نقرأ اليوم أن بخارى التي أنجبت البخاري، وما جاورها من الولايات كانت تدين بالإسلام وهي اليوم تأثرت بالشيوعية.

وحين نرى تراجع الإسلام وانحساره عن أوروبا وعن أسبانيا تاركاً خلفهُ الآثار والملامح العربية والإسلامية التي تنبه الغافلين، وتصرخ فيهم بأَنَّ هذه الديار كانت تستظل براية لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وحين نرى دول إفريقيا السمراء وقد اعتنق أغلب أهلها النصرانية، وتتكلم بالإنجليزية أو الفرنسية بدلاً من العربية، وقد بدل الاستعمار أسماءهم من محمد وعبد الله وآدم إلى فكتور وبوسكا وسنجور،،،.

وحين نقرأ عن نشاط المنصرين في الأحراش الإفريقيّة متحملين أجواء تلك البلاد في سبيل عقيدتهم.

وحين نرى تقاعس المسلمين عن العمل للإسلام حتى داخل بلادهم، نوقن أن الله سيسألنا عن ذلك كله سؤالاً عسيراً، وخصوصاً من كان قادراً على تبليغ الرسالة، بل ربما تكون مسؤولية هؤلاء أثقل من مسؤولية أولئك الذين لم يجدوا أحداً يدلهم على الطريق إلى الله ويهديهم لدينه الخاتم، يا ويلنا من الله ثم يا ويلنا من الله ثم يا ويلنا من الله...

اعلم أخي: أن هذا الدين عزيز وغالٍ لا ترتقي إليه همة الضعفاء والعجزة، وأن الله تكفل بحفظ هذا الدين ولو كره الكافرون، وإن نكوص البعض عن الدعوة لا يزيد النفوس المؤمنة إلا إضاءة وثباتاً، وهذه هي طريق الأنبياء.

يقول ﷺ: **(من دل على خير فله مثل أجر فاعله)**، وقال: **(من دعا إلى هدى كان له مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أُجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيئاً)**.

فتخيل أيها المسلم ! عظمة الذي يأتيك من الأجر فكيف لو هدى الله على يديك ملايين ؟ فهنيئاً لك أيها الداعية هذا الخير العظيم، فكيف تنشغل أيها المسلم عن الدعوة إلى الله وتترك هذا الخير العظيم ؟ أما علمت أنك حين تنشغل بالدعوة إلى الله تنام ويأتيك أجر، وتموت ويأتيك أجر ؟ أفلا يحملك هذا الفضل ألا تدخر وسعاً، ولا تألو جهداً إلا بذلته في الدعوة ؟.

ألا يحملك هذا الفضل العظيم أن تدعو الناس سراً وجهاراً، وليلاً ونهاراً، طمعاً في هذا الأجر العظيم الذي هو خير لك من الدنيا وما فيها ؟.

أنسيت قول المولى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] وأي فضل عليك أعظم من أن يصطفيك الله ويجتبيك للعمل في الدعوة إليه؟ أما تعلم أن هذا العمل عمل المرسلين الذين اصطفاهم الله من خلقه، وعمل المصطفين من أتباعهم؟ فكما اصطفى الله الأنبياء لهذا الواجب، اصطفى من جملة الأتباع من يقوم

بهذا الواجب أيضاً، إنّكَ والله لو عقلت لبكيت على عدم كونك من الدعاة، لأنّكَ لست من المصطفين.

أبرز الوسائل في الدعوة إلى الله:

وليحرص الداعية إلى الله لكي ينجح في دعوته على فن التعامل مع الناس، وذلك بالاهتمام بكل ما به يملك قلوب الناس ومن أبرز الوسائل التي يستطيع الداعية من خلالها أن يفتح مغاليق النفوس، وينفذ بها إلى أعماق القلوب، ويمدُّ عن طريقها جسور المودَّة والألفة والتواصل بينه وبين من يدعوه؛ فيصبح بذلك صاحب أثرٍ عميقٍ وفعالٍ في دعوة الناس إلى الخير وإلى الفلاح:

١- حُسن الصلة بالله تعالى:

فحسن الصّلة بالله تعالى – أخي الفاضل – من أهم وأعمق وأصدق الوسائل التي يمكن للداعية أن يستخدمها في كسب قلوب الآخرين؛ لأنَّ القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، فمن أراد أن يكسب ودَّها فليتقرب إلى من بيده هذه القلوب، ويُذكّرنا النبي ﷺ بهذا المبدأ العظيم في كسب قلوب الآخرين حين قال: (**إنَّ الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا نادى جبريل: إنَّ الله قد أحب فلاناً فأحِبَّه، فيُحِبُّه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إنَّ الله قد أحب فلانًا فأحِبُّوه، فيُحِبُّه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض**)[1].

٢- الابتسامة الصادقة والوجه البشوش:

فالابتسامة الصادقة وبشاشة الوجه تعبر عن عاطفةٍ جياشةٍ صادقةٍ داخل النفس، هذه العاطفة تحرك الوجدان وتهز المشاعر؛ فترى أثرها نورًا يضيء وجه صاحبها، حتى ليكاد وجهه ينطق بما في قلبه من ودٍ وحبٍ للآخرين، فتنجذب القلوب إلى هذا الوجه البسَّام، وتشعر الأرواح بألفةٍ وودٍ معه.

---

(١) رواه البخاري.

فالابتسامة المشرقة على وجهٍ طلقٍ كفيلة بأن تفتح مغاليق النفوس، وأن تنفذ إلى أعماق القلوب، وقد كان النبي ﷺ صاحب ابتسامة لا مثيل لها، حتى قال عنه عبدالله بن الحارث ﷺ: (ما رأيت أحدًا أكثر تبسُّمًا مِن رسول الله ﷺ)[1].

ويدعونا النبي ﷺ نحن أيضًا إلى أن نكون من أصحاب الابتسامة الصافية الصادقة التي تُفتح لها القلوب، فيقول ﷺ: (تَبَسُّمكَ في وجهِ أخيكَ لكَ صدقة)[2]. ويقول: (**لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق**).. فاحرص على أن لا تفارقك الابتسامة يقول أحد أصحاب النبي ﷺ: (ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله) والابتسامة الابتسامة قيل لأحد أهل العلم ما هو السحر الحلال ؟ قال: تبسمك في وجوه الرجال، وذلك أن البسمة سحر تأخذ بمجامع القلوب، فحري بالدعاة إلى الله سبحانه وتعالى أن يتعاهدوها، وكذا الكلمة الطيبة ولذا قيل:

أبني إن البر شيء هين وجه طليق وكلام لين

٣- حُسن الهندام:

فجمال الهيئة، وحُسن الهندام، وطيب الرائحة.. من الأمور التي تساعد الداعية على كسب قلوب الآخرين؛ لأنَّ النفس بطبيعتها تميل وتنجذب إلى كلِّ جميل، وفي هذا يقول النبي ﷺ: (**إنَّ الله تعالى جميلٌ يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده**)[3].

ويقول عمر بن الخطاب ﷺ: (إنَّه ليعجبني الشاب الناسك، نظيف الثوب، طيب الريح)، وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: «إنِّي ما رأيت أحدًا أنظف ثوبًا، ولا أشد تعهدًا لنفسه وشاربه وشعر رأسه وشعر بدنه، ولا أنقى ثوبًا وأشده بياضًا من أحمد بن حنبل».

---

(١) رواه الترمذي بسند حسن.

(٢) رواه الترمذي بسند حسن.

(٣) رواه ابن حبان بسند صحيح.

٤- بذل المعروف وقضاء الحاجات:

فبذل المعروف من أهم الوسائل التي يستطيع بها الداعية أن يأسر قلب من يدعوه، ويُعبِّر الشاعر عن الدور الذي يلعبه بذل المعروف وقضاء الحاجات في كسب ود القلوب فيقول:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

ويحثنا النبي ﷺ على بذل المعروف وحسن قضاء حاجات من حولنا، فيقول ﷺ: **(أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد - يعني مسجد المدينة - شهرًا، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يثبتها له، أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام)**[1].

٥-حسن الإنصات:

فحسن الإنصات -أخي الكريم- يلبي حاجةً هامةً لمن يحيطون بالداعية، ألا وهي تطلُّعهم إلى من يستمع إليهم.

وحسن الإنصات أيضًا يحمل في طياته رسالة قلبيَّة تعبر عن الاحترام والتقدير والمحبَّة للمتحدث، وهذا بدوره يمد جسور المودَّة والألفة بين القلوب ويعمّق المحبَّة بينها، ويضرب لنا أحد الصالحين المثل والقدوة في حسن الإنصات للآخرين والعناية بخطابهم، بغض النظر عن محتواه فيقول: «إنَّ الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأنِّي لم أكن سمعته، وقد سمعته قبل أن يولد، فأريه أنِّي إنَّما سمعته الآن منه».

---

(١) رواه الطبراني بسند حسن.

٦- الكلام الطيِّب الليِّن:

فالكلام الطيِّب اللِّين من أعمق الوسائل أثرًا في إمالة قلوب الآخرين، وكسب ودها، ولذا نجد المولى عزَّ وجلَّ يوصينا بأن ننتقي أطيب الكلمات، وأن نختار أجمل الألفاظ وأرق العبارات عند حديثنا مع الآخرين، وذلك في قوله سبحانه تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣].

ويدعونا النبي ﷺ إلى الالتزام بذلك التوجيه القرآني، بل ويرغبنا في التمسك به حين قال: **(الكلمة الطيِّبة صدقة)**(١).

٧- تفقُّد الأحوال ومتابعتها:

فمن الأمور التي تُدخل السرور على النفس، وتزيد الألفة بين القلوب أن يجد الإنسان من يتفقد أحواله ويسأله عنها ويتابع أخباره؛ ففي هذا تعبير عن جميل العناية والاهتمام به، مما يورث المحبَّة والود بين هذين القلبين، وها هو النبي ﷺ يتابع أخبار أصحابه ويتفقد أحوالهم، رغم ما يتحمله من أعباءٍ وتبعاتٍ عظام، كما يحكي عنه الصحابي الجليل جابر ابن عبدالله رضي الله عنه فيقول: تزوَّجت امرأةً في عهد رسول الله ﷺ، فلقيت النبي ﷺ فقال: **(يا جابر، تزوَّجت؟)**، قلت: نعم، قال: **(بِكر أم ثيِّب؟)**، قلت: ثيب، قال: **(فهلا بكرًا تلاعبها؟)**، قلت: يا رسول الله، إنَّ لي أخوات، فخشيت أن تدخل بيني وبينهن، قال: **(فذاك إذن)**(٢).

٨- المخالطة والتباسط:

كذلك – أخي الكريم- من الأمور التي تنمي الألفة والمودَّة والحب بين القلوب أن يكون الداعية مخالطًا لمن يدعوه، متباسطًا معه، متواضعًا له، كما علَّمنا ذلك النبي ﷺ

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

فيما يحكيه عنه أنس بن مالك ﷺ حين قال: إنْ كان النبي ﷺ ليخالطنا، حتى يقول لأخٍ لي صغيرٍ: (يا أبا عمير، ما فعل النغير؟)[١]، والنغير طائر صغير كالعصفور.

ومن المجالات المقترحة التي يمكن للداعية أن يخالط فيها من يدعوهم لتزداد الألفة بينهم: الاجتماع معهم على الطعام، المشاركة في لعب رياضةٍ جماعيةٍ معًا، السفر معًا.. إلخ.

٩- تهادوا تحابوا:

فللهدية أثرٌ عجيبٌ وعميقٌ في نفوس من نهاديهم، فبها يزول ما بين النفوس من جفاءٍ أو وحشةٍ، وبها ترق القلوب، وتصفو النفوس، وتزداد المودَّة والألفة، ويُعمَّق الحب، وتوثَّق الروابط؛ ولهذا يوصينا النبي ﷺ بأن يهادي بعضُنا بعضًا فقال: (تهادوا تحابوا)[٢].

وفي عميق أثر الهدية في النفوس يقول الشاعر:

هدايا الناس بعضهم لبعض ... تولِّد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في الضمير هوى وودًا ... وتكسبهم إذا حضروا جمالا

١٠- سلام يجلب المحبَّة:

فإلقاء السلام من الوسائل التي تقرّب النفوس، وتزيد الألفة، وتشيع الحب والمودَّة، كما علَّمنا ذلك النبي ﷺ حين قال: (أولا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السّلام بينكم)[٣].

١١- المناداة بأحب الأسماء:

فمناداة الإنسان بالاسم المحبَّب إليه يفتح قلبه، ويشرح صدره، ويدخل السرور على نفسه، وفي هذا يقول عمر بن الخطاب ﷺ حينما تحدَّث عن الأمور التي تقرِّب النفوس وتمنحها حبّا متبادلا، ذكر منها: (وأن تناديه بأحب الأسماء إليه).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبو يعلى بسند حسن.

(٣) رواه مسلم.

١٢- بالمداراة:

وذلك بالتلطف مع الناس لتستخرج منهم الحق، أو ترده عن باطل، واحذر المداهنة وهي: التلطف بهم لتقرهم على باطل وتتركهم على أهوائهم. فالمداراة طريق أهل الإيمان، والمداهنة طريق أهل النفاق، ومن الأسباب بل من أصعبها على النفس وأشقها عليها ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذى وشراً وبغياً وحسداً ازددت إليه إحساناً وله نصيحة وعليه شفقة، وما أظنك تصدق بأن هذا يكون فضلا عن أن تتعاطاه فاسمع الآن قول المولى ﷻ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥]. وعليه في جميع حاله بتقوى الله فمن حفظ الله حفظه ووجده أمامه أينما توجه، ومن كان الله حافظه وأمامه فممن يخاف ويحذر. واحرص على اللين والحكمة والموعظة الحسنة، و اعلم أن ما تفرضه على الناس بالقوة يزول إن ذهبت من يدك القوة وينقلب الناس بعده إلى ضده بردة الفعل، أما ما تغرسه في القلوب بالإقناع والحب والمودة فهو الذي يبقى ويرسخ ويثمر أطيب الثمار، ولا يمكن أن يقتلعه الطاغوت من القلوب التي رسخ فيها ولو اقتلع الحياة، وفي النهاية ندعو الله سبحانه وتعالى أن يفتح لك ولكل من يقوم بالدعوة إليه سبحانه قلوب الناس.

فائدة: في أهم الوسائل في الدعوة إلى الله:

إن وسائل الدعوة إلى الله كثيرة لا يمكن حصرها ولكن أهمها:

الدعوة بالكلمة الهادفة، سواء كانت تلك الكلمة محاضرة أو درساً أو خطبة أو موعظة أو نصيحة شخصية بينك وبين المدعو، وكذا الشريط الإسلامي وجهاز النداء والشبكة العنكبوتية، الكتيّب النشرة الصغيرة أو ما يُسمى بالمطويّات، فالدعوة إلى الله هي: «كل قول أو فعل أو كتابة أو حركة أو سكنة !! أو خلق أو نشاط بالمال أو الجاه أو بأي عمل

يخدم الدعوة ولا يخالف الحكمة، ويُقصدُ به رفعة الإسلام ونشره بين الناس، ونفي ما علق به من الشوائب وانظر رسالة بعنوان: كيف أخدم الإسلام لعبد الملك القاسم».

فهل بذلت جهداً في الدعوة إلى الله ولو كان قليلاً. أقول: الهاتف المتنقل والشبكة العنكبوتية فرصة عظيمة جدا لمناصحة الغافلين وتعليم الجاهلين وتذكير العاصين، فاغتنم ذلك وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين، وأنت في أي وقت وزمان ومكان بل وأنت في بيتك وبين أهلك تستطيع تدعو وتنصح وتذكر بالهاتف المتنقل، وبالشبكة العنكبوتية الكثير الكثير وإن كانوا في بلاد نائية فلله الحمد لله، الحمد والشكر لله على التيسير يهتدي عليك كثير ويتوب الكثير وتنقذ من الضلالة الكثير وأنت في بيتك مقيم.

سادسا: الإخلاص لله والصدق مع الله:

في كل ما تقدّم كن ملتزماً بهذين الأصلين تفز، يقول تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ويقول: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، وقال: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٣] فمراد الله من عمل الخلائق الإخلاص. وفي الحديث: (**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً، وابْتُغِيَ به وجهه**) قال سهل التستري رحمه الله: «نظر الأكياس في صورة الإخلاص فلم يجدوا غير أن تكون حركاته وسكونه في سره وعلانيته لله لا يمازجه شيء، لا نفس ولا هوى ولا دنيا». وقال أبو عثمان: «الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق». ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله، ومن شاهد في إخلاصه إخلاص احتاج إخلاصه إلى إخلاص.

قال حذيفة المرعشي: «الإخلاص أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن».

وقال آخر: «الإخلاص ألا تطلب على عملك شاهداً غير الله ولا مجاز سواه».

ولمّا سُئِلَ أحدهم: «أي شيءٍ أشد على النَّفس ؟ قال: الإخلاص ؛ لأنه ليس لها فيه نصيب».

راقب الله في السر والعلن، في الخلوة والجلوة، قال ﷺ: (**لأَعلمن أقوماً يأتون يوم القيامة بحسنات مثل جبال تهامة بيضاء، يجعلها الله هباءً منثوراً**).

قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، جَلّهم لنا أن لا نكون منهم ونحن نعلم.

قال: (**أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**)[1].

فيا هذا اصدق الله: (**فمن سأل الله الشهادة بصدقٍ بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**)[2].

أخلص أُخَيَّ فأعزّ شيء في هذه الدنيا الإخلاص، وأول من تُسَعّر بهم النار يوم القيامة ثلاثة، منهم: (العالم الذي قرأ القرآن ليقال قارئ وتعلم العلم ليقال عالم، وأنه يقال له، قد قيل ذلك، وأُمِرَ به فَسُحِبَ على وجهه حتى أُلْقِيَ في النار) كما في الحديث.

وكان أبو هريرة إذا حدّث بهذا الحديث أُغْشِيَ عليه من شدة الخوف والوجل ثم يفيق فما يستطيع أن يحدث به إلا بمشقة.

وقد حدّث أحد رواة الحديث بهذا عند معاوية فقال معاوية: قد فُعِل بهؤلاء هذا، فكيف بمن بقي من النّاس ؟ ثم بكى معاوية بكاءً شديداً حتى ظننا أنه هالك، ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه وقال: صدق الله ورسوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

«فيا طالب العلم، بارك الله فيك وفي علمك، اطلب العلم واطلب العمل، وادع إلى الله على طريقة السلف، ولا تكن خرّاجاً ولاّجاً في الجماعات، فتخرج من السعة إلى

---

(١) حديث صحيح أخرجه ابن ماجه.

(٢) مسلم.

القوالب الضيقة، فالإسلام كله لك جادة ومنهجاً، والمسلمون جميعهم هم الجماعة، وإن يد الله مع الجماعة، فلا طائفية في الإسلام ولا حزبية، وأعيذك بالله أن تتصدّع فتكون نهاباً بين الفرق والطوائف والمذاهب الباطلة والأحزاب الغالية، تقفو الأثر وتتبع السنن وتدعو إلى الله على بصيرة، عارفاً لأهل الفضل فضلهم وسابقتهم...»أهـ.

واحذر كل الحذر من التفريط في تكبيرة الإحرام:

فالصلاة عمود وعماد وعنوان الدين، فأي فوز حظي به من حافظ على الصلاة، وأي شقوة ولعنة وبعد عن دين الله حظي به من أضاعها، من حافظ عليها فقد أقام الدين ومن أضاعها أضاع الدين، بل لاحظ له في الدين، إخواني هل نتكلم عن تارك الصلاة الذي هو كافر مرتد خالد مخلد في نار جهنم، أو نتكلم عمن يخرجها عن وقتها الذي صلاته باطلة وإن صلاها ملايين المرات، أو عمن يتخلف عن صلاة الفجر الذي هو منافق:

عجبت من جسمٍ ومن صِحَّةٍ ... ومن فتىً نامَ عن الفجرِ
والموت لا يُؤْمَنُ خَطَفاتُهُ ... في ظُلَمِ الليل إذ يسرى

إخواني قد يبكي بعض المسلمين، إنهم يبكون من أجل كرة، ويحزنون لمقتل ممثل في مسلسل، ويبكون من أجل دنيا وفقد مال وخسارة في أسهم، ويحزن ويندم عندما يصلي ويفقد نعليه، أما حين تفوته تكبيرة الإحرام مع الإمام وهي التكبيرة الأولى لا يهتم ولا يحزن، أو أن المسلمين يؤدون الصلاة في المسجد وهو في ملعب كرة، أو جالس في الشارع أو يغسل عجلة سيارته، أو يشاهد فلما أو يسمع أغنية أو جلسة دخان وشيشة وغفلة، أو يترك العمال يشتغلون وينصرف للصلاة .

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ... إن كان في القلب إسلام وإيمان

سبحان الله سبحان الله، أي إيمان بالله واليوم الآخر عند هؤلاء، أي حياء وتعظيم لشعائر الله عندهم، ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ

لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٤-٦]، نشكو إليك يا الله حال قوم أصبحت الصلاة عندهم آخر شيء يفكرون فيه. يا هذا تخلفك عن المساجد إضاعة،، تفوتك الركعة والركعتان ولا تبالي إضاعة، انشغالك عن تكبيرة الإحرام إضاعة، إخواني هذه قاصمة الظهر وضياع العمر وشقاء الدهر، إنها مناظر ومظاهر تقض المضجع وتدمي الكبد وتقطع الفؤاد وتدمع العين، الويل كل الويل والخزي كل الخزي لمثل هؤلاء الذين أضاعوا الصلاة، يقول فيهم النبي ﷺ: (**لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله**)، أي إلى النار، يقول بعض السلف: «إذا رأيت الرجل لا يبالي بتكبيرة الإحرام فاغسل يديك منه»، إخواني وأحبابي أحضروا قلوبكم وأعيروني سمعكم لهذه البشرى العظيمة، يقول النبي ﷺ: (**من صلى لله أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتبت له براءتان، براءة من النار وبراءة من النفاق**) سبحان الله أي ربح وغنيمة يحوزه من صلى لله أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى، كتبت له براءتان؛ براءة من النار وبراءة من النفاق، نعمة عظيمة يا مسلم أقبل لا يفوتك هذا الربح العظيم.

إخواني لما عرف السلف الصالح هذا الربح العظيم ضربوا أروع الأمثلة في المنافسة والمسابقة إلى المحافظة كل المحافظة على تكبيرة الإحرام.

يقول سعيد بن المسيب: «والله مالي عمل أرجوه بعدلا إله إلا الله إلا أنني ما فاتتني تكبيرة الإحرام في الجماعة أربعين سنة»، ويقول الأعمش: «ما فا تتني تكبيرة الإحرام منذ خمسين سنة»، وهذا عامر بن عبد الله سمع المؤذن وهو في فراش الموت فقال: «خذوا بيدي»، فقيل له: إنك مريض، قال أسمع داعي الله فلا أجيبه، فأخذوا بيده فدخل في صلاة المغرب فركع مع الإمام ثم مات، وهذا ثابت بن عامر سمع أذان المغرب فقال لأبنائه: احملوني إلى المسجد، فقالوا: أنت مريض وقد عذرك الله، فقال: لا إله إلا الله أسمع حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لا أجيب والله لتحملوني إلى المسجد فلما كان في السجدة الأخيرة من

صلاة المغرب قبض الله روحه، لعمر الله والله إنها الخاتمة الحسنة هنيئا لمن بكاه موضع سجوده في الأرض وموضع عمله الصالح في السماء، ويقول بعض السلف: وقد تجاوز عمره التسعين سنة لم أصل الفريضة قط منفردا إلا مرتين وكأني لم أصلهما، ويقول ابن معين عن إبراهيم بن ميمون: «كان إذا رفع المطرقة فسمع النداء لم يردها»، وبعضهم إذا غرز الإبرة لم يخرجها، وقال الشعبي: «ما دخل وقت الصلاة منذ أسلمت إلا و أنا على وضوء»، هذه هي الرجولة ومن يريد الجنة هذه هي حال السلف مع الصلاة فما حالنا يا ترى معها سؤال يطرح نفسه وكل واحد يعرف نفسه، يقول أحدهم: «إذا ذكرت مناقب السلف افتضحنا».

لا تعرضن بذكرنا في ذكرهم ... ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

***

لكن نقول:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالكرام فلاح

فسلفنا لما علموا ما للصلاة من أهمية كبرى عكفوا عليها وأعطوها حقها، فقلوبهم عند حضورها تحن، وعند فواتها تتأسف وتبكي وتئن، فلا يتركونها مع شدة المرض بل وهم على فراش الموت، ولا عجب أن يهتموا بها فلقد وصاهم رسولهم بها و هو في سكرات الموت، فقال: (الصلاة الصلاة)، إخواني والله إني لأعجب، وما لي لا أعجب ولا يزال الناس في عجب ما تعجب من العجب، أعجب ممن يسمع الأذان ثم يقر في بيته، فإذا سمع الإقامة فزع وهرع، وإلى المسجد أسرع لا يبالي ماذا أدرك وماذا فاته، يا من هذا فعله اعلم أن الأذان شرع لإعلام الناس بدخول وقت الصلاة لكي يقبلوا إلى المسجد، وأما الإقامة فشرعت لإعلام الحاضرين في المسجد أن الصلاة أقيمت، يا مسلم الله الله في الصلاة فهي الصلة بين العبد وربه تنير الوجه والقلب والقبر، وتشفع لصاحبها في الحشر،

وهي سبب الفوز في الدنيا والأخرى، وقبول الأعمال موقوف على قبولها، وهي قرة العيون وفرحة المحزون وفرج للهموم، ومواساة للمحروم، يقول المولى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

أخي ما حظك من هذا الفضل العظيم هل حظيت به وأدركته أو فوته وأضعته فأقول لمن أدركه، ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] وأقول لمن فوته ابك على نفسك .

فنفسك لم ولا تلم الآخرين ومت كمدا فليس لك اعتذار

إخواني إننا في هذه الأيام نشكوا إلى الله قلة المحافظين على الصف الأول وتكبيرة الإحرام والمساجد تئن من تباطؤ المصلين وإنك لتتحسر عندما ترى المساجد خاوية من الشباب خالية صرفتهم هذه الدنيا بشهواتها وملذاتها حتى إنهم ليفوتهم الأجر العظيم وهم لا يشعرون حرموا أنفسهم من كل خير ولله در القائل:

والله لو أن القلوب سليمة لتقطعت أسفا من الحرمان
لكنها سكرى بحب حبيبها أو بالملذة والحطام الفاني

نسأل الله السلامة ونحمده أن عافانا مما ابتلى به هذه العقول البليدة والقلوب السقيمة نسأل الله لهم الهداية، والنبي عليه الصلاة والسلام مع ما كان به من شدة المرض الذي مات فيه كان يصلي بالناس جميع الصلوات، وعندما زاد ثقل المرض عليه بحيث لم يستطع الخروج إلى المسجد قالت عائشة رضي الله عنها: قال النبي عليه الصلاة و السلام: **(أَصَلَّى النَّاس؟)** قلنا لا، هم ينتظرونك يا رسول الله فقال ﷺ: **(ضعوا لي ماء في المخضب)** ففعلوا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق فقال: **(أصلى الناس؟)** ووقع ثانياً وثالثاً ما وقع في المرة الأولى من الاغتسال ثم الإغماء ، والناس عكوف في المسجد

ينتظرون رسول الله ﷺ يصلي بهم انظر كيف كانت متابعة النبي ﷺ لصلاة المسلمين في مرض موته فكلما أفاق من إغمائه سأل: (أصلى الناس؟) وكان هذا أربع مرات ولما أن وجد في نفسه خفة حرص على صلاة الجماعة واللقاء بأصحابه ﷺ فخرج بين رجلين من أصحابه ﷺ وما كان من النبي ﷺ في مرض موته يدل على عظمة الصلاة وأهمية الجماعة ومكانة المسجد في الإسلام... إنه في مرض الموت يتابع أمر الصلاة فيا أيها الأصحاء المعافون ؟ ويا أيها الشباب ؟ ويا من تنعمون بالقوة والنشاط ؟ كيف ترضون لأنفسكم التخلف عن المسجد والجماعة ؟ وما الذي ستفعلونه بالصلاة إذا مرضتم؟...

أيها الأخ الكريم: إن الإنسان يوم يترك الصلاة يكون إنساناً لا قدْر له ولا حرمة له، ولا مكانة ولا وزن، نعم إن الإنسان حين يترك الصلاة يكون دمه رخيصا لا وزن له، لأنه بذلك قد أبطل غاية وجوده، وأصبح بلا وظيفة وباتت حياته فارغة من القصد خاوية من معناها الأصيل الذي تستمد منه قيمتها الأولى، وانتهى به ذلك إلى الضياع المطلق الذي يصيب كل كائن لا يفر إلى الله لأداء الوظيفة التي خلق الله تعالى العباد لها ومنحهم وجودهم ليؤدوها قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

والله تعالى أخبرنا عن جيل من الأجيال تهاونوا بالصلاة فقال ﷻ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، قال أحد السلف: «أما إنهم ما تركوها بالكلية ولكن أخروها عن أوقاتها،فأي إسلام لإنسان يترك الصلاة؟! وأي دين له؟!».

وما معنى شهادة أن لا إله إلا الله لإنسان تؤخره تجارته أو وظيفته عن الصلاة ثم يتبجح بعد ذلك مدعياً أنه مسلم !!.

لقد أخبرنا الله تعالى عن موقف المنافقين تجاه الصلاة فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، إن حال المنافقين في كل أمة وملة أنهم يخادعون ويكذبون ويكيدون ويغشون.

إنهم حين يقومون إلى الصلاة يقومون إليها كسالى، يقومون إليها متثاقلين متباطئين ليست لديهم رغبة تبعثهم على عمل ولا نشاط يدفعهم على فعل، لأنهم لا يرجون ثواباً في الآخرة ولا يخشون عقاباً إذ لا إيمان لهم، وإنما يخشون الناس، فإذا كانوا بمعزل عن المؤمنين تركوا الصلاة وإذا كانوا معهم سايروهم بالقيام بها.

أيها الأخ المبارك: إن كثيراً من الناس اليوم يصلون ولكن صلاتهم للعصر مع غروب الشمس وصلاتهم للفجر مع طلوع الشمس !! فأين الإسلام ؟! وأين الإيمان ؟!.

إن القلب ليتفطر ألماً وحزناً حين تدعو أحدهم إلى المحافظة على صلاة الجماعة في المسجد وتؤكد على صلاة الفجر مع الجماعة فيجيب: إنني أصلي الفجر قبل طلوع الشمس!! أهذا عمل نقابل به الله تعالى يوم القيامة يوم يسألنا عن الصغير والكبير والحقير والعظيم؟!! سبحان الله سبحان الله!!! مسلم يعجز عن خمس فرائض فقط في المسجد، أو يزعم أن محبة الله وتعظيم الله هي غايته ثم ينام عن الصلاة، أو من يضع الساعة المنبهة على وقت العمل أما صلاة الفجر فلا يلقي لها بالا ولا شأنا ولا اهتماما فأي دين وأي عبودية وأي إسلام عنده، سبحان الله إني والله لأعجب ومالي لأعجب والعجب لا ينقضي ممن هذه حاله.

اللهم إليك نشكو حال قوم أصبحت الصلاة عندهم آخر شيء يفكرون فيه ... وإننا لنذكر هذا ومن كان على شاكلته بقوله عليه الصلاة والسلام: (**والذي نفسي بيده لقد**

هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب فأحرق عليهم بيوتهم)[1].، وفي حديث: (**لولا ما في البيوت من النساء والذرية..**).

إنه لا عذر لأحد في ترك الصلاة مع الجماعة مادام صحيحاً سليماً، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (ولقد كان يؤتى بالرجل يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف)[2].

يقول أحد السلف وقد تجاوز عمره التسعين سنة: «ما صليت منفرداً إلا مرتين».

ويقول أحدهم: «أربعون سنة ما فاتتني تكبيرة الإحرام، ولا نظرت إلى قفى غير الإمام».

ويقول أحدهم: «إذا رأيت الرجل لا يبالي بتكبيرة الإحرام فاغسل يدك منه».– وتقدمت نماذج من ذلك –.

هذا هو حال المسلمين الأوائل تجاه الصلاة وفي حال المرض، فبماذا يجيب الآن من هم في كامل صحتهم وقوتهم؟!!.

و بماذا يجيب من أعطاهم الله تعالى كل شيء وهم قد بخلوا بعدة دقائق يتصلون فيها بمن تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيها بالذي له الأمر من قبل ومن بعد ؟!!.

فبماذا سيلقى هذا ربه يوم أن يسأله عن الصلاة ؟!!.

وكان أمر الصلاة آخر ما تكلم به وأوصى به الناس، وكرر مراراً حين حضره الموت كما قال أنس رضي الله عنه: (كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت: (**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**) حتى جعل يغرغر بها صدره وما يكاد يفيض بها لسانه). وهذا يدل على أهمية الصلاة لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، ولهذا أوصى بها النبي صلى الله عليه وسلم الرحمة المهداة والنعمة المسداة – بأبي وأمي –عند موته أثناء الغرغرة. ولا غرو أن يحدث ذلك من رسول اختاره الله، وكان أرحم الناس وأنصحهم لأمته صلى الله عليه وسلم.

---

(١) أخرجه البخاري وغيره.

(٢) أخرجه مسلم وغيره.

و آخر ابتسامة ابتسمها ﷺ عندما رأى المسلمين يصلون جماعة يؤمهم أبو بكر رضي الله عنه لهذا المنظر سر سروراً كثيراً ﷺ، فهاهي ذي أمته كلها صف واحد وصفوف متراصة وراء قائدها وإمامها أبي بكر الصديق، فابتسم ضاحكاً وحيّا صحبه وجنده وما رؤي أحسن منه هيئة تلك الساعة، وكانت آخر قرة عين له ولأمته من بعده، حتى خيل للصحابة رضي الله عنهم أنه ﷺ قد نشط من أوجاعه وعوفي من آلامه، ولكنهم ما عرفوا إلا أخيراً أنه إنما وقف ينظر إليهم تلك النظرة لينقلب بها إلى سكرة الموت، وهي آخر منظر يسجل في ذهنه لمشهد الصحابة، بل وأمته كلها كي تكون هي العهد الباقي بينهم وبين الله عز وجل، ولتكون هي الهمزة الواصلة بين لحظة الوداع لأمته في الدنيا ولحظة الاستقبال لها في الآخرة على حوضه الموعود.

ولقد شاء الله ﷻ أن يكون هذا المشهد هو الصلاة !!.. وشاء الله سبحانه تعالى أن تكون هي العهد الأخير.

وكل هذه الوصايا تدل على رحمته ﷺ وشفقته بأمته؛ حيث وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ويعاني سكرا ت الموت ينبهها إلى معاقل الخير ليتمسكوا به ﷺ وجزاه الله عن أمته خير ما جزى نبياً عن أمته.

فيا أخي المسلم: الله الله في العهد! العهد الذي فارقت عليه رسول الله ﷺ وهو راض يبتسم.

احذر منع الزكاة:

فهو من أكبر الكبائر لأن الزكاة ركن من أركان الإسلام وهو حق الفقراء على الأغنياء في مال الله الذي أعطاهم، أعطاهم الكثير الكثير وطلب منهم لإخوانهم القليل القليل، ففي الألف ريال خمسة وعشرون ريالا ولو أخرج كل المسلمين زكاة أموالهم والله لم يبق فقير ولا مسكين ولا محتاج، وجعل القرآن الممتنع عن أداء الزكاة من جماعة المشركين فقال جل من قائل: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٦-٧] وقد وردت

الآيات الكثيرة التي تتوعد الذين يمتنعون عنها بالوعيد الشديد والعذاب الأليم في الآخرة منها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة ٣٤-٣٥]. نعم سيحمى عليها في نار جهنم يوم القيامة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم تكوى بها أجسامهم ولكن في مواضع معينة حساسة جدا يكون الألم فيها مضاعفا وهي جباههم وجنوبهم وظهورهم وفي الحديث: (**من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا** -وهو ذكر الثعابين- **أقرع له زبيبتان** - **كالنابين يطوقه يوم القيامة بلهزمتيه** - شدقيه- **ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك**)، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [آل عمران: ١٨٠]. هذا في الآخرة أما في الدنيا فينزل الله عليهم الكوارث ويذهب عنهم البركة ويسبب القحط والجدب ويمنع المطر وفي الحديث: (**ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا**) وفي الحديث الآخر: (**من أدى زكاة ماله فقد ذهب عنه شره**) فأي مال لم تخرج زكاته إلا كان سحتا وشرا وخبثا وجمرا ونارا على صاحبه، ومانع الزكاة ملعون ملعون، ولعظم موقع الزكاة من الدين ولأهميتها العظيمة حارب الخليفة الراشد أبوبكرالصديق المرتدين عن الدين والمانعين للزكاة ولم يفرق بينهما.

سبحان الله المال مال الله، الله أعطاك إياه واستخلفك عليه تعطيه أخاك الفقير المحتاج يكن لك خير وبركة ونماء وزكاة وطهرة وبرهان.

الله أعطاك فابذل من عطيته فالمال عارية والعمر رحال

أخي المسلم بادر بإخرج زكاة مالك طيبة بها نفسك، قبل أن تصير ثعبانا يطوقك في قبرك، ويوم حشرك، وقبل أن يحمى عليه في نار جهنم فيكوى بها جنبك وجبينك وظهرك، وقبل أن تسأل الرجعة عند المات إلى الحياة لتزكي وتعمل صالحا فلا يجاب سؤلك: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١] وقبل أن يتعلق الفقير بالغني يوم القيامة ويقول: «يا رب سل هذا لم منعني حقي» فما هو الجواب يوم السؤال والحساب؟ فأعد لذلك السؤال جواباً، وليكن جوابك حقا صوابا.

وتذكر اليوم وما أنت فيه من الخيرات والنعم، واعلم أن كل مال لا تخرج زكاته فهو كنز وإن كان قليلا ما دام بلغ النصاب، واحذر أن تقع فيما وقع فيه بعض الناس يتصدق وينفق ويبر كل ما سنحت الفرصة ولكن لا يزكي فأقول: إن هذه الأعمال من الخير ولكن لا تغني عن إخراج الزكاة المفروضة.

أين حرص الجامعين على الأموال الباخلين على الفقراء والمساكين والأيتام، أين عقولهم ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥]، لو رأيتهم في طبقات الجحيم يتقلبون على جمرات الدرهم والدينار، وقد غلت اليمين مع اليسار لما بخلوا مع الإيسار، لو رأيتهم في الجحيم يسقون من الحميم وقد ضج صبورهم ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ كم كانوا يوعظون في الدنيا وما فيهم من يسمع، كم خوفوا من عقاب الله وما فيهم من يفزع، كم أنبئوا بمنع الزكاة وما فيهم من يدفع، فكأنهم بالأموال وقد انقلبت شجاعا أقرع ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما ربك بظلام للعبيد.

احذر من ترك صيام رمضان مع القدرة:

فمن ترك صيام رمضان مع القدرة فقد ترك ركنا من أركان الإسلام وارتكب كبيرة من الكبائر قال الإمام الذهبي: «وعند المؤمنين مقرر أن ترك صوم رمضان بلا عذر أنه شر

من الزاني ومدمن الخمر، بل يشكون في إسلامه ويظنون به الزندقة والانحلال، فليحذر الذين يغلقون عليهم بيوتهم وأبواب مكاتبهم، ويختارون الخلوات لاقتحام المعاصي والإفطار في رمضان، عليهم أن يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]. فعلى من اقترف هذه المعصية أن يتوب إلى الله ويصوم ويخشى عقاب الله، فإن الإفطار في رمضان دليل على فساد القلب وقبح السريرة والاستهانة بالشرع، وهو على شفا هلكة إن لم يتدارك نفسه ويتوب ويقلع، والله يقول: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، ويجب على إمام المسلمين أن يدعو هذا الرجل الذي ترك الصيام متكاسلا وتهاونا إلى الصوم، فإن أبى فليعزره حتى يصوم».

احذر التفريط في الحج بتركه أو تأخيره مع الاستطاعة:

فالله يقول: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران ٩٦-٩٧]. وفي الحديث: (**بني الإسلام على خمس - فذكر منها - وحج البيت**)[1]، وعن عمر رضي الله عنه قال: (**لقد هممت أن أبعث رجالا إلى هذه الأمصار لينظروا كل من له جدة - أي غنى - ولم يحج فيضربوا عليه الجزية، ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين**) ففي الحج الأجر الكبير والثواب العظيم، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**) وقال: (**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**). أما مكة ففضائلها لا تعد ولا تحصى فهي بلاد اختارها الله على جميع

---

(١) متفق عليه.

البقاع وفضلها وجعلها خيرها وأشرفها، اختارها الله لنبيه وجعلها مناسك لعباده، وأوجب عليهم الإتيان إليه من القرب والبعد من كل فج عميق، فلا يدخلونه إلا متخشعين متذللين متواضعين، كاشفي رؤوسهم متجردين من لباس أهل الدنيا، جعله حرما آمنا جعل من قصده مكفرا لما سلف من الذنوب ماحيا للأوزار حاطا للخطايا، ولم يرض لقاصده ثوابا دون الجنة، وليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعي إليها والطواف بالبيت الذي فيها غيرها، وليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه وتحط الأوزار والخطايا فيه غير الحجر الأسود، وجعل الصلاة فيه بمائة ألف صلاة، مما يدل على أنها من أفضل البقاع على الإطلاق كما قال النبي ﷺ: **(والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت)** ومن خصائصها كونها قبلة لأهل الأرض كلهم، فليس على وجه الأرض قبلة غيرها، ومن خواصها أيضا حرمة استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة، ولو في حالة البنيان دون سائر البقاع، والمسجد الحرام أول مسجد وضع في الأرض، وجعلها الله أم القرى فالقرى تابعة لها وفرع، وهل فرع كأصل، ولا يدخلها من أراد الحج والعمرة إلا محرما، ومن خواصه أن الله يعاقب فيها على الهم بالسيئة ولو لم يعملها: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٍ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]. فالسيئة في حرم الله وبلده وعلى بساطه آكد وأعظم منها في أي طرف من أطراف الأرض، وقد ظهر سر هذا التفضيل والاختصاص في انجذاب الأفئدة وهوي القلوب وانعطافها ومحبتها لهذا البلد الأمين، فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد، ولهذا أخبر الله أنه مثابة للناس يثوبون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار، ولا يقضون منه وطرا بل كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له اشتياقا.

لا يرجع الطرف عنها حين ينظرها ... حتى يعود إليها الطرف مشتاقا

فلله كم لها من سليب وقتيل وجريح وكم أنفق في حبها من الأموال والأرواح، ورضي المحب بمفارقة فلذات الأكباد والأهل والأحباب والأوطان، مقدما بين يديه أنواع المخاوف والمتالف والمشاق، وهو يستلذ ذلك كله ويستطيبه.

وليس عيبا من يعد شقاءه عذابا إذا ما كان يرضي حبيبه

إنه البلد الذي حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله مباركا وهدى للعالمين، ﴿فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، إنها بكة ومكة والبلد الحرام والبلد الأمين والبلد الطيب، لا تشد الرحال إلا إليه، والمسجد النبوي والمسجد الأقصى - فك الله أسره ومَنَّ الله على المسلمين بشد الرحال إليه - سبحان الله سبحان الله كيف تطيب نفس المؤمن أن يترك الحج مع قدرته عليه بماله وبدنه، وهو يعلم أنه من فرائض الإسلام وأركانه العظام، سبحان الله مسلم يسافر وينفق الأموال ويتكبد المشاق إما للنزهة أو للسياحة أو للفرجة، ويحرم نفسه من الحج وأجره وثوابه، فهو لا يعرف طريق مكة، ولم ير الكعبة رأي العين، ولم يكحل عينه برؤية البيت الحرام الذي تحن إليه القلوب وتنشرح برؤيته الصدور وتقر العيون، فأي مصيبة دهتك يا من لم ير مكة بعينيه ولم تطأ قدمه تلك الرحاب والبقاع، أي خير فاتك أي نعمة حرمت، أي خسارة تبوأت، أي سعادة فقدت، فانهض سارع نافس سابق بادر هرول، حث السير أسرع الخطى تعجل شمر اهرع افزع.

أيها النائم والركب سرى الحق القوم ولا تقعد ورى

***

واحسرتا تقضى العمر وانصرمت ساعاته بين ذل العجز والكسل

والقوم قد أخذوا درب النجاة وقد ساروا إلى المطلب الأعلى على مهل

***

أيا صاح هـذا الركـب قـد سـار مسرعا ونحـن قعـود مـا الـذي أنـت صـانع
عـلى نفـسه فليبـك مـن كـان باكيـا أيـذهب وقـت وهـو بـاللهو ضـائع

لم لا يشتاق قلب المسلم ويحن ويئن ويتولع ويتوله، بل يطير ويعج فؤاده فرحا وتدمع عينه وتخنقه العبرة فرحا إلى رحاب تلك البقاع، وبعض المسلمين ربما لا يمر على باله ذهابه لمكة، يا لها من انتكاسة وارتكاسة، مسلم لا يفكر في ركن من أركان الإسلام!!! لماذا يبخل بالمال في أداء هذه الفريضة مع أنه ينفق الكثير الكثير في سبيل التمتع بالحياة؟!! لم يتثاقل ويتقاعس عن فريضة الحج، مع أنه لا يجب في العمر إلا مرة واحدة ؟ وما يدري الإنسان فلعل الأجل يحول بينه وبين أداء فريضة الحج إن أخره، وكم من مسلم ومسلمة يتفطر فؤاده من أجل أداء هذه الفريضة، بل كم مسلم ومسلمة فاضت روحه إلى باريها وقد عاش أملا لم يتحقق ليحج بيت الله الحرام، فالله الله في المبادرة، والمسارعة المسارعة إلى الحج فإن الأمور ميسرة ولله الحمد، لا يقعدنك الشيطان ولا يأخذنك التسويف والإهمال، ولا تلهينك الأماني... واسأل نفسك: إلى متى وأنا أؤخر الحج إلى عام قادم ؟ ومن يعلم أين أنا العام القادم أفوق التراب أم تحته ؟! وتأمل في حال الأجداد كيف كانوا يحجون على أقدامهم يسيرون ليالي وشهورا ليصلوا إلى البيت العتيق ؟!! وبعض الناس يتلبسه الشيطان بأعذار واهية.. فتراه يؤجل عاما بعد آخر معتذرا بشدة الحر وكثرة الزحام ؟ ! فمتى عرف عن أيام الحج عكس ذلك ؟!

فيا مسلم لتهنأ نفسك وتقر عينك بالذهاب هذه السنة الآن، الآن استعد هيء نفسك رتب وقتك وحالك وشؤونك، تفرغ من دنياك لأخراك لا تؤخر لا تؤجل، لا تقل إن وعل ولعل وعسى وإذا وسوف وحتى. لا لا لا لتهنأ نفسك بالذهاب هذه السنة، وتقر عينك هناك في رحاب بيت الله العتيق، عند الكعبة وزمزم والمقام والصفا والمروة ومنى

ومزدلفة والمشعر الحرام، في ضيافة مولانا الرحيم الرحمن، اعرف شرف ذلك البيت وتلك البقاع أقبل على حج بيت الله الحرام:

١ - صادقا مخلصا مؤمنا محتسبا.

٢ - بنية خالصة لا رياء ولا سمعة ولا شهرة، ولا من أجل أن تقول في المجالس حججت كذا وكذا.

٣- بنفقة طيبة ومال حلال لا يشوبه حرام؛ من ربا أو غش أو ظلم أو شبهة.

٤- بعلم وبصيرة وفقه ومعرفة.

٥- بصحبة العلماء وطلبة العلم العاملين والصالحين، أهل التقوى والورع أهل السنة والجماعة والخوف من الله، لا بصحبة الهمج الرعاع الذين ترى فيهم الغفلة والمعاصي والجهل من أغان دخان شيشة بيلوت تصوير موسيقى، سب شتم تضييع للصلوات والأوقات، والتبرج السفور الاختلاط، بدع موالد مدائح غلو شرك خرافات تصوف، من هذه اللحظة ابحث عن الحملة التي لا يحصل ولا يشم فيها شيء من ذلك، ولو كانت بأغلى وأعلى ثمن، فالنفقة في الحج مخلوفة في سبيل الله من أجل أن يكون حجك مبرورا وسعيك مشكورا وذنبك مغفورا، فابحث عن الحملات العلمية التي فيها طلاب علم من أهل العقيدة الصحيحة والمنهج السوي، ثم اعلم أن الذهاب إلى المدينة لا علاقة له بالحج ولا متمم له، فهذا مستقل عن ذاك ودع عنك ما يقول أهل البدع والموالد والحضرات، الذين يتوسلون بالقبور ويدعون المقبور، وقولهم الذي لا أصل له: «حجة بلا مدينة يتيمة»، أقول مؤكداً: إن الذهاب إلى المدينة ليس من مستحبات الحج ولا متمما له .

وعلى المرأة أن تبحث عن محرم لها وجوبا قبل أن تحج، فإن وجدت محرما فلتبادر للحج وإن لم تجد محرما فتنتظر حتى تجد محرما لها ولو بأجرة، ولو بعد سنوات فإن لم تجد محرما فتسقط عنها فريضة الحج بنفسها وتعطي المال من يحج عنها، أما سفرها بلا محرم

فحرام لا يجوز وإن حجت فهي آثمة آثمة، للرسول عاصية، ولا بد أن يكون المحرم رجلا أو شابا بالغاً، فلا يصح أن يكون المحرم صغيرا أو امرأة أو رفقة نساء ولو كانت مأمونة، فرسول الله يقول: (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر يوما وليلة إلا ومعها ذو محرم). فقال رجل يا رسول الله إني اكتتبت في غزوة كذا وإن امرأتي خرجت حاجة فقال النبي ﷺ: (انطلق فحج مع امرأتك) فقدم المحرم في الحج على الجهاد في سبيل الله، ولم يستفصل هل هي قبيحة أم جميلة وهل معها نساء أو هل معها رفقة مأمونة؟ فبأي حجة وبأي وجه يلقى الله من يقول بجواز سفر المرأة بلا محرم إذا كانت قبيحة، أو كانت مع نسوة مثلها، أو مع رفقة مأمونة، سبحان الله أين يفرون من هذه النصوص الصريحة الصحيحة، وكيف يحملونها ما لا تحتمل فانظر أهمية المحرم في السفر ولو للحج .

فاستعد للقاء الله عز وجل واستثمر أوقاتك فيما يعود عليك نفعها في الآخرة فإنها ستفرحك يوم لا ينفع مال ولا بنون.. يوم تتطاير الصحف وترتجف القلوب وتتقلب القلوب والأبصار، وأقول لك مقدما هنيئا لك في جوار الله، في حرم الله، في بيت الله.

احذر التفريط في بر الوالدين :

عبد الله إن الله قرن حق الوالدين بحقه فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقرن شكرهما بشكره فقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]، وقرن النبي ﷺ رضاهما برضا الله وسخطهما بسخط الله فقال: (رضا الرب في رضا الوالدين، وسخط الرب تبارك وتعالى في سخط الوالدين)[1]. مسكين العاق يريد رضاء الله ووالداه ساخطان عليه هذا لا يكون، وقال عن الأم: (إلزم رجلها فثم الجنة)[2] ، وقال عن الأب: (الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو

(١) صحيح الترغيب (٢٥٠٣).

(٢) صحيح الترغيب (٢٤٨٤).

احفظه)[1] ، بكى أحد السلف لما توفيت أمه فسئل عن ذلك فقال: «كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة فأغلق أحدهما»، من كانت له أم فليتدارك ما بقي من أيامها لئلا يصبح يوما فلا يجدها ولا يجد ما يعوض عنها، وإن كانت كبيرة السن أو مريضة أو كثيرة الطلبات، فاذكر أيها المسلم أنها إن احتاجت إليك اليوم فلقد كنت في يوم أحوج إليها، ولئن طلبت أن تقدم لها شيئا من مالك فلقد قدمت لك من نفسها ومن جسدها. وقال ﷺ: **(ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين)**[2] مسكين من مات والداه وهما ساخطان عليه، هذه علامة أنه باء بسوء الخاتمة محروم من الجنة، فلا تدع والديك يخرجان من الدنيا إلا وهما راضيان عنك حتى لا تحرم الجنة.

وانظر هذه النماذج المخزية من العقوق :

من أعجب القصص: ثمن الأمومة.

في هدأة الليل البهيم ارتفع صوت الأم وهي تبكي..تخاطب ولدها الماثل أمامها:

- أرجوك يا ابني أتوسل إليك... لا تتركني وحدي أعيش بين هذه الجدران الأربعة تحيط بي الوحشة والخوف والحاجة والعوز.

- ابني هذه وصية أبيك لك حينما وصاك بي.. أنسيت ما قاله لك وهو يحتضر؟! لقد ذرفت الدموع قليلاً ثم تنكرت لي وذهبت تعيش مع زوجتك وأولادك، وتتركني وحدي.

ابني.. إني على استعداد لأكون خادمة لك ولزوجتك وأولادك لكن لا تتركني للظلام والوحدة أنا أمك حملتك أرضعتك سهرت لأجلك أعطيتك ربيتك، كان الابن العاق ينظر إلى أمه غير مكترث لما تقول.. وبعد صمت طويل أخرج من جيبه خمسمائة ريال ووضعها في يد أمه وقال سأزورك بعد شهر !!

---

(١) صحيح الترغيب (٢٤٨٦).

(٢) صحيح الترغيب: (٢٤٩٢).

قالت يابني لكني.. فقاطعها قائلاً: إني مشغول. ولدي أعمال كثيرة لا بد من إنجازها في أسرع وقت.. ثم خرج.. ومضى شهر واثنان وثلاثه ولم يزرها أو يقف على بابها.. حتى جاء ذلك اليوم الذي أخبر فيه أنها وجدت ملقية على الأرض قد فارقت الحياة منذ أيام..!!

يقول أحد المشايخ: أرسلت إليّ أم باكية شاكية من قطيعة ولدها تقول: لا يسمع لشكواي ولا يرحم بلواي، له أذن صاغية لزوجته، وزوجته تتلون إذا غاب فتصب جام غضبها على الأم، وأذلتها الليل والنهار وإذا جاء الولد أرخت النقاب على وجهها وتباكت وتلونت وذرفت الدموع وتقول: أمك فعلت أمك قالت: حتى اشتد النقاش أمام الولد بين الزوجة والأم فما كان من الولد إلا أن رفع عقاله وضرب أمه أمام زوجته ولا حول ولا قوة إلا بالله ...

وذاك ابن عاق لأمه أودعها في إحدى دور العجزة ولم يزرها إطلاقا حتى تردت حالتها، وعندها طلبت من المسؤول الاتصال على ابنها لتراه تقبله قبل أن تموت وسبقتها الدموع وهي تنادي باسمه أن يحضر، لكنِ العاصي العاق والعياذ بالله رفض ذلك وادعى ضيق الوقت، فلما توفيت الأم تم الاتصال بالابن فكان جوابه أكملوا الإجراءات الرسمية وادفنوها في قبرها.

وآخر طلبت زوجته منه أن يخرج أمه من المنزل ويجعل لها غرفة في الملاحق الخارجية، فلم يتردد فوافقها وعندما خيم الشتاء وحل البرد القارص قالت تلك الأم حاولت دخول المنزل ولكن الأبواب مغلقة في وجهي فلسعني البرد وساءت حالتي فحملني ابني زيادة على هذا وكنت أظن أنه سيذهب بي لأحد المستشفيات، وإذا به يلقي بي في دار الرعاية الاجتماعية، ولم يسأل عني منذ ذلك الحين إنها قصص يتفطر لها الفؤاد أسى، وتذوب النفس لسماعها حسرة ويكلم القلب القاسي ويلين وتسخن العين الجامدة وتذرف أين هذا من قول الله: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا

تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥] وقوله ﷺ: (أطع والديك وإن أخرجاك من مالك ومن كل شيء هو لك) وقوله ﷺ: (ولا تعص والديك وإن أمراك أن تخلى من أهلك ودنياك فتخلى).

الويل كل الويل للعاق لوالديه والخزي كل الخزي لمن ماتا غضبانين عليه أف له هل جزاء المحسن إلا الإحسان إليه، أتبع الآن تفريطك في حقهما أنينا وزفيرا ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]. كم آثراك على النفس، ولو غبت ساعة صارا في حبس حياتهما عندك بقايا شمس قد راعياك طويلا فارعهما قصيرا ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾. كم ليلة سهرا معك إلى الفجر، وداراك مداراة العاشق في الهجر، فإن مرضت أجريا دمعا لم يجر، تالله لم يرضيا لتربيتك غير الكف والحجر سريرا ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ يعالجان أنجاسك ويحبان بقاءك، وإذا لقيت منهما أذى شكوت شقاءك، ما تشتاقهما إذا غابا ويشتاقان لقاءك، كم جرعاك حلوا وجرعتهما مريرا ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾. تصدق عنهما إن كانا ميتين، وادع لهما واقض عنهما الدين، وصل رحمهما وأكرم صديقهما، واستغفر لهما واستدم هاتين الكلمتين وما تكلف إلا أمراً يسيراً ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

أخي الشاب: هاهما بجوارك قد دب المشيب إليهما.... واحدودب الظهر منهما وارتعشت الأطراف...لا يقومان إلا بصعوبة، ولا يجلسان إلا بصعوبة أنهكتهما الأمراض وزارتهما الأسقام والأوجاع وهذا وقت البر الحقيقي بهما.

فعليك بوصية الله جل وعلا ووصية رسوله ألن جانبك لهما وارع حقهما ...وقبل رأسهما واسكب الدمعة لعل الله يرحمهما.... ويعفو عن تقصيرك في حقهما ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾. يا من فرط وقصر وأضاع وأهمل حق والديه!! من الآن من الآن انطلق إليهما أضحكهما طيب خاطرهما، استدرك تقصيرك تجاههما، برهما اخدمهما

ابك على الأيام التي مضت وأنت عاق لهما، تذلل لهما تذلل العبد لسيده، كن عبدا مملوكا أسيرا لهما، واسألهما في هذه اللحظة العفو منهما، واطرح بين أيديهما وقل قد أسأت إليكما وأنا تائب، فلا تدري فلعلك في هذه اللحظة تفارق الدنيا فتكون قد بؤت بسوء الخاتمة.

زر والديك وقف على قبريهما فكأني بك قد نقلت إليهما
ما كان ذنبهما إليك وإنما منحاك محض الود من نفسيهما
أنسيت عهدهما عشية أسكنا دار الفنا وسكنت في داريهما
لو كنت حيث هما وكانا بالبقا لأتوك حبوا لا على قدميهما
كانا إذا ما أبصراك بعلة جزعا وشق ذاك عليهما
كانا إذا سمعا أنينك أسبلا دمعيهما أسفا على خديهما
بشراك لو قدمت فعلا صالحا وقضيت بعض الحق من حقيهما

أخي: البر سلف البر دين وكذا العقوق والجزاء من جنس العمل، مر ناس على رجل يضرب أباه ضربا مبرحا، والناس يمنعونه، والأب يقول: دعوه دعوه دعوه إني ضربت أبي في هذا الشارع، والبر سلف دعوه دعوه لعل الله أن يغفر لي.

ويذكر: أن عاقا كان يجر أباه برجله إلى الباب ليخرجه من الدار، فكان له ولد أعق منه فكان يجره برجله إلى الشارع، وإذا بلغ به الباب قال: حسبك ما كنت أجر أبي إلا إلى هذا المكان فيقول له ولده هذا جزاؤك مع والدك والزائد صدقة مني عليك ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الحج: ١٠].

احذر التفريط في صلة الأرحام:

مسلم قاطع لرحمه لا يعرف أخا ولا أختا ولا خالا ولا عما ولا قريبا، هل يعقل هذا؟ ونسي هذا المسكين أنه لا يدخل الجنة قاطع رحم والله يقول: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن

تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣] والرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله، وإن كان لك رحما تصلهم ويقطعوك وتحسن إليهم ويسيؤون إليك وتحلم عليهم ويجهلوا عليك، فاستمر استمر لا تقطعهم، فلا يزال لك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك، فأنت الغالب، فلا تتضعضع أو تتراجع أو يلن عزمك أو تفتر عن صلتهم.

هذه أخلاق الأنبياء، صل من قطعك أعط من حرمك اعف عمن ظلمك، وفي الحديث: (**ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها**).

وفي يومي الإثنين والخميس يُغفرُ لكل عبد لا يُشرِكُ بِالله شَيْئًا، إلا امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ. قال ﷺ: (**تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا إِلا رَجُلا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا**)(١).

وفي رواية: (**تُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ ...**)(٢).

وحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: (**يطلع الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا المشرك أو مشاحن**). فإذا كان بين المسلم وأخيه شحناء توعد هذا الوعيد فكيف بقطيعة الرحم؟

فاحرص أخي على تصفية قلبك لإخوانك ومحبّتهم والبُعد عن الشُّحِّ والـمُشاحنة. واحرص على الإصلاح بين المتخاصمين فالصلح بين الناس من أفضل الأعمال وقد جعل ﷺ درجته فوق درجة صلاة التطوع وصوم التطوع وصدقة التطوع بقوله: (**ألا**

---

(١) أخرَجَهُ: مُسلم (رَ: ٢٥٦٥).

(٢) أخرَجَهُ: مُسلم (رَ: ٢٥٦٥) من حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه. صحيح لغيره: أخرجهُ ابن حبان ١٢/ ٤٨١ (٥٦٦٥) وابن أبي عاصم (٥١٢) من حديثِ معاذ. وله شواهد كثيرة ذكرها العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصَّحيحة ٣/ ١٣٥-١٣٩ (١١٤٤)

أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟) قالوا: بلى يا رسول الله قال: (إصلاح ذات البين، فإن إفساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين)[1]، وقال ﷺ: (ما عمل شيء أفضل من الصلاة وإصلاح ذات البين) وقال ﷺ: (أفضل الصدقة إصلاح ذات البين) وقال ﷺ لأبي أيوب رضي الله عنه: (ألا أدلك على عمل يرضاه الله ورسوله؟) قال: بلى. قال: (صل بين الناس إذا تفاسدوا وقرب بينهم إذا تباعدوا) يقول بعض السلف: «كنت جالسا مع محمد بن كعب القرظي فأتاه رجل فقال له القوم: أين كنت؟ فقال أصلحت بين قوم فقال محمد: أصبت لك أجر المجاهدين» وقرأ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾، الآية فالله الله في الإصلاح بين الناس فبالإصلاح بينهم تحل المودة محل القطيعة والمحبة محل الكراهية والإصلاح بين الناس يغرس في نفوسهم فضيلة العفو﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾، ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]، الإصلاح منبعه النفوس السامية لذا كان ﷺ يخرج بنفسه ويسعى للإصلاح بين الناس .

إخواني إن الله أحب الكذب في الإصلاح بين الناس وأبغض الصدق في الإفساد بينهم ولما كانت أعمال المتخاصمين الصالحة لا ترفع و لا تقبل حتى يصطلحا فيا أيها المتخاصم أترضى أن لا ترفع إلى الله أعمالك الصالحة.

احذر احذر التفريط في حق الجار:

لقد عظَّم الإسلام حق الجار، وظل جبريل عليه السلام يوصي نبي الإسلام ﷺ بالجار حتى ظنَّ النبي أن الشرع سيأتي بتوريث الجار: (مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سَيُورِّثه). وقد أوصى القرآن بالإحسان إلى الجار: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ

---

(١) رواه الترمذي.

وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء:٣٦]. (...**ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**). وعند مسلم: (**فليحسن إلى جاره**). بل وصل الأمر إلى درجة جعل فيها الشرع محبة الخير للجيران من الإيمان، قال ﷺ: (**والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه**). والذي يحسن إلى جاره هو خير الناس عند الله: (**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره**).

من هو الجار؟:

الجار هو مَن جاورك، سواءٌ كان مسلمًا أو كافرًا، وأما حد الجوار فقد تعددت أقوال أهل العلم في بيان ذلك الحد، ولعل الأقرب -والعلم عند الله- أن ما تعارف عليه الناس أنه يدخل في حدود الجوار فهو الجار. والجيران يتفاوتون من حيث مراتبهم، هناك الجار المسلم ذو الرحم، وهناك الجار المسلم، والجار الكافر ذو الرحم، والجار الكافر الذي ليس برحم، وهؤلاء جميعا يشتركون في كثير من الحقوق ويختص بعضهم بمزيد منها بحسب حاله ورتبته.

من صور الجوار:

يظن بعض الناس أن الجار هو فقط من جاوره في السكن، ولا ريب أن هذه الصورة هي واحدة من أعظم صور الجوار، لكن لا شك أن هناك صورًا أخرى تدخل في مفهوم الجوار، فهناك الجار في العمل، والسوق، والمزرعة، ومقعد الدراسة،... وغير ذلك من صور الجوار.

من حقوق الجار:

لا شك أن الجار له حقوق كثيرة نشير إلى بعضها، فمن أهم هذه الحقوق رد السلام وإجابة الدعوة وكف الأذى عنه: ولما قيل للرسول ﷺ: يا رسول الله! إن فلانة تصلي الليل وتصوم النهار، وفي لسانها شيء تؤذي جيرانها. قال: (**لا خير فيها، هي في النار**). (لا

يدخل الجنة مَن لا يأمن جاره بوائقه). وجاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو إليه أذى جاره. فقال: (اطرح متاعك في الطريق). ففعل؛ وجعل الناس يمرون به ويسألونه. فإذا علموا بأذى جاره له لعنوا ذلك الجار. فجاء هذا الجار السيئ إلى رسول الله ﷺ يشكو أن الناس يلعنونه. فقال ﷺ: (فقد لعنك الله قبل الناس)، ومن حقوق الجار تحمل أذى الجار: وإنها والله لواحدة من شيم الكرام ذوي المروءات والهمم العالية، إذ يستطيع كثير من الناس أن يكف أذاه عن الآخرين، لكن أن يتحمل أذاهم صابرًا محتسبًا فهذه درجة عالية: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون:٩٦]. ويقول الله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣]. وقد ورد عن الحسن رحمه الله قوله: «ليس حُسْنُ الجوار كفّ الأذى حسن الجوار الصبر على الأذى»، ومن حقوق الجار تفقده وقضاء حوائجه، يقول رسول الله ﷺ: (ما آمن بي من بات شبعانًا وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم). وإن الصالحين كانوا يتفقدون جيرانهم ويسعون في قضاء حوائجهم، فقد كانت الهدية تأتي الرجل من أصحاب النبي ﷺ فيبعث بها إلى جاره، ويبعث بها الجار إلى جار آخر، وهكذا تدور على أكثر من عشرة دور حتى ترجع إلى الأول ولما ذبح عبدالله بن عمر رضي الله عنهما شاة قال لغلامه: (إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي). وسألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ: إن لي جارين، فإلى أيها أهدي؟ قال: (إلى أقربها منكِ بابًا). ومن حقوق الجار ستره وصيانة عرضه: وإن هذه لمن أوكد الحقوق، فبحكم الجوار قد يطَّلع الجار على بعض أمور جاره فينبغي أن يوطن نفسه على ستر جاره مستحضرًا أنه إن فعل ذلك ستره الله في الدنيا والآخرة، أما إن هتك ستره فقد عرَّض نفسه لجزاء من جنس عمله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦].وقد كان العرب يفخرون بصيانتهم أعراض الجيران حتى في الجاهلية، يقول عنترة:

وأغض طرفي إن بدت لي جارت ... حتى يواري جارتي مأواها

وأما في الإسلام فيقول أحدهم:

مـــا ضــــر جـــاري إذ أجـــاوره ألا يــــــكون لبيــــــته ستــــــر

أعمـــى إذا مـــا جـــارتي خرجـــت حتـــى يـــواري جـــارتي الخـــدر

وأخيراً فإننا نؤكد على أن سعادة المجتمع وترابطه وشيوع المحبة بين أبنائه لا تتم إلا بالقيام بهذه الحقوق وغيرها مما جاءت به الشريعة، وإن واقع كثير من الناس ليشهد بقصور شديد في هذا الجانب حتى إن الجار قد لا يعرف اسم جاره الملاصق له في السكن، وحتى إن بعضهم ليغصب حق جاره، وإن بعضهم ليخون جاره ويعبث بعرضه وحريمه، وهذا والله من أكبر الكبائر. سئل النبي ﷺ: أي الذنب أعظم؟. عدَّ من الذنوب العظام: **(أن تزاني حليلة جارك)**.

الله الله في الأيتام والأرامل والمطلقات والفقراء والمساكين: تفقدوهم أغنوهم فالنبي ﷺ يقول: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله - وأحسبه قال - وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر)، الأيتام الذين فقدوا حنان الوالدين اهتموا بهم عناية رعاية تربية حنانا شفقة عطفا حنوا كفالة كونوا لهم كوالديهم حتى لا يشعروا بفقدهم لوالديهم والنبي ﷺ يقول: **(أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما)**، وعندما جاءه رجل يشكو قسوة قلبه قال له النبي ﷺ: **(أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك ؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلين قلبك وتدرك حاجتك)** واحذروا أخذ أموالهم أو شيئا منها بغير وجه حق فالله يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، بل نموها واستثمروها لهم واتقوا الله فيها أخي لو كان ابنك هذا اليتيم فكيف تود أن يعامل بعد وفاتك فكن للأيتام كما تريد أن يكون ابنك من بعدك وتذكر قول المولى عز وجل: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

واحذر الظلم واتق الله فيمن تحت يدك من عمال وخدم ونحوهم:

وتذكر الوصية النبوية التي قال فيها النبي ﷺ وهو على فراش الموت: (**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**) وفي هذا رد على أعداء الإسلام الذين ينتقدونه بأنه دين الإقطاع وهضم الحقوق، ويضربون الأمثلة بالرق والعبيد مع أنهم يعلمون أن نظام الإسلام لا مثيل له.

أرجع فأقول: أين وصية رسول الله ﷺ يا من يظلم العامل والأجير فينقص من أجره أو يستحل شيئاً من راتبه أو يؤخر رواتب العمال عن وقتها ويضطهدهم ويضيق عليهم ويهضمهم حقهم أو يكلفهم ما لا يطيقون ولا يحتملون أو يسخرهم عنده كالبهائم وبعضهم ينتهز فرصة ضعف الخدم أو العمال فيوقعون بهم ألوان الأذى والسب والشتم وكأنه ليس بآدمي أو ينقض العهود والاتفاقات التي بموجبها جاء بهم إلى البلاد فيعيشون عيشة ظلم وقهر وهضم للحقوق. أقول لهؤلاء الظلمة المعتدين الجائرين: إن الله إذا ملك أحدا شيئاً فاستبد به وأساء سلبه ما ملك، وأعد له سوء المنقلب وللظالم يوم، والمظلوم دعوته مستجابة ولو بعد حين، وعلى الباغي تدور الدوائر والله مع المظلوم حتى يأخذ حقه وليس بغافل عما يعمل الظالمون. ولله در القائل:

لا تهين الفقير علك أن تركع يوماً والله قد رفعه

ويقول الآخر:

إلى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

ويقول الآخر:

أما والله إن الظلم شؤم وما زال المسيء هو الظلوم
ستعلم يا ظلوم إذا التقينا غداً عند المليك من الملوم

ويقول الآخر:

لا تظلمــن إذا مــا كنــت مقتــدراً فــالظلم ترجــع عقبــاه إلى النــدم
تنــام عينــاك والمظلــوم منــتبه يــدعو عليــك وعــين الله لم تــنم

وأقول: اتق الله خف الله في هذا الضعيف المسكين هذا لا يحل لك، ولا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس، وإن كان شيئاً يسيراً أعطه حقه كاملاً مستوفى، بل أعطه أجره قبل أن يجف عرقه، قبل أن يكون هذا المال عليك ناراً وجمراً وغضباً ولعنة لأنك ظلمته ولماله بخسته وغصبته.

اتق الله فيمن جعلهم الله عندك خدماً وعمالاً أرفق بهم لا تكلفهم ما لا يطيقون وإذا كلفتهم فأعنهم لا تبخسهم حقهم تجاوز عن سقطاتهم اغفر هفواتهم، وفي الحديث: **(إخوانكم خولكم جعلهم الله قُنية تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه وليلبسه من لباسه ولا يكلفه ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعنه)**[١].

وكما تقول عائشة رضي الله عنها: (ما ضرب رسول الله ﷺ بيده امرأة ولا خادماً ولا شيئاً قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله ﷻ)[٢].

حذار حذار من ظلمهم أو انتهاك حرمتهم أو ضربهم فقد رهب الإسلام من هذه القسوة وتوعد عليها فعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: (كنت أضرب غلاماً لي بالسوط فسمعت صوتاً من خلفي يقول: **(اعلم أبا مسعود)** فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: **(اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام)**، فقلت: يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى، فقال: **(أما لو لم تفعل للفحتك النار)**[٣].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم (١٥/ ٨٤، ٨٥) نووي.

(٣) مسلم (١٦٥٩) الترمذي (١٩٤٨) أبو داود (٥١٥٩) أحمد (٤/ ١٢٠) (٥/ ٢٧٤، ٢٧٤).

ويقول ﷺ: (من ضرب بسوط ظلماً اقتص منه يوم القيامة)[١].

وقوله ﷺ: (من ضرب مملوكاً ظلماً أقيد منه يوم القيامة)[٢].

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كم أعفو عن الخادم ؟ فصمت عنه النبي ﷺ، ثم قال: يا رسول الله كم أعفو عن الخادم؟ قال ﷺ: (كل يوم سبعين مرة)[٣].

فحرام إهانة المسلم وخذله وإن كان خادما وجعله كالبهيمة أو كالآلة.

وأقول: لا يجوز اتخاذ الخدم أو السائق إلا للضرورة الملحة والحاجة الماسة ومن ابتلى بشيء منهم فعليه:

١ - باختيار النوعية الصالحة منهم التي حسن إسلامها.

٢ - عليه مراقبة إسلامهم وهذا هو الأهم ويكون ذلك بمراقبتهم في أداء الفرائض كالصلاة وفي السلوك الإسلامي والاحتشام وعدم الاختلاط وتعليمهم الدين الحنيف.

٣ - استعمالهم كخادمات وخدم فقط لهم حدود معينة في الخدمة.

٤ - أن يرفق بهم ويحسن إليهم وينقذهم من النار وأسبابها ولا يترك لهم منفذا للمعاصي والمنكرات، وأن يكون لهم ناصحاً أميناً لا يخون الخادم أو الخادمة بتدنيس أعراضها ولو لمساً أو نظرة محرمة، فهذا خيانة بالخدم والخادمات وبأي وجه يلقى الله من يلمس الخادمة أو ينظر إلى زينتها أو المرأة بجانب السائق أو يخلو بالخادمة يوم القيامة تقف بين يديك وتطالب بحقها يوم القيامة، هل لك قدرة على نفحة ولفحة النار، أين وصية رسول الله ﷺ: (الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم) ومن ابتلى بسائق أو خادم كافر فليتق الله وليحرص على إسلامه بترغيبه ومعاملته بالحسنى حتى يملك قلبه، فإذا ملك قلبه سمع كلامه واستجاب لندائه ولعله يرجع إلى بلاده داعية إلى الله ﷻ.

---

(١) صحيح الجامع (٦٣٧٤).

(٢) صحيح الجامع (٦٣٧٦).

(٣) صحيح الترمذي (٣/ ١٥٩٠.) السلسلة الصحيحة ٤٨٨).

واحرص يا عبد الله على إدخال السرور على إخوانك المسلمين:

أخي: إن قضاء حاجات عباد الله أحب إلى الله من اعتكاف المسلم في بيت من بيوت الله، مع ما في الاعتكاف من إحياء الليل وقراءة القرآن والبعد عن الفتن، ولكن مع ذلك فقضاء حاجات ذوي الحاجات أحب إلى الله من ذلك. ولذا لما جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله ؟ فقال رسول الله ﷺ: **(أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دَيناً، أو تطرد عنه جوعا، ولئن أمشي مع أخ لي في حاجة أحبّ إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً - في مسجد المدينة - ومن كفّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يثبتها له ثبّت الله قدمه يوم تزول الأقدام)**[1].. - وتقدم-. والمتأمل في هذا الحديث العظيم يرى أن هذه الأعمال مما يتعدى نفعها إلى الآخرين، فأحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأما أحب الأعمال إلى الله فسرور تدخله على قلب مسلم، أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دَيناً أو تطرد عنه جوعا، وقيامك مع أخيك في حاجته أفضل من الاعتكاف في مسجده عليه الصلاة والسلام شهراً. وهذا إذا قمت معه ووقفت إلى جانبه سواء قُضيت أو لم تُقض أما إذا قُضيت فمن مشى مع أخيه في حاجة حتى يثبتها له ثبّت الله قدمه يوم تزول الأقدام، والسعي على المحاويج من الضعفاء والمساكين كالمجاهد في سبيل الله. قال عليه الصلاة والسلام: **(الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار)**[2]. ومعنى الساعي الذي يذهب ويجيء في تحصيل ما ينفع الأرملة

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، والحديث في صحيح الجامع.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

والمسكين، قاله ابن حجر: «وما ذلك إلا لتعدي نفعه إلى غيره، خاصة من أصحاب الحاجات من الأرامل والمساكين»، وقال ﷺ: (من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه..) هل رأيتم أفضل من هذا؟ وإنما بلغت هذه الأعمال هذه الرتبة لتعدي نفعها. قال رسول الله ﷺ: (إن لله تعالى أقوامًا يختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم)[1].. وهكذا يحرص الإسلام على روح التآخي والتكاتف، وعلى نبذ الأنانية وحب الذات. فالموفّق من وُفِّق للمبادرة لمثل هذه الأعمال.

واحذر احذر الغيبة:

وهي ذكرك أخاك بما يكره ولو كان فيه، قال رسول الله ﷺ: (هل تدرون ما الغيبة؟) قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: (ذِكْرُك أخاك بما يكرهه)، قيل: أرأيت إنْ كان في أخِي ما أقوله؟ قال: (إنْ كان فيه ما تقول فقد اغْتَبْته، وإن لم يَكن فيه فقد بَهَتّه)[2]، سواء في ذلك أن يكون ما يكرهه الإنسان في بدنه أو نَسَبِه أو خُلُقه أو قَوْلِه أو فِعْله أو في غير ذلك، وقال الحسن، ذِكْر الغير على ثلاثة أنواع: الغيبة والبهتان والإفك. فالغِيبَة أن تقول ما فيه، والبُهْتَان أن تقول ما ليس فيه، والإفك أنْ تَقُولَ ما بَلَغَكَ -.

ما تتحقَّق به الغِيبَة قد تكون باللِّسان، وقدْ تكون بالإشارة، وقد تكون بالمُحاكاة والتقليد، بل قد تكون بالقلب وانعقاده على العَيْب وهو سوء الظن قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: دخَلَت علينا امرأة، فلمَّا ولَّت أومأْتُ بيدي أنَّها قصيرة، فقال ـ عليه الصلاة

---

(١) صحيح الجامع (٢١٦٤).

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

والسلام ـ: (اغْتَبْتِيهَا)[١] ، كما قالت عائشة ﵂: حاكَيْت إنسانًا – يعنى قلَّدتُه، فقال لي النبي ﷺ: (ما يَسُرُّنِي أنِّي حاكَيْت إنسانًا ولي كذا وكذا)[٢] ، يعنى: لو أُعطيت شيئًا كثيرًا من المال في مُقابل أنَّني أقلِّد أحدًا بما يَكرهُه، لا أفعل ذلك – ولو سَمِعَ إنسان شخصًا يغتاب أحدًا فَرَضِيَ بكلامه واستلذَّه ولم يُنكِرْه كان شريكًا في الغِيبَة؛ لأنَّه رَضِيَ بِذِكْر أخيه بالغيب.

- عدم المشاركة فيها: من سمع شخصًا يَغتاب غيره لا ينبغي أن يُوافقه ويسكت ويَرضى، فالله يقول في شأن الصالحين: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]، ويقول: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨]، ويَجب الذَّبُّ عن عِرْض أخيه، فقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وحسَّنه: (مَن ردَّ عن عرض أخيه ردَّ الله عنه النار يوم القيامة) ويحرم الخجل من الإنكار على أهل الغيبة والنميمة...

القائل والمستمع للغيبة سواء، قال عتبة بن أبي سفيان لابنه عمرو: «يا بني نزِّه نفسك عن الخنا، كما تنزه لسانك عن البذا، فإن المستمع شريك القائل». ...

كفارة الغيبة:

الغيبة من الكبائر، وليس لها كفارة إلا التوبة النصوح، وهي من حقوق الآدميين، فلا تصح التوبة منها إلا بأربعة شروط، هي:. الإقلاع عنها في الحال.. الندم على ما مضى منك.. والعزم على أن لا تعود.. واستسماح من اغتبته إجمالاً أو تفصيلاً، وإن لم تستطع، أو كان قد مات أو غاب تكثر له من الدعاء والاستغفار.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا وابن مِرْدَوَيْهِ.

(٢) رواه الترمذي وصحَّحه.

الحذر الحذر من الربا:

لا تحقــرن مــن الــذنوب صــغيرا إن الــصغير غــدا يعــود كبــيرا

إن الــصغير وإن تقــادم عهــده عنــد الإلــه مــسطر تــسطيرا

أخي: هذا شأن الذنب الصغير فكيف بالذنب الكبير؟ بل كيف إذا كان من الكبائر؟ بل كيف إذا كانت هي الكبيرة الوحيدة الفريدة فقط التي أعلن الله ورسوله ﷺ بمحاربة مرتكبها؟ نصاً صريحاً: ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩] إنها من شؤمها وخبثها وعارها وشنارها: أن الشاهد عليها فقط لم يفعلها وإنما شهد ملعون، من رحمة الله مبعد مطرود، وأي رحمة تكتنفه بعد أن أقصاه الله وأبعده من رحمته، أي خير يرجى فيه أو له أو منه، أما من فعلها وارتكبها فهو الخاسر الخسران المبين، وقد صار أشد وأقبح وأخبث ممن زنا ستا وثلاثين زنية في الإسلام، بل أقبح وأعظم وأوقح وأشنع ممن أتى سبعين حوبا وإثما وبابا، أهونها وأخفها أن ينكح الرجل أمه، فيا هذا هل يطيب خاطرك وترتاح وترضى أن يفعل أحد في أمك؟! لا لا لا وألف لا فكيف إذا أنت ركبت أمك وأتيتها وزنيت بأمك؛ يا الله يا الله يا الله وأشنعه من منظر يقطع الإنسان جسمه إربا إربا يموت يخسر نفسه وماله وأولاده وكل شي ولكن لا يخطر بباله أن يزني بأمه، أقول ولكن والكبد تتقطع والقلب يحترق والفؤاد يدمى ويعتصر كمدا وحزنا، نعم رضي بذلك من لا خلاق له، من سفه نفسه ورضي بالعار الملازم له في الدنيا والآخرة، يوم ينصب لكل غادر لواء هذه غدره فلان بن فلان، ويا للخزي والفضيحة أدريتم أعلمتم من رضي أن يقترف أثم أعظم من ست وثلاثين زنية وأن يرتكب من الجرائم ما هو أهون من أن ينكح أمه إنه صاحب الربا، آكل الربا من هو؟.

واليك بعض صوره:

أولاً: من قلب الدين على أخيه لأن أخاه لم يستطع أن يسدده فقال له: إما أن تقضي أو تربي أو أقلب عليك الدين وأزيده عليك.

ثانيا: من أقرض مثلاً العشرة بأكثر منها ولو بريال فكل قرض جر نفعا فهو ربا.

ثالثاً: من احتال على رب العالمين فجعل سلعة بينه وبين أخيه يشتريها فقط منه بكذا ثم يبيعها عليه بأكثر منها. وفي الحقيقة كقولنا العشرة بإحدى عشر أو نحو ذلك، ولكن تحيل على رب العالمين فأدخل بينهما سلعة فيا هذا الحذر الحذر والخوف الخوف أن يصيبك غبار الربا بأن تعين على الربا أو تعطي المرابي دراهم لكي يشتغل فيها بالربا، أو تشير أو تدل أو تقر ولو لم تأكل الربا الحذر الحذر أن تشهد أو تحضر مجلساً يكتب فيه ربا، وزيادة على ما تقدم من عقوبة لآكل الربا فهو مجرب عليه سوء الخاتمة أجارنا الله وإياكم، ويقوم من قبره مجنونا مخبولا مصروعا مأواه النار وبئس القرار، تذكر هذا كله وأنت في طريقك ومشيك إلى الربا، ولنستمع إلى كلام الله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾، ثم قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٥، و٢٧٨-٢٨٠].

إخواني: كلنا يريد الخير والبركة ويسعى ويجتهد في البحث عن ذلك، ولا يملك ذلك إلا الله تبارك وتعالى ولا ينالها إلا أصحاب طاعته سبحانه وتعالى، والله يقول: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة: ٢٧٦] أي يذهب الله البركة في أي شيء يدخله ربا، فوا لله وبالله وتالله ما خالط هذا الربا أو أي مال حرام تجارة أو زراعة أو اقتصاد أو مشروع أو زواج أو بنيان أو مؤسسة أو سيارة إلا لم يبارك له فيه، وحل فيه الشؤم والشقاء والخسران في الدنيا، وفي

الآخرة العذاب الشديد، إخواني كم زواج ومشروع وأولاد ووظيفة دخلها ربا ففشلت وخسرت وصارت شؤما على صاحبها، فهل نحن منتهون وهل نحن بكلام ربنا مصدقون: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ فيا هذا حصن نفسك وولدك ومالك ووقتك وأفعالك ومشاريعك وكل ما تقوم به بالحلال الطيب المبارك، واحذر الحرام والخبيث تعش ببركة الدارين، وإذا اضطررت لأكل أو شرب ونحو ذلك فابحث عمن يقرضك بلا فائدة، وإلا اشتر سلعة مؤجلة ثم بعها نقداً واستفد من ثمنها.

الحذر الحذر من الغناء[1]:

لقد تغيرت الحقائق في أذهان كثير من الناس منذ زمان بعيد وهذا ليس بغريب، فلقد أخبرنا بذلك النبي ﷺ : (**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً**)[2].

ومن ألقى نظرة حوله وجد أنه قد حصل من ذلك العجب العجاب في كثير من الأُمور، فاستوى عندهم الحق والباطل والسنة والبدعة.

فنحن في عصر كثرت فيه الأهواء، وانتشرت فيه الضلالات، فكل يروج لأفكاره ويدعو لباطله، ويُلبس ذلك لبوس الحق، ويزوقه في زخرف القول ؛ لتصغى إليه قلوب الأغمار ؛ وتصيخ السمع له آذان الأغرار، فيضل ويُضل ويصد عن الحق، و يصدف عن الهدى.

ومن هنا كان لزاماً على طلاب العلم أن يرفعوا عقيرتهم بالحق، وأن ينشروه بين الخلق وأن يدافعوا عنه ويذودوا عن حياضه ؛ ليهدي الله من سبقت له الحسنى و﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

---

(١) انظر: رسالة لكاتب هذه الأسطر بعنوان: «رقية الزنى وظواهر أخرى».

(٢) أبو داود ٤٦٠٧ الترمذي (٢٦٧٨).

يقول المولى عز وجل: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء ٢٦ – ٢٧].

من ذلك ما يفعله أرباب السوء من منافقين و علمانيين[1]، وأهل شهوات و ممن تأثر بالحضارة الغربية الزائفة، من أجل رفع الباطل ونشره وإخفاض الحق وطمسه، والتلبيس في دين الله من تزيين للمعاصي بتسميتها بأسماء محببة؛ لأنهم لو تركوا المعصية على حالها ثم دعوا الناس إليها لنفرت منها الطباع السليمة، وتبغيض للحق بتسميته بأسماء منفرة وإليك جملة من الأمثلة:

يسمون التبرج الفاضح والتعري والسفور بحرية المرأة، ويسمون خروج المرأة من عفافها وفضيلتها وحجابها تحريراً للمرأة، ويسمون الزنا تعاطي للحب، ويسمون الاختلاط المستهتر بالتقدم والتمدن، ويسمون المغنية الفاجرة الفاسقة فنانة، ويسمون الممثلة الخليعة بطلة، ويجمعون كل هذا الفسق والفجور والدياثة تحت اسم الفن، سبحان الله لأنهم يعلمون أنهم لو قالوا: موعدكم غداً الاستماع إلى المغني الفاجر الفاسق فلان الفلاني لم يجبه أحد، لا والله بالفطرة تشمئز منها النفس، ولكنهم يقلبون هذا الاسم فيقولون: معادنا غداً مع المغني القدير، صاحب الصوت الجميل، والممثل الممتاز، وهكذا لكي يغووا الناس ويجروهم إلى باطلهم، فتلك حيلهم منذ خلق آدم إلى يومنا هذا. كما سموا الربا المحرم الملعون صاحبه لمحاربته لله: بالفوائد أو استثمار أو تنمية للأموال، فيمسحون اسم الربا، وسموا الحجاب

---

(١) والمدلول الصحيح للعلمانية أنها إقامة الحياة على غير الدين، وهي نظام طاغوتي جاهلي كافر ومن شعاراتها: «تطوير الشريعة»، «مرونة الشريعة لتلبية احتياجات العصر»، «تقنين الشريعة»، «التدرج في تطبيق الشريعة».

المتبرج حجاباً شرعياً يعني كشف الوجه والكفين والقدمين، وسموا الكذب المحرم: كذباً أسود محرماً وكذباً أبيض أو أصفر أو أخضر مباحاً كما يقولون، وسموا الغيبة المحرمة بنص الكتاب والسنة: نقداً، وسموا الصدق في الموعد الذي أمر الإسلام به: موعداً انجليزياً أو افرنتش، وينبزون المسلمين ويمدحون الكافرين فيقولون: الكفار عندهم الأمانة والصدق، وسبحان الله أي أمانه وأي صدق؟ بل وأي ذمة من كافر فاجر خائن ملعون؟ وقالوا: بأن الموسيقى المحرمة – خاصة الهادئة – إنها علاج للأمراض النفسية، فبها تسكن النفس وينشرح الصدر، وسموا الخمر: مشروباً روحياً، ومنهم من قال: إنها علاج يتداوى به سبحان الله سبحان الله؛ ومن الذي أباح الخمر للعلاج. وأباحوا الاتصال بالخليلات، واتخاذ العشيقات منعاً للكبت النفسي عند الشباب، وسموا العشق والغرام والحب المحرم الشهواني الذي هو وسيلة للزنا وذهاب للشرف وانتهاك للعرض: حباً شريفاً عذرياً وعلاقات شريفة لا مانع منها. وسموا السفر إلى بلاد الفجور والدعارة والعهر: ترفيه ونقاهة واستجمام وترويح وتنفيس وتغيير جو فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهكذا عندما تقلب الموازين عند بعض الناس، حتى أنهم سموا الأمر بالمعروف: فضولاً، والنهي عن المنكر: تطفلاً، والتمسك بدين الله تزمتاً والتمرد على شرع الله تحرراً، وبغض الكفار ومعاداتهم تطرفاً، وموالاتهم ومحبتهم توسطاً واعتدالاً والداعي إلى تحكيم شريعة الله أصولياً، والحاكم بغير شريعة الله حكيماً، والكذب سياسة والنفاق لباقة، والسكوت عن قول الحق حكمة، والصدع بالحق فتنة، والناصح عدواً، والعدو صديقا، والمجرم بطلاً، والمحق مبطلاً، والمصلح مفسداً، والداعي إلى الفساد مصلحاً، والتهور شجاعة، والفوضى حرية، والحجاب تخلفاً وتأخراً، والتبرج تقدماً، والزواج قيداً، والتعدد جريمة، والتعلق بغير الله حباً، والفجور تسلية، والغش ذكاء، والرشوة هدية، والربا ضرورة شرعية، والصلاة عادة، والزكاة غرما،

والصيام كسلاً ونوماً، والحج نزهة، والعلم تكسباً، واتباع الأئمة أهل الدليل تعصباً، والدعوة إلى الله تحزباً، وتتبع الرخص ديناً، والفقه جموداً، والانحلال أدباً، والمجون فناً، والرياضة غاية. وما إلى ذلك من ألفاظ حتى ظن الشباب والشابات أن سوء الأدب الذي يقرؤونه أدباً والخلاعة والفجور والانحلال فناً وأن الإجرام بطولة، وأن الضلال والغواية التي تتمكن من مدمني سماع الأغاني الماجنة طرباً، وأن التعري والتبرج موضة، وأن البعد عن منهج الله تقدمية وأن اتباع منهج الله رجعية. وإذا تكلموا أو نوصحوا قالوا : الزمان غير الزمان الأول! الزمان تغير، نحن في آخر الزمان حتى صدق قول القائل:

نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيب سوانا

ونهجو ذا الزمان بغير ذنب ... ولو نطق الزمان هجانا

ومن هذه الأشياء التي تغيَّرَت فيها الحقائق على كثير من الناس الذي يعنينا في هذه الأسطر المختصرة ما نحن بصدده " الغنا " فقد فشت آلات الملاهي في كثير من بيوت العامة فضلاً عن الخاصة، كيف لا، و نحن نسمع بعضا من الذين ينسبون إلى العلم يتبجح ويقول: إن الغناء حلال وليس فيه شيء!.

لا تتعجب من هذا، فهذا الكلام يقوله من ينسب إلى العلم في هذا الزمان وهو أسقط من أن نرد عليه، لأن القلوب الخبيثة فقط هي التي يعتريها الخشوع عند سماع الغناء.

ثم أن الغناء الذي تفشَّى في هذا الزمان حرام حرام لا ينتطح في ذلك عنزان ولا يتبارى في ذلك عاقلان[1].

ولو تأملنا قليلا لرأينا أن من أباح الغناء إما صوفي، يبيح السماع والدف والرقص والغناء؛ لأن دينه الرقص والطرب، أو ممن لا يعتد بقولهم ممن ينتسبون إلى العلم ممن قلَّ علمهم وتقواهم، وتساهلوا بأوامر الله ، والمسلم لا يغتر بكلام مَنْ هذه حقيقتهم.

---

(١) كشف القناع (٥).

والمصيبة أن بعض المسلمين يجهل حكمه، وكما قال بعض مشايخنا: صادفت شاباً في سيَّارة وهو يستمع إلى أُغنية مسجلة فكلمته عن حرمة الغناء وعدم جواز الاستماع إليه، فأكد لي أنه لا يعرف أن الغناء حرام[١].

بل بعضهم يقول مستنكراً: وهل هو حرام ؟.

ومنها انتشار واستفحال شرر الغناء وخطره وضرره، فقد تواترت الأخبار في هذا الزمان أن امرأة كانت تشاهد التلفاز وفيه أحد المغنين يغني، فطربت بصوته وقامت وقبَّلت الشاشة، وعندما جاء زوجها أخبره أحد أبنائه بالأمر " طفل " فما كان منه إلا أن طلقها[٢].

ويقول أحد مشايخنا: أخبرني أحد الأشخاص الذين كانوا يستمعون إلى الغناء أنه إذا أراد أن يذكر الله أو يستغفر سبقه لسانه للغناء فيتغنى دون أن يشعر، ثم يرجع إلى نفسه فيتذكر، فإذا أراد الذكر سبقه لسانه إلى الغناء، وهذا ديدن وحال من استمع للغناء فكيف من ليله ونهاره وجل وقته في الغناء وألحانه[٣].

ومن العجيب - والعجائب كثيرة - أنا سمعنا أن بعض الفتيات انتحرن حين مات مُغَنٍّ مشهور، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على فتنة الناس بالأغاني وأهلها، حيث استولى حبها على قلوبهم وامتزج بدمائهم فصار الهوى والعياذ بالله معبودهم دون الله، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون[٤].

وهؤلاء المغنون والمغنيات رغم قبح عملهم فهم قد جاهروا به، وساعدوا على انتشاره عن طريق طرحه في الأسواق وبثه بين الناس، وكفى بالمجاهر إثما ومعصية، لأن المجاهر بالمعصية مستخفا بالله كما ورد في الحديث الصحيح: (كل أمتي معافى إلا المجاهرون)[٥].

---

(١) صوت الشيطان (٢).

(٢) صوت الشيطان (٣٣).

(٣) صوت الشيطان (٥٣).

(٤) تنزيه الشريعة (٤٣، ٤٤).

(٥) البخاري (٦٠٦٩) ومسلم (٨/ ١١٩) كلهم من حديث أبي هريرة ﷺ.

وأيضا تساهلهم في استئجار وإحضار المغنِّين والمغنِّيات لإحياء حفلات زفاف أبنائهم، ويتعللون بأقوال زوجاتهم «بأن زوجتي أصرَّت على هذا، وقالت: هل نحن أقل درجة من بيت فلان.... الذي أحضر الفنانة المطربة ؟!، وماذا سيقول عنَّا النَّاس: لم يأتوا بفنانة ؟!... زواجهم ميت... !! » إلى آخر تلك الكلمات... [1].

وبعض من لا خلاق له أباح الموسيقى الإسلامية كما قالوا: الاشتراكية الإسلامية[2].

وهذه أسطر مختصرة - أذكرها إعذاراً و إنذارا تنبيها وتذكيراً[3]- عن المسمى باللهو والزور واللغو والباطل والمكاء والتصدية، ومُنْبِتُ النفاق ومؤذن الشيطان ورقية الزنا والصوت الأحمق، والصوت الفاجر، وصوت الشيطان ومزموره والسمود[4] والمزين للمحرمات، والآمر بالفسق والفجور، والمهيج للنفس إلى فعل الشهوات، والمفقد للإنسان المروءة والعدالة، والملهي للقلب والصادُّ له عن ذكر الله ﷻ، والطامس على القلب، فلا يُقِرُّ معروفاً ولا يُنْكِرُ مُنْكَراً.

أسماؤه دَلَّت عَلَى أَوْصَافِهِ تباً لِذِي الأسماءِ والأَوْصافِ

وبعض الناس في هذا الزمان يسمونه: السمر والطرب والفن...، وما الزنا واللواط وما شابهها إلا نتيجة إلف هذه الأصوات الرقيقة الرنانة المثيرة للوجد والشهوات، التي تدفعهم إلى اقتراف المحرمات ولا يجدون رادعاً[5].

---

(١) صوت الشيطان (٤٩، ٥٤، ٥٥).

(٢) تحريم آلات الطرب (١٥) بتصرف يسير.

(٣) وللاستزادة يرجع إلى الأصل بعنوان: «رقية الزنى وظواهر أخرى».

(٤) الأدلة على هذه التسمية مذكورة مفصلة في إغاثة اللهفان لابن القيم، من (ص٣٦) إلى (ص٣٩). طبعة محمد عفيفي.

(٥) صوت الشيطان (٧/ ٢٧،١٢).

وعلى وجه العموم صار موضوع الأغاني والموسيقى[١] من أعظم الفتن في هذا الزمان، فلا إله إلا الله كم أقسى من قلب، وكم أغوى من شباب، وكم أحدث من فاحشة وكم دعا إلى فجور وكم وكم.... وماذا بعد الحق إلا الضلال.

نعم ولقد عمَّت البلوى في هذا الزمان فانتشرت مفاسد الغناء والموسيقى في كل مكان ودخلت شروره في كل بيت تقريباً، ولم ينج منها أحد إلا من شاء الله ﷻ له النجاة والسلامة، حتى أصبح الرجال والنساء والكبار والصغار ينشغلون به، ويرددونه في كل أوقاتهم وجميع أحوالهم أكثر من ترديدهم وقراءتهم لكتاب مولاهم وخالقهم، وكذلك يتلذذون به عند سماعه أكثر من تلذذهم عند سماع القرآن، وهذه هي المصيبة الكبرى والطامة العظمى.

ففساد الدين والدنيا بسبب المعازف " الموسيقى " والغناء[٢] أمر ظاهر لا يخفى على كل ذي عقل وقلب سليم، فكم من قلب لا يطمئن إلا بالمعاصي، فإذا رأيت ذلك القلب فاعرف أن صاحبه منكوس منحوس، فإن الله ﷻ يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ولو مضيت معك أخي المسلم في سرد مضارها لطال بنا الحديث والمقام لا يحتمل وفيما ذكرناه كفاية إن شاء الله ﷻ .

وقد أضل الناس أنهم اتبعوا أهواءهم واتبعوا أقوال المنسوبين زوراً وبهتاناً إلى العلم، فهؤلاء يفتنون الناس على حسب ما يرضيهم لا ما يرضي الله ﷻ، فإيانا وإياك من علماء

---

(١) ومما زاد البلاء في عصرنا دخول الموسيقى في أشياء كثيرة كالساعات والأجراس وألعاب الأطفال والكمبيوتر وبعض أجهزة الهاتف، فصار تحاشي ذلك أمراً يحتاج إلى عزيمة، والله المستعان. [محرمات استهان بها كثير من الناس، لمحمد المنجد (٧١)].

(٢) وها هم جنود إبليس من يهود ونصارى وأعوانهم حريصون كل الحرص على نشر الموسيقى والغناء بين صفوف المسلمين، لعلمهم أنَّها من أعظم الوسائل التي تخدر الشعوب وتلهيهم عن قضاياهم المصيرية، وتجعلهم أذناً لكل ناعق وذلك أنها من أعظم وسائل إبعاد الناس عن هدى ربهم.

السوء، فو الله ما كان بلاء في الدين ولا الدنيا إلا بهم، ولأجل هذا فإن قولة العالم إذا وافقت الحق فعض عليها بالنواجذ ولا تعرف الحق بالناس ولكن اعرف الناس بالحق، وليست العبرة بمن قال من هؤلاء، ولكن العبرة بما قال بما يوافق الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح[1].

أخي المسلم: والله وبالله وتالله إن الله ﷻ لم يخلق الإنسان ليدندن ويميل يمنة ويسرة ويهز وسطاً ويضرب كفاً، ويعيش على الدندنة والتنتنة والطنطنة، لا والله بل خلق لتوحيد الله وعبادته.

وسأبرهن وأستدل وأحتج للقطع والجزم بحرمة الغناء مكتفياً مقتصراً بآية من كتاب الله من بين آيات كثيرة، وثلاثة أحاديث من أحاديث كثيرة وجمل يسيرة مختصرة من كلام السلف رضي الله عنهم.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [لقمان: ٦].

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: لَمَّا ذكر الله ﷻ حال السعداء وهم الذين يهتدون بكتاب الله ﷻ وينتفعون بسماعه، عطف بذكر الأشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله ﷻ وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب - ثم ذكر أقوال الصحابة والتابعين في معنى اللهو - فأورد قول ابن مسعود رضي الله عنه عندما سئل فقال: ("الغناء" والذي لا إله إلا هو) يُرَدِّدُها ثلاث مرَّات، وقال: (وكذا قال ابن عبَّاس وجابر وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم)[2].

---

(١) فتاوى في الغناء لابن قاضي الجبل، تحقيق حمد الضويان (ص٥-٦) باختصار.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤٢) وانظر تحريم آلات الطرب للألباني (١٤٢-١٥٨).

ويقول رسول الله ﷺ: (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف)[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[2]: والآلات الملهية قد صحَّ فيها ما رواه البخاري في صحيحه تعليقاً مجزوماً به داخلاً في شرطه.

و(المعازف) هي: الدفوف وغيرها مما يضرب به. كما في "النهاية".

وفي " القاموس ": هي الملاهي كالعود والطنبور، الواحد عزف أو معزف كمنبر ومكنسة، و (العازف) اللاعب بها والمغنِّي.

إذاً فالمعزف هي آلة الملاهي التي يضرب بها ويدخل تحته أنواع المعازف.

ولذلك قال ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان: «هي آلات اللهو كلها، لا خلاف بين أهل اللغة في ذلك».

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٥٥٩٠فتح) وابن حبان (٦٧١٩) والطبراني في الكبير (٣٤١٧) والبيهقي في السنن (١٠/ ٢٢١) والذهبي في سير أعلام النبلاء (٢١/ ١٥٨) (٢٣/ ٧) وفي تذكرة الحفاظ (٤/ ١٣٣٧) وابن عساكر في التاريخ (١٩/ ١٥٥) والمزي في تهذيب الكمال (٢/ ق٩٤١) وابن حجر في تغليق التعليق (٥/ ١٨) وغيرهم.

وقد تكلَّم بعض الناس في صحة هذا الحديث، وقد ردَّ عليهم أهل العلم؛ ولمعرفة ذلك تفصيلاً انظر:

١ - الكاشف في تصحيح رواية البخاري لحديث المعازف... لعلي حسن عبد الحميد.

٢ - أحاديث ذم الغناء والمعازف في الميزان للشيخ عبد الله الجديع (٢٣، ٣٥).

٣- تحريم آلات الطرب للألباني (٣٨-٥١).

٤- تنبيه اللاهي على تحريم الملاهي لإسماعيل الأنصاري.

٥- تخريج أحاديث الحلال والحرام للألباني (٤٠٢).

٦ - تهذيب سنن أبي داود للإمام ابن القيم (٥/ ٢٧٠-٢٧٢).

٧- تحريم النرد والشطرنج والملاهي للآجري تحقيق محمد سعيد وعمر إدريس (٢٩٤-٢٩٩).

وغيرهم كثير.

(٢) الاستقامة (١/ ٢٩٤).

وأوضح منه قول الذهبي في السير[١]: «المعازف اسم لكل آلات الملاهي التي يُعزف بها، كالمزمار والطنبور والشبابة والصنوج».

وقال نحوه في كتابه " تذكرة الحفاظ "[٢][٣].

ولا تلتفت إلى أعاجيب هذا الزَّمان، وقول من قال: إن المعازف لا تحرم إلا إذا كانت مجتمعة مع الخمر و الزنى، فإنها مجازفة منه على غير هدى وبيِّنة.

ويقول رسول الله ﷺ: **(إن الله حرَّم عليَّ - أو حرَّمَ - الخمر والميسر والكوبة وكل مسكر حرام)**.

وفي رواية الطبراني من طريق سفيان بن علي بن بذيمة قال سفيان: قلت لعلي بن بذيمة: (ما الكوبة ؟) قال: (الطبل)[٤].

ويُفسِّرُهُ ابن عباس رضي الله عنهما بقوله: (الدُّفُّ حرام، والمعازف حرام، والكوبة حرام، والمزمار حرام)[٥].

ومعلوم أن ابن عباس رضي الله عنهما لا يمكن أن يحكم الحكم من عنده، وإنما لتوفر الأدلة عنده على ذلك فتنبَّه.

---

(١) (٢١/ ١٥٨).

(٢) (٢/ ١٣٣٧).

(٣) تحريم آلات الطرب للألباني (٧٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٦٩٦) والبيهقي (١٠/ ٢٢١) أحمد في المسند (١/ ٢٧٤) وفي الأشربة (١٣٩) وأبو يعلى في مسنده (٢٧٢٩) وعنه ابن حبان في صحيحه (٥٣٤١) والطبراني في الكبير (١٢/ ١٢٥٩٨، ١٢٥٩٩). وانظر نزهة الأسماع تحقيق أم عبد الله العسلي (٤٨، ٤٩) وتحريم آلات الطرب للألباني (٥٥، ٥٦) وأحاديث ذم الغناء والمعازف في الميزان (٤٥، ٤٦).

(٥) البيهقي (١٠/ ٢٢٢) وأحاديث ذم الغناء في الميزان (١٥١).

وقد قال الحاكم رحمه الله[1]: ليعلم طالب العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند.

فهل بعد هذا يأتي إنسان ويقول إن هذه الأمور لا شيء فيها، وهي من المباحات، والرسول ﷺ يقول: (إن الله حرَّم)... فمن نتبع بالله عليكم ؟.

ويقول رسول الله ﷺ: (**ليكونن من أمتي قذف**[2] **ومسخ**[3]**وخسف**)[4] قيل: يا رسول الله ! ومتى ذلك ؟ قال: (**إذا ظهرت المعازف، وكثرت القيان، وشربت الخمور**)[5].

قال ابن القيم في إغاثة اللهفان[6]عقب حديث المعازف ما مختصره: «ووجه الدلالة أن (المعازف) هي: آلات اللهو كلها لا خلاف بين أهل اللغة في ذلك، ولو كانت حلالاً لما ذمَّهم الله ﷻ على استحلالها، ولَمَا قرن استحلالها باستحلال الخمر والحر.. وقد توعَّدَ مُسْتَحِلِّي (المعازف) فيه بأن يخسف الله ﷻ بهم الأرض، ويمسخهم قردة وخنازير، وإن كان الوعيد على جميع هذه الأفعال، فلكل واحد قسط في الذَّم والوعيد»[7].

---

(١) المستدرك (٢/ ٢٥٨) ومعنى مسند: أي مرفوع متصل [كما في معرفة علوم الحديث له (١٧) الإقتراح (١٩٦) والنكت (١/ ١١)].

(٢) القذف: هو الرمي بقوة، أي يرمون بحجارة من السماء [النهاية لابن الأثير (٤/ ٢٩).

(٣) المسخ: هو تحويل الصورة إلى صورة أخرى أقبح منها، ومسخه الله قرداً أي: جعله على هيئة القرد معجم متن اللغة (٥/ ٢٩٣).

(٤) الخسف: هو الذهاب في الأرض، وخسف الله بفلان الأرض: غيَّبَهُ فيها [القاموس المحيط (٤/ ١٣٥)].

(٥) أخرجه الترمذي (٢٢١٣) وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي (ق١/ ٢) والداني في السنن الواردة في الفتن (ق٣٩/ ١و٤٠/ ٢) وابن النجار في ذيل تاريخ بغداد (١٨/ ٢٥٢) وانظر أحاديث ذم الغناء والمعازف في الميزان (٣٥-٤٠) وتحريم آلات الطرب للألباني (٦٣-٦٨) .

(٦) (١/ ٢٦-٢٦١).

(٧) تحريم آلات الطرب (٩٥).

وهذا دليل على أنها من الكبائر.

وما من شك في أن بوادر هذا المسخ واقعة في أيا منا هذه، فتجد الدياثة وانعدام الحياء وانتشار الفساد والفجور بين أهالي هذه المعاصي، عافانا الله ﷻ بمنه ورحمته.

بل هذا كله قد وقع وعمَّ ولم يصبح سراً ولا خفية، بل جهروا به، ونحن في انتظار الوعيد عليه، وقد قال بعض السلف: «أنتم تستبطئون الأمطار وأنا أستبطئ الحجارة»[١].

فإلى الله المشتكى.

اللهم غفرانك ورحمتك، لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منَّا، الذين قاموا بإظهار هذه المعازف[٢].

وإليكم أقوال الأئمة الأربعة الذين تدور الفتيا عليهم في أقاصي الأرض ودانيها، حتى تعلم هذه الطائفة[٣] أنها قد خالفت علماء المسلمين.

(١) الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى:

أبو حنيفة يكره الغناء ويجعله من الذنوب، فمذهب أبي حنيفة من أشد المذاهب، وقولهم فيه - أي الغناء - أغلظ الأقوال[٤] حتى قال أصحابه رحمهم الله: «سماع الأغاني فسق والتلذذ به كفر»[٥].

---

(١) نزهة الأسماع (٤٦).

(٢) عبد الرزاق في المصنف (١١/ ٦/ ١٩٧٤٣) وتحريم آلات الطرب (١٠١).

(٣) أعني المبيحين للغناء من الصوفية التي اتخذته قربة ودينا ؛ والعقلانيين ومن مشى على شاكلتهم.

(٤) الدر المختار (٢/ ٣٥٤) روح المعاني للألوسي (٢١/ ٦٨) شرح كنز الدقائق للزيلعي (٤/ ١٢٠) الفتاوى الهندية (٣/ ٣٦٨) إغاثة اللهفان (١/ ٣٤٨) المنتقى النفيس (٣٠٠).

(٥) حجتهم رحمهم الله في تكفير المتلذذ بالسماع حديث ضعيف لا تقوم به حجة.

(٢) الإمام مالك رحمه الله تعالى:

مالك نهى عن الغناء وعن استماعه، وقال: «إذا اشترى جارية فوجدها مُغَنِّيَة كان له أن يردها بالعيب».

فاعتبر كونها مغنية عيباً تُرَدُّ به السلعة على من باعها.

وسئل رحمه الله عما يرخص فيه أهل المدينة من الغناء ؟ فقال: «إنَّما يفعله الفسَّاق عندنا»[١].

(٣) الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

قال الشافعي في كتاب " أدب القضاء ": «إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته»[٢].

وصرَّح أصحابه العارفون بمذهبه بتحريمه و أنكروا على من نسب إليه حِلَّهُ[٣].

فقال أبو زكريا النووي في روضته[٤]: «القسم الثاني: أن يغني ببعض آلات الغناء بما هو من شعار شاربي الخمر، وهو مطرب كالطنبور والعود والصنج، وسائر المعازف والأوتار، يحرم استعماله واستماعه».

وقال الشيخ أبو إسحاق في " التنبيه ": «ولا تصح - يعني الإجارة - على منفعة محرَّمة كالغناء والزمر وحمل الخمر» ولم يذكر خلافاً.

---

(١) علل أحمد (١/ ٢٣٨) الأمر بالمعروف للخلال (١٦٥) والكافي لابن عبد البر (٢/ ٢٠٥) وشرح مختصر خليل للحطاب (٦/ ١٥٣) والمنتقى النفيس (٣٠٠).

(٢) الأم للشافعي (٦/ ٢١٤) الزواجر للهيتمي (٢/ ٢٧٨) البيهقي في السنن (١٠/ ٢٢٣) نزهة الأسماع لابن رجب الحنبلي (٧١) تلبيس إبليس (٢٣٠).

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٣٤٧) .

(٤) روضة الطالبين (١١/ ٢٢٨).

وقد تواتر عن الشافعي أنه قال: «خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير[1] يصدون به الناس عن سماع القرآن»[2].

وقال الشافعي: «وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته» وأغلظ القول فيه وقال: «هو دياثة فمن فعل ذلك كان ديوثاً»[3].

(٤) الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى:

أما مذهب الإمام أحمد فقد قال عبد الله ابنه: سألت أبي عن الغناء ؟ فقال: «الغناء ينبت النفاق في القلب، لا يُعْجبني» ثم ذكر قول مالك: «إنما يفعله الفساق»[4].

وقال الإمام أحمد: «لا يشهد عرساً فيه طبل ولا مزمار ولا غناء»[5].

وسأله رجل: دُعيت إلى غسل ميت فسمعت صوت طبل ؟ فقال: «إن قدرت على كسره فاكسره، و إلا فاخرج».

وقال صاحب زاد المستقنع في فقه الحنابلة في باب الإجارة: «الثالث: الإباحة في العين، فلا تصح على نفع محرم كالزنا والزمر والغناء وجعل داره كنيسة أو لبيع محرم».

وقال في باب الغصب: «وباقي جنايتها - أي الدابة - هدر كقتل الصائل عليه وكسر مزمار وصليب وآنية ذهب وفضة وآنية خمر غير محترمة».

---

(١) التغبير: في لسان السلف هو الغناء. قال الحافظ أبو موسى المديني: (قيل إنه الغناء، لأنه يحمل الناس على الرقص فيغبرون الأرض بالدق والفحص وحتى التراب) [الكلام على مسألة السماع (١٢٤)].

(٢) جزء اتباع السنن واجتناب البدع للمقدسي (٨٨-٨٩).

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٣٥٢) الأم (٤/ ٢١٤) تلبيس إبليس (٢٣.) الزواجر للهيتمي (٢/ ٢٧٨).

(٤) علل أحمد (١/ ٢٣٨) مسائل عبد الله (٤٤٩) الاستقامة لابن تيمية (١/ ٣٨٥) المنتقى النفيس (٢٩٧).

(٥) نزهة الأسماع (٦٩).

وقد حكى أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى الإجماع على تحريم السماع الذي مع الُّف والشبابة والغناء كما في فتاويه رحمه الله[١].

والقرطبي رحمه الله تعالى بعد أن أورد أثر ابن عمر رضي الله عنهما عندما سدَّ أُذُنَيه[٢] عند سماعه لصوت زمَّارة الراعي[٣] يقول[٤] قال علماؤنا: «إذا كان هذا في حق صوت لا يخرج عن الاعتدال، فكيف بغناء أهل هذا الزمان وزمرهم»[٥].

إلى الله المشتكى.

أقول: فماذا يقال في أهل زماننا وموسيقاهم ؟ فهل من معتبر.

فهذه جملة من أقوال الأئمة الأربعة وغيرهم من العلماء المشهود لهم، ممن يُعْتَدُّ بِقَولهم في كل زمان ومكان، وإننا نؤكد أولاً وأخيراً أننا مع هذه القافلة الكبرى للإسلام، هذه القافلة التي يحدوها السلف الصالح خلفاً بعد سلف ولاحقاً يدعو لسابق.

قال العلامة ابن حجر الهيتمي: «ومن حكى فيها خلافاً فقد غلط، أو غلب عليه هواه حتى أهمه وأعماه ومنعه من هداه، وزل به عن سنة تقواه»[٦].

وقال رداً على من زعم أن المسألة غير مجمع عليها أو أن أحداً من العلماء قال بحلِّها: «هيهات ليس الأمر بالهوينا كما يظن، بل بينه وبين إثبات الحل عن واحد من العلماء

---

(١) (٢/ ٤٩٨) وموارد الأمان (٣٠٣) .

(٢) فسد أُذنيك إذا سمعت الغناء وذلك كما فعل ﷺ واقتدى به الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه أحمد (٤٥٣٥، ٤٩٦٥) وأبو داود (١٣/ ٢٦٦) والخلال (١٧٦) والأجري (١٢٥) والبيهقي (١٠/ ٢٢٢) انظر نزهة الأسماع (٥١-٥٤).

(٤) تفسير القرطبي (١٠/ ٢٩٠).

(٥) تلبيس إبليس (٢٣٢).

(٦) كف الرعاع (٢/ ٣٠٦، ٣٠٧).

مفاوز؛ تقطع دونها الأعناق، إذ لو أقام طول عمره يفحص ويفتش ما ظفر بنقل الحل عن طريق صحيح عن واحد من العلماء»[(١)][(٢)].

وهكذا حكم الغناء، دلَّ عليه الكتاب والسنة والإجماع، إلا من شذ فلا يهولنك كثير من الناس اليوم من استباحتهم له وتساهلهم في سماعه ونسبة من أنكره إلى الجمود والتحجر، وصيرورته مضغة تلوكه الأفواه الدنيئة فليقولوا ما شاءوا، فهذا كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ لم نكن ندعها لقول قائل، ولا إرضاء أحد من الناس كائناً من كان[(٣)].

وقفة تأمل:

أخي المسلم: إن الله ﷻ نهى المؤمنات أن يضربن بأرجلهن الأرض، ليُعْلَم ما يخفين من الزينة التي يلبسنها " الخلخال " ؛ قال الله: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ.. ﴾ [النور: ٣١].

فالله ﷻ نهى عن هذا التصرف وهو ضرب النساء الأرض بالأرجل، لئلا يؤدي إلى ظهور صوت الخلخال، فيكون مدعاة لتهييج الشهوات الكامنة وإيقاظاً للمشاعر النائمة، فإن بعض من الناس تثير شهواتهن رؤية ثوب المرأة أو حليتها أو شم عطرها، فجاء الأمر السماوي الإلهي ناهياً عن ضرب الأرض لئلا يجر إلى فتنة.

فإذا كان صوت الخلخال الصامت منهياً عنه فكيف بالصوت الناطق المتعمَّد فيه الليونة والميوعة وتصاحبه الآلات المحرَّمة المحدثة اليوم بكل ما فيها من وقاحة وسمج

---

(١) كف الرعاع (٢/ ٣٠٦،٣٠٧).

(٢) من أحكام الموسيقى والغناء في الكتاب والسنة وأقوال العلماء لأحمد عبد العزيز الحمدان (٧٩-٨٩) باختصار.

(٣) الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام (٧٥).

وتخنث وميوعة وخروج عن المروءة والحياء والفضيلة واتصاف بكل قبح ورذيلة، والكلمات الماجنة ومن ورائه ذئاب بشرية ؟[1] إن الأمر جد خطير وأشد حرمة[2].

سبحان الله سبحان الله إذا كان صوت خلخال منعت منه المرأة وإذا كان كل الكلام المتقدم في ذم الغناء الذي كان في عهدهم وعصرهم رحمهم الله تعالى وهو الغناء بترنم وتمطيط أو رفع صوت بأبيات شعرية ليس فيها محذور ولا محرم، والذي ليس فيه مدح خمر وزنا وتشبيب بالأجنبيات أو بأصوات آلات ومعازف دون أقل إثارة وتهييجاً من معزف وآلات الفن في هذا الزمان، أين هذه الأغاني في عهدهم من أغاني هذا اليوم وآلاته الذي يحاول بعض الناس إباحته في هذا الوقت، إنه غناء زادت فيه صفات الشر وتوفّرت إمكانيات لم تكن موجودة من قبل حتى أصبح فنا يشمل على أصوات رخيمة من المغنين والمغنيات ومصحوباً بالآلات الموسيقية المطربة الفاتنة وموضوعه العشق والغرام والتحريض على الفاحشة، المثير للنفوس والباعث على الشوق والغرام من وصف الخدود والعينين ورشاقة الشفتين والخاصرة والنهود والقدود والوصال والصدود والغزال والغزالة والحال والقامة والاعتدال وإغراء بكائر وسفاح وينبه الغريزة ويوقظ السعار الجنسي المحموم، تقعد المغنية أو المغني أمام المذياع فيؤدون غناءهما بصوت رخيم يبعث على الوجد والأناة يسمع صوتها من بعد ومن قرب وهو في غاية الانحطاط ومنتهى الرذالة والسفالة، وقد تقوم بألحان ماجنة وآلات فاتنة يوقظ الشهوات النائمة وينبه القلوب الغافلة بها يدفعها للحرام والوقوع في الإجرام والآثام، فهم بذكر الأغاني يلهجون ولنغماتها يطربون وفي سبيلها ينفقون ولأهلها يحبون ويعظمون ومن أجلها يوالون ويعادون.

---

(١) من يستطيع أن يقول أنها من الحق أو إنها ليست من الباطل، لا يقول ذلك إلا جاهل أو مكابر مغالط.

(٢) صوت الشيطان (٣٦-٣٧) .

أخي المسلم عبد الله: تذكر أن غناء هذه الأيام أفسد بمراحل من غناء أيَّامهم، وإلى الله ﷺ المشتكى من أقوام يجوزون فجور هذه الأيّام تحت مسمَّى «الغناء حسنه حسن وقبيحه قبيح»، أين غناؤهم في زمانهم من هذا الكلام المايع الساقط الذي يصدر من مغني العصر فلا تغتر بابن حزم ومقلديه ولا بصوفية دينها الرقص والتصفيق.

فهــذا حــق لــيس بــه خفــاء فــدع عنــك بنيــات الطريــق

الحذر الحذر من استخدام جهاز الكاميرا أو الجوال المزود بخدمة البلوتوث:

الذي يحمل وينشر مناظر ومقاطع فيديو وصوت وصورة للقطات مثيرة جداً مؤلمة مخزية فاضحة مزرية البهائم تتعفف عنها مقاطع لقطات خلاعة تهتك تعر تفسخ فضائح جرائم جرائر خزي عار رذيلة إشاعة للفاحشة هدم للعقيدة والتوحيد والحياء والعفاف والفضيلة والحشمة خيانة غش حب فحش نشر سفالة دياثة خسة دناءة استهزاء سخرية تهكم وإليك بعض هذه الصور: فتاة غطت وجهها ثم صورت نفسها وهي عارية ونشرتها وأخرى قتلت نفسها عندما رأت صورتها وهي عارية بالبلوتوث ثم نشرتها بالإنترنت، ومقطع فيديو بفتيات مع شباب في أوضاع سيئة وفاضحة يمارسون الرذيلة وهم عراة، وفتيات مسلمات بشكل فاضح يغطين الوجه لكن يكشفن عن عوراتهن، وتلك تصور النساء في غرفة تبديل الملابس لبعض المشاغل، النتائج هذه انتحرت، وتلك عاشت بلا سمعة، وتلك ذهب شرفها وعرضها ونكست رأس قبيلتها، وأخرى هددها عشيقها إن لم تمكنه من نفسها سينشر صورتها، سبحان الله سبحان الله سبحان الله يا لقاصمة الظهر وضياع العمر وشقاء الدهر، يا الله يا الله يا الله مآسي وبلايا ورزايا و طوام ودواهي عظام.

أين الخوف من الله الجبار العزيز القوي، السميع البصير العليم الشهيد الذي يرانا أينما كنا، ألا يخشى هؤلاء أن يقبض الله أرواحهم وهم على هذه الأوضاع المؤلمة، ومن مات فقد قامت قيامته والعبد يبعث على ما مات عليه.

لمثـل هـذا يـذوب القلـب مـن كمـد إن كـان في القلـب إسـلام وإيـمان

والمولى عز وجل يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦] فلتعمل ولتحسب ليوم الحساب ألف ألف حساب، عل أن تنجو يوم الحساب، تصور أخي يا من تستخدم جوال البلوتوث أن كل مقطع فيديو أو صورة تنتقل من جوالك إلى جوال غيرك وفيها من المناظر المؤذية أن كل من يراها أو يسمعها تتحمل أنت السيئات؛ لأنك سبب في أشاعتها ونشرها في الذين آمنوا... أخي الأمر خطير جد خطير فكر وتفكر في هذه السيئات التي تتحملها بسبب إشاعة الفاحشة، نعم وأنت في مكان عام مشغول تأتيك رسالة البلوتوث لا تستطيع أن تراها فتحفظها في جوالك، لتراها فيما بعد وأنت لا تدري ما فيها من صور فاضحة، والبلوتوث يعمل فتنتقل هذه الرسالة بما فيها من جوالك إلى جوالات غيرك، وبهذه الطريقة تنتشر الفاحشة في الذي آمنوا، نعوذ بالله من الخذلان ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]. وأذكر كل من سولت له نفسه بتصوير محارم المسلمين على حين غفلة منهم متناسياً نظر الله إليه فأذكره بالوقوف بين يدي الله عز وجل.فهل يتذكر هؤلاء ذلك الموقف العظيم يوم يجدون تلك الأفعال في صحائفهم.

ومن أصر على ذلك فنقول له: من لم يتأدب يؤدبه الله ومن لم ينته فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام والله يمهل و لا يهمل.

فالتوبة والأوبة والعودة الصادقة إلى الله والحياء من الله فإن المجاهرة بالذنب أشد إثماً وإعانة على نشر الفساد وتعد على حرمات الآخرين.

يا قوم إن الأمر جد قد مضى زمن المزاح

وأذكركم إن هذه الدنيا أيام تمضي ونمضي معها وإنها مزرعة للآخرة و كل مجازى بما عمل.

قبل أن يوقفك من ختنه أو شوهت سمعته أو أثرت عليه بباطلك أو صار عبدا أسيرا للشهوة بمجرد نظرة منه إلى مقطعك: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

خل جنبيك لرام ... وامض عنه بسلام

إنما العاقل من خاف ... يوم العرض والقيام

شبت يا هذا وما تترك ... أخلاق الغلام

والمنايا آكلات ... شاربات للأنام

إن الأمر خطيرٌ جدُ خطير يجب ألا نهونه في أعين الناس ويجب أن نذكرهم دائماً بما تحمله هذه الأجهزة من ملذات وتحريك للشهوات وتضييع للأوقات ومفارقة للإخوان ولكن النهاية ماذا ستكون ؟

فما هي إلا ساعة ثم تنقضي ... ويذهب هذا كله ويزول

الحذر الحذر من التفريط في الحجاب:

فجمال المرأة وكمالها وفضلها وكرامتها وعزتها وسعادتها بل حياتها ووجودها والله وبالله وتالله إنما هو بإيمانها وحيائها وعفتها وحجابها، وإذا فقدت ذلك فعليها السلام، كبر عليها أربعا لوفاتها، من أجل ذلك اهتم الإسلام بالمرأة، وأوجب عليها الحجاب حفاظا وكرامة وصيانة، فالحجاب الشرعي عبادة فريضة شرعية واجبة كوجوب الصلاة والصوم، ليس عادة أو عرف، أو تقاليد لبلد دون أخرى، ولقوم دون غيرهم، إذا كانت في هذه البلاد لبسته وإذا خرجت منه نزعته وخلعته، بل بلغ ببعضهن وهي على سلم الطائرة تخلعه، وأذكرها بقول النبي ﷺ: **(اتق الله حيث ما كنت)**. وأقول: العادات والتقاليد والعرف إذا خالفت الشريعة فليس لها إلا أن توطأ بالأقدام، ويرمى بها عرض الحائط، ولا يلتفت إليها، ولا عبرة بها ولا كرامة، فليتنبه لهذه المسألة فإنها خطيرة جدا، خطيرة وأي قول يخالف

الكتاب والسنة فحكمه كذلك لا عبرة به مطلقا، والمسلمة تلتزم بجميع شرع الله من صلاة وزكاة وصوم وحجاب وأخلاق، أما أن تأخذ البعض وترفض البعض فالله حكم على من فعل هذا بقوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، والحجاب الشرعي تحجب المرأة بكليتها، فلا عين تطرف ولا قدم تظهر ولا كف يكشف، الحجاب منع النساء من الاختلاط بالرجال ومنع الرجال الاختلاط على أي حال، في المسجد في البيت الحجاب الشرعي يقتضي عدم التبرج عدم السفور عدم إبداء الزينة عدم التعطر من بيتها، عدم الخلوة بأجنبي ولو طبيبا، أو شيخاً تقياً ورعاً يحفظها القرآن، وعدم سفرها بدون محرم حتى في حجها لبيت الله، وإذا لم تجد فتنيب من يحج عنها إلى هذه المنزلة بلغ من محافظة الإسلام على المرأة وكرامتها، وعفتها وحيائها ومنعها من كل ما يسبب افتتان الرجال بها، فجعل القوامة للرجل عليها لئلا يتبذلن ويختلطن بالرجال، وجعل البيت هو جنتها ولم يلزمها بالنفقة أو الكسوة أو المهر أو السكن بل جعل الرجل هو القائم بذلك كله، والمرأة جعلها مربية أولادها، جنتها بيتها، ومن شروط الحجاب الشرعي:

١ - استيعابه جميع بدنها حتى وجهها وكفيها وقدميها.

٢ - ألا يكون ضيقا بحيث يحجم ويفصل الجسم.

٣ - ألا يكون رقيقا فيصف أو يشف ما تحته.

٤ - ألا يشبه لباس الكافرات.

٥ - ألا يشبه لباس الرجال.

٦ - ألا يكون زينة في نفسه.

٧ - ألا يكون مطيبا ولا مبخرا.

فهذه شروط ثابتة في الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة.

وإليك آيات الله التي أنزلت على أفضل الأمة وأتقاها وأخيرها وأنقاها يقول تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، ويقول تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. والخمار والجلباب: هو ما تضعه المرأة على رأسها ووجهها وصدرها، والمراد به الغشوة أو الغطوة، والمقصود به وجوب تغطية الوجه، وهذه أمنا عائشة رضي الله عنها تروي موقف المؤمنات في زمانها يوم نزلت آية الحجاب فعن صفية بنت شيبة قالت: بينما نحن عند عائشة فذكرن نساء قريش وفضلهن فقالت عائشة: (إن لنساء قريش لفضلا وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، ولا أشد تصديقاً لكتاب الله ولا إيمانا بالتنزيل، ولما نزلت سورة النور ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله منها، يتلو الرجل على امرأته وبنته وأخته وعلى ذي قرابته، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرجل، فغطت رأسها به تصديقا وإيمانا بما أنزل الله من كتاب)، حتى المحرمة وهي تصلي أو تطوف يجب عليها أن تغطي وجهها، لقول عائشة رضي الله عنها: (كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع رسول الله ﷺ، فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها، فإذا جاوزونا كشفناه) وإذا كانت المرأة ممنوعة من الضرب بالأرجل خوف من الافتتان وممنوعة من ترقيق الصوت وتليينه ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

فكيف برؤية الوجه، أقول من المعلوم عند كل عاقل أن الوجه هو مجمع المحاسن، وإذا كانت المرأة حسناء فوجهها أبهى وأحسن عند الناظرين من كل زينة تكون عليها، والناظر إنما ينظر إلى الوجه والفتنة غالب تكون بالنظر إليه، لا إلى الحلية والثياب، وإذا كانت المرأة مأمورة بستر زينتها فالوجه أعظم زينة؛ لأنه مجمع المحاسن وسبب الافتتان، وفي الحديث عن النبي ﷺ: (المرأة عورة)، وفي حديث أسماء رضي الله عنها: (كنا نغطي

وجوهنا من الرجال وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام)، وحديث عائشة: (فخمرت وجهي بجلبابي)، واختلاط المرأة بالرجال حرام حرام، ويكفي في حرمته قول المولى عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾.

الحذر الحذر من حلق اللحية ، ومن الإسبال:

أقول: وقد اتفق الأئمة الأربعة على حُرمة حَلقها ووجوبِ إعفائِها وتوفيرها. وأما حديث: (أن النبي ﷺ كان يأخذ من لحيته من عرضها وطولها). فموضوعٌ[1].

فهذا الحديث الموضوع، اليوم يعمل به عدد كبير من المسلمين للأسف إما جهلاً أو تقليداً لمن عمل به جهلاً، ويتركون العمل بالأحاديث الصحيحة المعاكسة لهذا الحديث في المعنى:

منها على سبيل المثال لا الحصر قوله ﷺ: (أعفوا اللحى وجزوا الشوارب)[2].

ومنها: (أنه ﷺ كان كثير شعر اللحية) [3]، وأحاديث كثيرة تدل على المعنى نفسه[4].

وسئل سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ما حكم حلق اللحية وحكم حلق العارضين وترك اللحية و الشارب ؟

---

(١) انظر: أسنى (١٠٤٠) الجامع (٦٩٣٣) فيض (٥/ ٦٩٣٣) ضعيف (٤٥١٧) الضعيفة (١/ ٢٨٨) الترمذي (٥/ ٢٧٦٢) المتناهية (٢/ ١١٤٢) الكامل (٥/ ١٦٨٩) الكشف الإلهي (٦٩٦) شرف المسلم (٣١) المشتهر (١١٧) البيان لأخطاء بعض الكتاب (٣١١-٣١٢) تحفة الأحوذي (٨/ ٢٩١٢) المجموع (١/ ٢٩٠) الفتح (١٠/ ٥٨٩٢) ميزان (٥/ ٦٢٤٣) الاوطار (١/ ١٣٦) بمجموع فتاوي ومقالات متنوعة (٣/ ٣٧٣) أدلة تحريم حلق اللحى أحمد اسماعيل (٨١و٨٢) الضعفاء (٣/ ١١٩٢) الأحاديث الضعيفة والموضوعة وخطرها (١٩) شرح العمدة (١/ ٢٣٦) بيان الوهم (٣/ ١١٦٦).

(٢) صحيح الجامع (١٠٦٧).

(٣) صحيح الجامع (٤٨٢٥)

(٤) الأحاديث الضعيفة والموضوعة وخطرها على الأمة (٢٠)

فأجاب: «حلق اللحية لا يجوز لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: (قصوا الشوارب وأعفوا اللحى، خالفوا المشركين)[1]. وقوله ﷺ: (جزوا الشوارب وأرخوا اللحى، خالفوا المجوس)[2]. واللحية هي: ما نبا على الخدين والذقن كما أوضح ذلك صاحب القاموس، فالواجب ترك الشعر النابت على الخدين والذقن وعدم حلقه أو قصه، أصلح الله حال المسلمين جميعاً.

كما سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، فكانت إجابته مثل إجابة سماحة الشيخ، وزاد: «وأخذ شيء منها داخل في المعصية أيضاً، لأن الرسول ﷺ قال: (أعفوا اللحى..) و(أرخوا اللحى..) (وأوفوا اللحى..) و هذا يدل على أنه لا يجوز أخذ شيء منها، لكن المعاصي تتفاوت، فالحلق أعظم من أخذ شيء منها؛ لأنه أعظم و أبين مخالفة من أخذ شيء منها»[3].

واعرف كرامة الرجال باللحى ... سودا وبيضا مثل الصباح اتضحا
وأمر الرسول أن توفرا ... فحلقها يعد قبحا منكرا

أما الإسبال فيكفي النص الصريح الصحيح الواضح البين الذي يدل على أنه من الكبائر وهو قوله ﷺ: (ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار)[4]. أما يكفي هذا الحديث زاجرا رادعا تهديدا ووعيدا وهذا إذا لم يك خيلاء فإن كان خيلاء فأدهى وأمر وأنكر وأشر قال ﷺ: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل إزاره والمنان والمُنَفِّقُ سلعته بالحلف الكذب)[5]. فهل من مرتدع. هل

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) فتاوى إسلامية ٤/ ٤١٨ و٤٢٢.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه مسلم.

تريد أن تكون ممن لا يكلمهم الله يوم القيامة !! فما هو حالك في يوم البعث إذا كان ثوبك طويلا ؟!

انتبه أخي الغالي ولا تجعل ٤ سم من ثوبك تدخلك إلى النار؟

وتعال معي لـ نتجول سوياً أنا وأنت مرة أخرى في رحاب الكلمات النافعة لنا جميعاً في الدنيا والآخرة.

قال النبي ﷺ: (**ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار**)(١).

المراد بالكعبين هنا يا أخي الغالي هما العظمان الناتئان في أسفل الساق عند مفصل القدم وهما الكعبان المذكوران في قوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

وحديث: (**ما أسفل الكعبين في النار**) يدل على تحريم الإسبال في الثياب من القميص والإزار والسراويل والبشت وجميع الملابس فلا يجوز إرخائها وتطويلها إلى ما تحت الكعبين ووعيد ذلك بالنار يدل على أنه من كبائر الذنوب.

وقد ثبت عن النبي ﷺ: (**ثلاثة لا يكلمهم الله. ولا ينظر إليهم. ولا يزكيهم ولهم عذابٌ أليم**). وذكر منهم المسبل.

إن أكثر وأغلب أسباب الإسبال تكون من الخيلاء والكبر والإعجاب بالنفس والتعاظم على الله وعلى خلقه فقد قال ﷺ: (**إرفع إزارك إلى نصف الساقين. فإنْ أَبَيت فإلى الكعبين. وإيّاك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة. وإن الله لا يحب المخيلة**)(٢).

ومعنى الخيلاء في الإسبال: جرّ الثوب على وجه الأرض تعالياً وإعجاباً وتكبراً وفخراً.. إنها حقيقة مرة. وواقعة مؤلمة. تساهل بها أغلب من أسبل وأطال ثوبه.

---

(١) رواه البخاري.

(٢)حديث صحيح، رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

قد يقول متعذراً.. من لا نصيب له من العلم لاحظ له من الفهم: أنه يسبل ثوبه خوفاً وخشية من الناس. والله تعالى يقول: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣].

من الناس حياءً وخجلاً منهم. والنبي ﷺ يقول: (**فالله أحق أن يستحيا منه**).

ومن الناس من يطيل ثوبه عادةً وتقليداً. فقد كذب وما صدق.

العادة والعرف إذا خالفت الشرع المطهر. لا حاجة إليها. ولا داعي لها. لأن الشرع والدين أقوم من العادة.

نعم إن أبا بكر رضي الله عنه وأرضاه عندما سمع النبي ﷺ يقول: (**من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامه**) فقال أبو بكر: إن أحد شقّ إزاري يسترضي إلا أني أتعاهده. فقال النبي ﷺ: (**لست ممن يفعله خيلاء**).

فالنبي ﷺ شهد لأبي بكر بالجنة وشهد له بأنه ممن لا يسبل إزاره خيلاء.

ولكنه كان رضي الله عنه رجلاً نحيفاً قليل اللحم لا يستقر عليه إزاره فيسترخي وكلما استرخى تعاهده مزقه.

فيا من تسبل إزارك وتطيل ثوبك: هل شهد لك النبي ﷺ بالجنة ؟

هل زكاك النبي ﷺ وشهد لك بعدم الخيلاء ؟

هل تتعاهد ثوبك كلما نزل عن كعبك ؟..

فيا أخي الغالي: لا تهتم بقول الناس وكلامهم الجاهل.. وطبق ما قاله لك نبيك بشأن ثوبك، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للشاب الذي أرخى إزاره: (يا ابن أخي ارفع ثوبك.. فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك).

الحذر الحذر من التدخين:

أن مما يؤسف له ما نلاحظ هذه الأيام من انتشار ظاهرة التدخين وبشكل ملفت للنظر ومنذر بالخطر خصوصاً في صفوف الشباب والمثقفين ومما يزيد الدهشة ويضاعف الحسرة

أن ترى جمعاً غفيراً ممن أنيطت بهم مسؤولية تربية الشباب والتوجيه العام كالمدرسين والأطباء ورؤساء الدوائر والمؤسسات نراهم يمارسون هذه الظاهرة القبيحة الخبيثة الضارة على مرأى من طلابهم ومراجعيهم بل أمام أولادهم وأهليهم وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: (كلُّ أمتي معافى إلا المجاهرين).

إخواني وأحبابي دعونا من قول فلان وفلان دعونا من قول العالم الذي يقول الدخان مباح ومن يقول مكروه ومن يقول محرم لنشغل أفكارنا ونجرد أنفسنا ونزن قضيتنا بميزان الكتاب والسنة وبميزان العقل السليم والتجربة والحقائق وهلم أخي المدخن إلى هذه المناظرة.

١ - هل التدخين خبيث أم طيب ؟ ومن يقول إنه طيب نقول له لم لا تدخن في المسجد فنراه يتراجع ويقول نعم إنه خبيث والمسجد ينزه عنه والله يقول: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٢ - هل التدخين نافع أم ضار ؟ وما هي منافعه وحسناته ؟ لا ترى فيه أي منفعةً بل كله مضرة وفي الحديث الصحيح: (لا ضرر ولا ضرار) كما أنه مكتوب على علبة الدخان: «الدخان ضار بالصحة ننصحك باجتنابه».

٣ - هل الدخان طعام أم شراب، فاكهة أم خضرة، مرطبات أم عصيرات، لا لا لا إنه دخان كاسمه لا يسمن ولا يغني من جوع.

٤ - هل هو لذيذٌ أم كريه.

٥ - هل فيه إيذاء أم لا ؟. نرى فيه إيذاءً عظيما فبعض الناس مجرد شمه يقيء ما في بطنه، وبعضهم يصاب بصداع فالمدخن يضر بالأشخاص المحيطين به نتيجة استنشاقهم للهواء المختلط بالدخان فيصابون بالأمراض الناتجة عن المواد السامة في الدخان، ولو أن

إنساناً تنفس في وجه المدخن أو بصق أو امتخط أمامه كم يكون انزعاجه وغضبه. فمج الدخان في وجوههم أعظم من ذلك بأضعاف ولكن الأمر كما جاء في الحديث الصحيح: (**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**)، ففي التدخين إيذاء لكل من جالس المدخن والإيذاء محرم يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، وفي الحديث الصحيح: (**من أكل ثوماً أو بصلاً فلا يقربن مصلانا**- وفي رواية – (**ليعتزلنا- ليقعد في بيته فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**) والعاقل إذا شم رائحة حريق غطى فمه وأنفه تحاشياً للرائحة فكيف بدخان السم ويأتي من يزعم ويدعي الرجولة والعقل فيدخل رائحة الدخان إلى صدره وأحشائه.

٦- تبذير و إضاعة المال وإفساد والله يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٧].

ونهى ﷺ عن إضاعة المال، والله سائل الإنسان عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وأي تبذير وإضاعة للمال أعظم من إحراقه بالنار، ولو رأينا شخصاً يحرق نقوده بالنار لحكمنا عليه بالجنون والسفه، فكيف بإحراق المال والجسم والصحة جميعا، وربما اقترض المدخن من أجل شراء سيجارة، وهو بحاجة ماسه إلى القرش، فربما قصر في الإنفاق على أهله. وفي الحديث: (**كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول**).

وقد قالوا: «اشرب نارا وادفع دينارا».

٧- الدخان مخدر ومفتر للأعضاء والأطراف وفي الحديث الصحيح: (نهى ﷺ عن كل مخدر ومفتر).

٨- ثبت وجرب أن المدخنين أقل أعمارا، وأضعف بنية، وأبلد أفكارا ومزاجاً، لا يتلذذ بطعام ولا بشراب، أكثر شحوبا ووهنا وضعفا و هزلا من غيرهم، يؤثر في التفكير والتذكر ويصيب بالأوهام و الوسواس لأن الدخان ينشف الدماغ.

٩- أجمعت التقارير الطبية والصادرة من جهات مختلفة وفي أزمان متباينة، والتي تعتمد على الاختبارات والتجارب: أن تأثير الدخان السيئ على الصحة يعتبر الآن أشد من أخطار الطاعون والكوليرا، والجدري والجذام وغيرها، ويؤكد التقرير أن الوفيات الناتجة عن التدخين هي أكثر بكثير من جميع الوفيات بالأمراض الوبائية مجتمعة، وهناك أمراض وأضرار خطيرة يسببها الدخان أعظمها السرطان وهو في هذا الزمان كثير، والنوبات القلبية والسكتة القلبية وموت الفجأة، ويفسد الجهاز التنفسي، والهضمي، والدموي، والعصبي، ويورث أمراض القلب والرئة وضغط الدم، ونشر السموم الخبيثة القاتلة في الجسم والدم والشرايين، ولا داعي لذكر بقية الأمراض وأخطاره على الصحة.

أخي قرب إناء فيه قليل من النيكوتين - مادة التدخين - إلى الهرة ترى الهرة البهيمة يا إنسان ترفض الماء؛ لأن فيه ريحه خبيثة منتنه، أفكانت الهرة أكثر عقلا وأدرى بالمصلحة منك، ويقال بأن خمس نقاط منه كافية لقتل جمل، والله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، ويقول: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ٢٩].

١٠- المجاهرة وهذه الطامة الكبرى والمصيبة العظمى، وتقدم الحديث: (كل أمتي معافى إلا المجاهرين)، إذاً يكون التدخين من الكبائر، ونراه يدخن ويفتخر لا يخشى خالقا ولا يستحي من مخلوق، أخي المسلم حبيبي في الله أبعد هذه الأضرار والأخطار والأمراض - التي اختصرناها و أوجزناها - الشرعية والاجتماعية، والأخلاقية، والصحية والنفسية، والاقتصادية، والعقلية، أبعد هذه البيانات والحجج القاطعات يأتي إنسان عاقل ويقول بأن الدخن أو القات أو الشيشة - المعسل أو التمباك أو التتن أو الشمه أو البردقان مباح أو مكروه فقط.

نهاية مؤسفة أخي المدخن آمل أن تقرأ هذه القصة وتمعن النظر فيها جيدا، فإنها نهاية سيئة لذلك الشاب الذي أدمن شرب الدخان فكانت النهاية المؤلمة، وما يدريك فلعلها

تكون نهايتك أيضا، فتب إلى الله وأقلع، وإليك قصة ذلك الشاب: كان في الخامسة والعشرين من عمره ابتلي بشرب ا لدخان لعدة سنوات، وذات يوم أدخل المستشفى بسبب ألم مفاجئ وهبوط في القلب، ووضع عدة أيام في غرفة العناية المركزة تحت مراقبة الأجهزة الطبية المتطورة، حيث إن الطبيب المشرف على علاجه أصدر أوامره لهيئة التمريض بالمستشفى بعدم إدخال الدخان لذلك الشاب؛ لأنه السبب الرئيس لمرضه، وتفتيش الزوار خوفا من تسلل الدخان له خفية، وبعد فترة تحسنت صحته وبدأ يستعيد نشاطه، إلا أنه لم يتقيد بتعليمات الطبيب حيث عاد للتدخين، وفي أحد الأيام فقد هذا الشاب فبحثوا عنه فوجدوه في أحد الحمامات وقد فارق الحياة وبيده سيجارة نسأل الله السلامة والعافية... إنها نهاية مؤسفة نسوقها إلى كل مدخن .. مات.. وفي يده سيجاره.

فوائد للتدخين:

ارجو من الجميع قراءتها وأتمنى الصحة والعافية للجميع: المدخن لا يصاب بالشيخوخة....لأنه يموت في عز شبابه، يتعرف دائما على أصدقاء جدد...لأنه كل يوم عند طبيب جديد، لا يدخل اللصوص إلى بيته....لأنه يسعل طوال الليل، لا يزوره الناس و الأقرباء كثيرا...لأن رائحته كريهة.

وإحقاقا للحق وإنصافا للتدخين لابد أن نتحدث عن هذه الفوائد للتدخين:

أنّ شعر المدخن لا يشيب.

أن الكلاب لا تعضه.

أن اللصوص لا يدخلون منزله.

إنه إذا ركب نقل عام أو أي وسيله للمواصلات.. فإنه يجلس ولا يقف على قدميه.

وتفصيلا لهذه الفوائد نقول:

الفائدة الأولى: فلأنه لا يمتد به العمر حتى يشيب شعره، ويتوفى غالبا قبل أوان الشيب. (والله اعلم).

الفائدة الثانية: فلأنه يمسك عصا يتوكأ عليها من الضعف، فإذا رأته الكلاب على هذه الهيئه هابته وابتعدت عنه.

والفائدة الثالثة: فلأنه لا يملك شيئا يستحق السرقة.. أي أنه ينفق معظم أمواله في شراء أداء التدخين، كما أنه يسعل طوال الليل.

أما الفائدة الرابعة: فلأنه إذا ركب نقل عام، أو غيرها و رأى أحد الجالسين ضعف بنيته.. و اعتلال صحته رق قلبه لحاله فتنازل له عن مقعده و أجلسه فيه....

نداء وتذكير:

عبد الله ذكرت لك بعض المحظورات وبعض المأمورات:

فاسلك عبد الله طريق النجاة بفعل المأمور، وترك المحظور والتوبة التوبة إلى التواب الرحيم الغفور. أخي أحمد الله أن مدّ الله في عمرك، ولم يقبض نفسك وأنت في غيك وإعراضك وغفلتك.أخي بادر بالتوبة وانفض عن نفسك غبار الغفلة، واعلم أن باب التوبة مفتوح وأن عطاء ربك ممنوح، وأن فضله يغدو ويروح واعلم أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وأن الله يبدل سيئاتك حسنات وأن الله يفرح بتوبتك، وأخيراً هنيئاً للتائبين محبة الله لهم قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ البقرة: ٢٢٢].

ياويح قلبي ما استتاب	مما جنته يد الشباب
ياخجلتي يوم الحساب	من مولى يحصي علي

***

عصيت الله أيامي وليلي	وفي العصيان قدأسبلت ذيلي
فويلي إن حرمت جنان عدن	وويلي إن دخلت النار ويلي

عجباً لك يا ابن آدم خلقت من نطفة مذرة، ثم تغدو جيفة قذرة وأنت حامل للعذرة، خلقك ربك فسواك ورزقك وكساك، ومن كل خير طلبته أعطاك، فطغيت وما شكرت، وأذنبت وما أنبت، تتنقل من معصية إلى معصية، ومن ذنب إلى ذنب حتى غمرتك

الذنوب، فياليت شعري متى تتوب؟ أتظن أن من يتهاون في الصلاة ويتساهل في الفرائض ويصر على المعاصي ويدمن على الخطايا ينجو ويفلح، كلا وربي، خل عنك الصدود والجحود واحذر الموت المفاجئ، فربما يأتيك وأنت قائم وأنت نائم وأنت تلهو وتلعب وأنت تذنب، أما ترى صرعة الموت وقتلاه في الشوارع، كم حدثت وحدثنا عن سليم مات من غير علة، ومعافى مات في فراش نومه، فلا تغتر بشبابك ولا تنخدع بصحتك ولا تزهو بغناك ولا تفرط في عمرك الراحل تكون عبدالله حقاً طائعاً له صدقاً.

إخواني:

إلى كُلِّ مَن: يَتساهلُ بالصّلاة أو يُفرّط فيها.

إلى كُلِّ مَن: يمنع الزكاة ويتهاون بها.

إلى كُلِّ مَن: يعق والديه ويُعذبهما.

إلى كُلِّ مَن: يقطع أرحامه ويهجرهم.

إلى كُلِّ مَن: يحارب الله ورسوله بتعامله بالربا.

إلى كُلِّ مَن: يغش في البيع والشِّراء، أو يرشي أو يرتشي.

إلى كُلِّ مَن: يُغني أو يستمع إلى الغِناء.

إلى كُلِّ مَن: غَشَّ رعيته وأدخل الدش عند أهله وفي بيته.

إلى كُلِّ مَن: يُضيع من يعول من زوجته وأولاده.

إلى كُلِّ مَن: يَزني أو يعمل عمل قوم لوط.

إلى كُلِّ مَن: أسبل ثوبه وجرَّ إزاره.

إلى كُلِّ مَن: حلق لحيته.

إلى كُلِّ مَن: ظلم وأكل حقوق الغير - وخُصوصا العُمّال -.

إلى كُلِّ مَن: ينام عن صَلاة الفَجر.

إلى كُلِّ مَن: يذهب إلى السَّحرة والمُشعوذين.

إلى كُلِّ مَن: يستهزئُ بأهل الحُسبة والصّالحين.

إلى كُلِّ مَن: يحسد ويحقد على إخوانه المُسلمين أو يَغتابهم.

إلى كُلِّ مَن: يجول الأسواق ركضاً خلف محارم المسلمين ويُطلق بَصره على النساء.

إلى كُلِّ مَن: يدنس فمه الذي نطق بـ(لا إله إلا الله) بِسيجارة أو شيشة قبيحة نتنة الرائحة.

إلى كُلِّ مَن: يَستعمل المسكرات والمخدرات.

إلى كُلِّ مَن: هجر القرآن الكريم وتلاوته وتدبره والعمل به.

إلى كُلِّ مَن: يُجالس أهل السوء والشَّر.

إلى كُلِّ مَن: هجر الصالحين ومجالس الذكر.

إلى كُلِّ مَن: لم يحج وهو يستطيع ويملك مُقومات الحج.

إلى كُلِّ مَن: يَشهد شهادة الزور أو يُعين عليها.

إلى كُلِّ مَن: يُوالي الكُفَّار.

إلى كُلِّ مَن: استقدم عَمالة من خدم وسائقين كُفَّار ولم يدعهم لِلإسلام.

إلى كُلِّ مَن: حلف بغير الله أو ذبح لغير الله.

إلى كُلِّ مَن: ابتدع في الدين أو سَن سنة سيئة.

إلى كُلِّ مَن: نادى بالتبرج وخروج المسلمة من خدرها سواء بلسانه أو قلمه.

إلى كُلِّ مَن: غفل عن ذكر الله.

إلى كُلِّ مَن: يسب أصحاب رسول الله ﷺ.

إلى كُلِّ مَن: يملك عقاراً ويؤجر: بنكاً يتعامل بالربا، أو يبيع آلات اللهو والطرب وأشرطة الغناء والفيديو الماجنة، والدش والفضائيات، والدخان والشيشة، والصحف والمجلات التي تحمل صور النساء.

إلى كُلِّ مَن: يسهر الليالي في المقاهي ويضيع الوقت في لعب الورق (البلوت) والشطرنج، ومتابعة المسلسلات، والمسرحيات، والأفلام، والمغنين، والمغنيات، والراقصات،والساقطات.

فيا أيها الشاب المفرط والغافل والمعرض عن الله، يا من أسرف على نفسه بالمعاصي عد إلى ربك فالموت قريب.

ويا من ضيع عمره في البلوت.

يا من ضيع عمره في مشاهدة الأفلام وسماع الأغاني.

يا من ضيع عمره في المقاهي والاستراحات.

يا من ضيع عمره في تلميع وتجميل سياراته.

يا من ضيع عمره في معاكسة النساء.

يا من ضيع عمره في السفر إلى بلاد الخلاعة.

يا من ضيع عمره على الشواطئ والمنتزهات.

قبل أن تعصي الله..

تذكر قدرة الله عز وجل.

تذكر أن الله عز وجل يراك وأنت تعصيه.

تذكر أن الله رزقك هذا الجسد الذي تعصيه به، وقد يحرمك أي عضو من أعضائك في أي لحظة.

تذكر أن لك صحيفة تدون فيها الملائكة أعمالك بأمر الله عز وجل.

تذكر أن العبد يمنع الرزق بالذنب يصيبه كما أخبر المصطفى ﷺ.

تذكر الذنب وحسرته..

تذكر أن كل لذة محرمة تزول ويبقى الإثم والعار.

تذكر أن المعصية تجرىء أختها، حتى يجتمعن على المرء فيهلكنه..

تذكر الموت وسكرته..

تذكر أن الموت هو القاطع لكل لذة، والنهاية المحتومة لكل بداية.

تذكر نزع روحك وبلوغها الحلقوم.

تذكر قوله تعالى: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾ القيامة: ٢٩-٣٠].

تذكر قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

تذكر القبر وظلمته..

تذكر أنه لا جليس لك في قبرك، إلا عملك الذي عملته في الحياة الدنيا.

تخيل نفسك بعد ليال من دفنك وقد تمزق كفنك، وتغير ريحك وسرى الدود في جسدك، فاسأل نفسك ماذا ستجني من هذه المعصية ؟

تذكر الرجل قبيح الوجه يأتيك في قبرك فيقول لك: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد. فتقول: من أنت فوجهك الذي يجيء بالشر فيقول أنا عملك السيئ.

تذكر الحساب وشدته..

تذكر يوم العرض على الله وقد صار تاريخك مكشوفا وصحيفتك مكشوفة وجسدك مكشوفا وصدق الله: ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٨].

عد إلى ربك، حاسب نفسك، التزم بأمر ربك، تعرف على شباب طيبين يعينونك على طاعة الله فالأمر بين يديك إما الاستقامة على أمر الله أو الضياع والدمار، فهيا إلحق بأهل الخير والصلاح.

صحبة الصالحين بلسم قلبي إنها للنفوس أعظم راقي

إن أعمارنا قصيرة محدودة، وأنفاسنا معدودة، ووجودنا في هذه الحياة للعبادة والتزود بالطاعات والأعمال الصّالحات ؛ فهنيئاً لمن أدرك ذلك.

وهَنيئاً لِمَن: جعل هذه الدنيا مطيته.

وهَنيئاً لِمَن: تدارك بقيّة عمره ووفِّق لمرضات ربِّه.

وهَنيئاً لِمَن: بنى قبره بالأعمال الصّالحة قبل أن يدخله.

وهَنيئاً لِمَن: استعد للوقوف أمام الله يوم قدومه على الله يوم القيامة.

إن اليوم الذي يمر وينقضي بلا عمل صالح إنه والله لخسارة على صاحبه.

فبالإمكان - بإذن الله - التخلص الآن من جميع الذنوب والمعاصي، وذلك بمجرد التوبة الصّادقة والرَّجعة إلى الله ﷻ.

فيا من غفل و لغى و سهى ولهى وفرط في طاعة رب الأرض والسماء، ويا من صد وعن طاعة الله ند تب إلى الله ارجع إليه أقلع وتب فإن ربي رحيم ودود، بر رءوف يغفر الذنب ويقبل التوب، ويرضى بالرجوع إليه و الأوب، قل بقول صائب وبلسان وصوت تائب مثل:

ويلي من الجبار ويلي ... أركضت في درب الهوى خيلي

ويلي وقد ضيعت أيامي ... باللهو والتفريط والميل

ويلي إذا مني دنا أجلي ... وتوافد الأحباب من حولي

وتسارعت في الصدر أنفاسي ... وتدافعت كتدافع السيل

ويلي إذا امتدت يد قدري ... لتنال مني وافراً مني

أمالك عبرة فيمن قرضتهم الشهور في الماضي من السنين؟.. أمالك فكرة فيمن صرع قبلك من الأنام من شيخ وكهل وشاب وطفل وجنين.. أما اعتبرت بمن قبرت من صديق وشقيق وخليل وقرين كم..جنازة حضرناها كم أنفس دفناها كم أسر عزيناها هم السابقون ونحن اللاحقون نحن على الأثر.

ماذا أعددت ؟

هل أعددت لباس التقوى ولباس الخوف والحياء من الله ؟ أم أعددت لباس الشهوات والبعد عن رب الأرض والسماوات ؟

هل أعددت الزاد لتلك الحفرة المظلمة القاحلة الضيقة التي ستسكنها وحيدا منسيا مغمورا تحت التراب؟ هل فكرت في مآلك فيها ؟

هل شغلت نفسك بأسباب النجاة من ظلمتها وضيقها ؟

هل جعلت همك في تلك النقلة البعيدة والسفرة الطويلة ما ذا ستقول وأنت ممدد تتمايل بك الأكتاف أيعلو نحيبك بالصراخ: ويلكم أين تسيرون بي ؟ أم تقول قدموني.. قدموني!!!

هل جعلت همك فيما ستقوله ساعتها؟ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[إبراهيم: ٢٧] جعلت همك النظر إلى المحرمات والاستماع إلى الأغنيات والعكوف على الأفلام والمسلسلات والتساهل بالصلوات وحضور مجالس المنكرات والبعد عن رب الأرض والسماوات؟

هل أعددنا الزاد سفر بلا وطن وممر بلا مقر.. نجهز رحالنا و لا ندري متى تقلع أجسادنا عن هذه الحياة...؟ نعد الزاد لذلك الوطن السرمدي ولا نعلم متى الرحيل ؟ وأين نهاية الرحلة ؟

لكن لنقف مع أنفسنا لحظات فقد مضت سنة بل سنوات وكأنها تقول للجميع وداعا بلا رجعة... تراكمت ساعاتها حلوها ومرها خيرها وشرها صغيرها و كبيرها في تلك الصفحة التي تحملها أكتافنا.. كل ذلك ولا نفكر فيما مضى فيما سيتقدم لنا... ماذا عملنا ماذا سنقدم عليه ؟ سؤال يتردد على الذهن في كل لحظة وفي بداية كل عام !! لكن أين الجواب ؟ وماذا سيكون الرد ؟ هل فعلا فكرنا لحظة في تلك السنة التي مضت وما قدمناه من أعمال ؟ هل نحن راضون عنها كل الرضا فقط لنراجع ولو يوما واحدا منها ما أمر

سويعات نقفها مع أنفسنا لنراجع منها أعمارنا !! فماذا يا ترى قدمنا للحظات السفر الطويل الذي لا ندري متى وقوعه !! ؟

حضرت الوفاة رجلا من السلف فقيل له كيف حالك ؟.فقال: «كيف يكون حال من يريد سفرا بعيدا بغير زاد ويقدم على ملك عادل بغير حجة ويسكن قبرا موحشا بغير أنيس ؟!!».

وهذا الفضيل بن عياض لما حضرته الوفاة رحمه الله غشي عليه ثم أفاق وقال: «يا بعد سفري وقلة زادي، فما زادنا نحن !!؟».

ولنتذكر قول المولى عز وجل : ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]، ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقوله سبحانه: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨-١٨]، فهل فكرنا في هذين الملكين ؟!! في كل كلمة في كل همسة معنا لا يغفلان ولا يكلان كل ما عليهما تدوين أقوالنا وأفعالنا في السر والعلن...

لم ينسه الملكان حين نسيته بل أثبتاه وأنت لاه تلعب

فهل رضينا عن أعمالنا طوال تلك السنين ونحن متناسين هذين الملكين !! لا والله فما ذا قدمنا للموت وسكراته !!!

هل فكرنا لحظة في سكرات الموت إنها والله لحق ؟!!!

إني والله أتعجب لحالنا !!ألا نعتبر بالقبور وأصحابها أين كانوا وما هي منازلهم الآن؟؟ ما مصيرهم؟ كل على حسب عمله فماذا عملنا لأنفسنا...؟

من منا لا يخطى.. من منا ليس عليه ذنوب ومعاص.. من منا لم تشغله الدنيا بشهواتها عن ذكر الله وطاعته عن محاسبة نفسه في يومه..يقول النبي ﷺ: **(كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون).**

فليس هناك أحد منزه عن الخطأ مهما علا ومهما نرى عليه علامات الصلاح إلا من رحم ربي.فلنعقد مع أنفسنا عهدا على التوبة النصوح قبل سكون الوطن الأبدي وقبل نهاية الرحلة .

صروف الحتف مترعة الكؤوس تدار على الرعايا والرؤوس
فلا تتبع هواك فكل شخص يصير إلى بلىً وإلى دروس
وخف من هول يوم قمطرير مخوف شره ضنك عبوس
فمالك غير تقوى الله زادا وفعلك حين تقبر من أنيس
فحسنه ليعرض مستقيماً ففي الاثنين يعرض والخميس

وقال الآخر:

ألا للموت كأس أي كأس وأنت لكأسه لابد حاسي
إلى كم والممات إلى قريب تذكر بالممات وأنت ناسي

دعوة لمحاسبة النفس...فالأيام تمر والصفحات تنطوي و الأعوام تتوالى وكل من يستطيع أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب ويأخذ من سني عمره المنصرمة المواعظ والعبر وأن يراقب الله.

فها هي الأيام تركض وهكذا الأيام تجري بنا من غير أن نحس ولا ندري إلا عند بداية سنة أو قدوم الشهر الكريم أو العيد . والسؤال الأهم : ما ذا أعددنا للرحلة النهائية؟

ما ذا قدمنا لأنفسنا من خير لنجده عند الله خير ثواب وخير أمل ما ذا سجل في صحائف أعمالنا ؟ ما ذا أعددنا للحفرة التي سنوضع فيها ؟ هل تذكرنا اليوم الموت والقبر ؟ هل قرأنا شيئا من القرآن ؟

هل كنا خاشعين في الصلاة ؟ هل استغفرنا الله اليوم من ذنوبنا ؟

هل تجنبنا كل ما لا يرضي الله عز وجل ؟ هل فكرنا بالتباعد عن قرناء السوء ؟ هل نظفنا قلوبنا من الكبرياء والحسد والحقد ؟ وألسنتنا من الغيبة والنميمة والكذب ؟ هل تركنا النظر إلى ما حرم الله ؟ هل تركنا سماع ما حرم الله ؟ هل أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر ؟ هل بذلنا الغالي والرخيص من أجل نصر ديننا والعمل له ؟وهل.. وهل.. وهل..؟ دعوة صادقة لكل إنسان أن يحاسب ويعد زاده للرحيل الأخير .

من الآن لنحاول بدعوة خاشعة ودموع خائفة راجية أن نغسل أجسادنا بتوبة صادقة قبل أن تغسل أجسادنا بغيرنا فهذا وعد الحق لنا ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وتأكد أنه لا يأس مع أمل، فهذا قول الحق ينير لنا طريقنا بالمغفرة التي وسعت كل شيء، فلماذا نسرف على أنفسنا بالمعاصي والله معنا؟..

أقبل على مولاك والزم طاعته، وسل منه الرضى فالتقي من ربه مقرب، تب إلى ربك واستقم على ما يرضيه كما استقام ورجع والتزم غيرك.

وإليك قصة شاب سنه ٢٧ سنة يحكي قصة التزامه وكيف كانت حياته قبل التزامه فيقول: إني بحثت عن السعادة في كل مكان ولم أجدها إلا في طاعة الله، لقد كنت أبحث عنها في السفر، في الكرة، في المال، في الشهرة، والشهوة فلم أجدها ولم أتذوق طعمها، بل تذوقت مرارة الأسفار إلى البلاد الكافرة، بلاد الغناء والطرب والسهر، وكان لي أصحاب يدعونني إلى كل رذيلة، وتركت الدراسة فترة طويلة بسبب الصحبة السيئة والإغراءات المادية اللعينة، من مخدرات ومسكرات، وكنت مضيعا للصلاة مسرفا على نفسي بالذنوب والخطايا والسيئات، ولكن مفاتيح الهداية عند الله سبحانه يفتح بها القلوب متى شاء وأنى شاء، وقد يكون مفتاح القلب كلمة أو خاطرة أو موعظة أو مشهدا مثيرا، وأضاف يقول: إنني في أحد الأيام كنت ذاهبا على طريق المطار ببريدة فمررت بمقبرة الموطأ ورأيت الناس في داخل المقبرة حشوداً

كبيرة، فقلت في نفسي: ما هذا الحشد؟ لعلي أرى، فنزلت من سيارتي ودخلت المقبرة وجلست أمام القبر الذي سيوضع فيه الميت، وبعدما وضع الميت في قبره ووجه رأسه تجاه القبلة انقلب بقدرة الله عز وجل إلى جهة الشرق، وحاول الجميع أن يوجهوه عدة مرت إلى القبلة ولكن شاء الله بقدرته أن يرينا عذابه في القبر، وأضاف يقول: وبعد ما رأيت ذلك المنظر المخيف تغير حالي، وسألت نفسي: كيف حالي لو أنني كنت مكان هذا الميت؟ وما مصيري بعد موتي ؟ فبكيت في تلك اللحظة وعدت إلى منزلي واغتسلت، وعاهدت الله على أن لا أعود إلى الذنوب والمعاصي، وعدت إلى الله وما أحسن الرجوع إلى الله .. هذه القصة يحكيها أحد طلبة العلم من أحد كبار السن في بريدة وهو الذي قام بنفسه في دفن هذا الميت.

ماذا تنتظر ؟؟؟

اجتمع طلاب المعهد المهني بالرياض في قاعة المحاضرات في المعهد ينتظرون أحد المشايخ ليلقي على أسماعهم محاضرة، وبينما هم ينتظرون إذا هم بمفاجأة !!! دخل عليهم شاب يقود كرسيه المتحرك برأسه فقط، لأنه مصاب بشلل رباعي، حتى وصل المكان المخصص للإلقاء وسط دهشة الطلاب واستغرابهم، ثم وقف وسلم عليهم، وردوا التحية بأحسن منها، ثم حمد الله وأثنى عليه وقال: ياشباب! أنا كنت شاباً مغرماً بالرياضة، وأجري في اليوم الواحد حوالي ١٠كم تقريباً، وذات يوم مر علي أحد الأصدقاء وذهبنا نفحط في أحد الشوارع، وأثناء التفحيط انفصل ذراع السيارة، وبدأت السيارة تتلاعب بنا يمنة ويسرة وتتقلب في الطريق عدة مرات، حتى استقرت أخيراً على عجلاتها، فنظرت إلى السائق وإذا به قد مات، وأنا مصاب بشلل رباعي لا يتحرك مني إلا الرأس كما ترون، وأحمد الله تعالى أنني لم أمت؛ لأنني أثناء انقلاب السيارة استرجعت شريط حياتي وإذا به شريط أسود، ليس فيه صلاة ولا زكاة ولا ذكر ولا قراءة قرآن، ثم قال ماذا تنتظر أيها الشاب ؟ الموت المفاجئ ! وإذا لم يكن الموت المفاجئ فقد يكون المرض المفاجئ !!! نعم

ماذا تنتظر !!! هل تنتظر الموت ؟ عندها لا ينفع الندم كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠] ولو سأل الشاب نفسه ما العمل الذي يرجوه عند الله سبحانه وتعالى؟ ربما أجاب بعض الشباب أو كثير منهم لا شيء، ولو سأل الشاب نفسه ما العمل الذي يخاف أن يقابل الله به؟ لوجد أنها أعمال كثيرة جداً، إذا لماذ لا نتخلص منها قبل أن يفجأنا الموت؟

أخي أكرر فأقول : بادر بالتوبة قبل أن تبادر، وانفض عن نفسك غبار الغفلة واعلم أن باب التوبة مفتوح، وأن عطاء ربك ممنوح، وأن فضله يغدو ويروح، واعلم أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وأن الله يبدل سيئاتك حسنات وأن الله يفرح بتوبتك، وأخيراً هنيئاً للتائبين محبة الله لهم قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢].

أخي وحبيبي أما آن لك أن ترعوي، وتتوب وترجع قال ﷻ: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦].

سمعها - مالك بن دينار: كان صاحب شراب ووو... فسمعها فصلح حاله، وتردد على مجلس الحسن البصري، حتى صار من العلماء الأجلاء، وورث مكان الحسن البصري في مسجد البصرة ، فلا ييأس مسرف على نفسه.

سمعها - إبراهيم بن أدهم: وكان صاحب لهو وترف وطرب فرمى بآلات اللهو - واعتزل كل هذا - وقال لما سمع: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ قال «نعم والله لقد آن الأوان » مراراً - وانصرف يدعو إلى الله، وأنفق كل ماله - ومات شهيداً في سبيل الله.

سمعها - الفضيل بن عياض، واسمع قصة توبة الفضيل بن عياض الزاهد، العابد لعلك إن سمعتها تكن ممن وعى وارتدع: كان الفضيل بن عياض قاطع طريق، وسبب توبته أنه عشق امرأة فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع تالياً يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ فلما سمعها قال: «بلى يارب قد آن»، فرجع، فآواه الليل إلى خربة، فإذا فيها قوم عابرون في طريق ما، فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلاً يقطع الطريق علينا، قال: ففكرت وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين هاهنا يخافوني وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام.

فتب إلى الله وكن كالفضيل عندما سمع هذه الآية تاب وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ﴾ [الحديد: ١٦-١٧] «فلا ييأس مسرف على نفسه».

يجب على العبد مهما كانت الذنوب التي اقترفها عظيمة أن يعلم بأن رحمة الله قد وسعت كل شيء، وأن رحمة الله تعالى أعظم مما يتصور. قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

شاب يقول كنت غافلاً عن الله... بعيداً غارقاً في لجج المعاصي والآثام.. فلما أراد الله لي الهداية قدر لي حادثاً أعادني إلى رشدي وردني إلى الصواب.. ففي يوم من الأيام وبعد أن قضينا أياماً جميلة في نزهة عائلية في مدينة الدمام.. انطلقت بسيارتي عبر الطريق السريع بين الدمام والرياض ومعي أخواتي الثلاث... وبدل بأن أدعو بدعاء السفر المأثور استفزني الشيطان بصوته وأجلب علي بخيله ورَجِلِه وزين لي سماع الأغاني لأظل سادراً غافلاً عن الله... ولم أكن حينذاك أحرص على سماع إذاعة القرآن الكريم، أو الأشرطة الإسلامية النافعة للمشايخ والعلماء لأن الحق والباطل لا يجتمعان في قلب واحد أبداً.

إحدى أخواتي كانت صالحة مؤمنة ذاكرة لله حافظة لحدوده.. طلبت مني أن أُسكت الأغاني وأستمع إلى صوت الحق لكن... أنَّى لي أن أستجيب لذلك وقد استحوذ علي الشيطان وملك علي جوارحي وفؤادي فأخذتني العزة بالإثم فرفضت طلبها وقد شاركني في ذلك أُختاي الأخريتان... وكررَّت أختي المؤمنة طلبها، فازددت عناداً وإصراراً، وأخذنا نسخر منها ونحتقرها... بل إني قلت لها ساخراً: إن أعجبكِ الحال وإلا أنزلتك على قارعة الطريق !! فصمتت أختي على مضض وقد كرهت هذا العمل بقلبها وأدت ما عليها، والله سبحانه وتعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها.

وفجأة حصل مالم يكن في الحسبان وبقدر من الله سبق، انفجرت إحدى عجلات السيارة ونحن نسير بسرعة شديدة.. فانحرفت السيارة عن طريقها وهوت في منحدر جانبي فأصبح أسفلها أعلاها بعد أن انقلبت عدة مرات... وأصبحنا في حال لا يعلمها إلا الله العلي العظيم... فاجتمع الناس حول سيارتنا المنكوبة.. ولكن ما الذي حدث ؟ لقد خرجنا جميعاً سالمين، إلا من بعض الإصابات الخفيفة ما عدا أختي المؤمنة الصابرة المحتسبة الطيبة فقد توفيت... نعم لقد ماتت أختي الحبيبة التي كُنا نستهزئ بها واختارها الله إلى جواره، وإني لأرجوا أن تكون في عداد الشهداء الأبرار وأسأل الله أن يرفع منزلتها ويعلي درجتها في جنات النعيم.

أما أنا فقد بكيت على نفسي قبل أن أبكي على أختي، وانكشف عني الغطاء فأبصرت حقيقة نفسي، وما كنت فيه من الغرور والغفلة والضياع.. علمت أن الله جل وعلا قد أراد بي خيراً وكتب لي عمراً جديداً، لا بد حياة جديدة ملؤها الإيمان بالله والعمل الصالح.

وكلما تذكرت أختي أذرف دموع الحزن والندم وأتساءل في نفسي: هل سيغفر الله لي ؟ فأجد الجواب في كتاب الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

فيا ويل من أغلق باب التوبة عن العصا ة وقنطهم من رحمة الله، وقال: بأن الله لايغفر لفلان وفلان بعيد عن الهداية، فلان ما الله هاديه، فهذا وأمثاله جاهل متأل على الله، حجر رحمة الله هذه وسوسة إبليس، يقول للعاصي: أنت فعلت وفعلت أنت ارتكبت الكثير الكثير كيف تتوب كيف يغفر الله لك، الله لا يقبل توبتك لا تتعب نفسك، ابق على ما أنت عليه خير لك، وهكذا ولا يزال الشيطان يقذف عليه بمثل هذه الوساوس والأوهام حتى ييأس العاصي ويقنط من رحمة الله، ونسي هذا المسكين أن من قال ذلك فهذا قد ارتكب جرما عظيما وافتتات على الله وتألى عليه، فقد ثبت في صحيح مُسلم (٢٦٢١) من حديثِ جُنْدَبٍ: أَنَّ رسول الله ﷺ حَدَّثَ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: (وَالله لا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ : مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلانٍ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ) ومن الذي يغفر الذنوب هو أم الله؟ ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥] إلا الله إلا الله ونسي هذا الجاهل أن قول الله: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ﴾ هي أفرح آية في كتاب الله، وهي مطلقة بغفران كل ذنب كائنا ما كان، مهما كان لو كان ما كان إلا ما أخرجه النص القرآني: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء، ٤٨، ١١٦] ومن تاب من الشرك تاب الله عليه، بل يبدل سيئاته حسنات وتأمل قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣-٧٤] من قال: إن الله ثالث ثلاثة توبته مقبولة،، فكيف بمن زنا وقتل وفعل الفواحش وارتكب ما ارتكب وهو موحد، بل أين هو من حديث قاتل المائة فمن يحول بينك وبين التوبة، بل قنوطه أعظم إثما وجرما ومعصية، قنوطه من ذنوبه أعظم مما ارتكب وانتهك وأجرم وأسرف، فليكن هذا الأمر على بالك ولا تجاوزه فتشقى، وتذكر الحديث: (بشروا ولا تنفروا).

قل:

يـــا كثـــير العفـــو عمـــن كثـــر الـــذنب لديـــه
جـــاءك المـــذنب يرجـــو الـــصفح عـــن جـــرم يديـــه
أنـــا ضـــيف وجـــزاء الـــضيف إحـــسان إليـــه

***

أيـــا مـــن لـــيس لي منـــه مجـير بعفـــوك مـــن عـــذابك أســـتجير
أنـــا العبـــد المقـــر بكـــل ذنـــب وأنـــت الـــسيد المـــولى الغفـــور
فـــإن عـــذبتني فبـــسوء فعـــلي وإن تغفـــر فأنـــت بـــه جديـــر
أفـــر إليـــك منـــك وأيـــن إلا إليـــك يفـــر منـــك المـــستجير

***

لـــو قيـــل لقـــوم مـــا منكمـــو طلبـــوا حيـــاة يـــوم ليتوبـــوا فـــاعلم
ويحـــك يـــا نفـــس ألا تـــيقظ ينفـــع قبـــل أن تـــزل قـــدمي
مـــضى الزمـــان في تـــوان وهـــوى فاســـتدركي مـــا قـــد بقـــي واغتنمـــي

كانت أسماء تعيش في بيت مدللة، الكل يعيش حسب ما يرى، كان لها غرفتها الخاصة بعيدة عن الصلاة والقرآن ليس لديها ما يشغلها إلا أحدث أفلام الفيديو.

وفي يوم من الأيام جلست تستمع إلى أحد الأفلام وقد انتهى في وقت متأخر فأرادت أن تفتح الغرفة لتغير جو الغرفة ويدخل الهواء إليها. وفتحت النافذة وإذا بها تسمع إمام المسجد المجاور يقرأ في صلاة الفجر ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ [ق: ١٩-٢٠]، ولكنها لم تسمعها بأذنها بل سمعتها بقلبها وجلست تتفكر الموت، القبر، الحساب. فبكت ونظرت إلى شرائط الفيديو وحطمتها، وألقت بها في سلة المهملات، وتوضأت وبدأت تصلي وتبكي: يارب توبة اقبلها مني قبل فوات الأوان،، وذاقت طعم الراحة ولذة العبادة، وكان سببها آية سمعتها بقلبها.

وإياك إياك من التردد أو التأخر في التوبة، فاسكبي العبرات، وأسبلي الدموع الغزار على الوجنات وقولي: - هذه عبراتي وأنا تائبة..

يا إلهي..

جاء بي حرُّ ذنوبي.. جاء بي خوف مصيري.. ساقني – يارب – تأنيبُ ضميري..

ألهبت قلبي سياطُ الخوف من يوم رهيب.. كادتا عيناي أن تبيضَّ من فرط نحيبي..

(آه.. يامولاي ما أعظم حوبي) يا إلهي: أنت لا تطرد من جاءك يبكي.. أنا ذي سوف أحكي..

أنا لا أعرف ما تعرف عني.. أنت أدرى. غير أني.. بؤت – يارب – بما قد كان مني..

فاعف عني.. لا تهنيٍّ.. ولِنفسي لا تكلني..

أنا سافرت مع الشيطان في كل الدروب.. غير درب الحق ما سافرت فيه..

كان إبليس معي في درب تيهي.. يجتبيني..أنا – يا لغبائي – أجتبيه..

كان للشيطان من حولي جند خدعوني.. غرَّروا بي..

وإذا فكرت في التوبة قالوا: لا تتوبي.. ربنا ربُّ قلوب !!..

(آه.. يامولايَ ما أعظم حُوبي)..

غرني – يارب – مالي.. وجمالي..وفراغي.. وشبابي..

زيَّنَ الفجارُ لي حرق حجابي.. ياحمقي.. كيف مزقت وقصَّرت ثيابي ؟!..

أين عقلي ؟!.. حينما فتَّحْتُ للموضة شُبَّاكي وبابي..

أنا مافكرتُ في أخذ كتابي.. بيميني...أو شمالي..أنا ما فكرتُ في كيِّ جباهٍ وجنوب..

(آه.. يامولاي ما أعظم حوبي..)

يا إلهي.. أنا ما فكرتُ في يوم الحساب.. حينما قدَّمني إبليس شاة للذئاب..

ياجهلي..! كيف أقدمت على قتل حيائي..؟! وأنا أمقتُ قتل الأبرياء..

يا إلهي.. أنت من يعلم دائي.. ودوائي..

لا أريد الطب من أي طبيب.. أنت لي أقرب من كل قريب..

(آه.. يامولاي ما أعظم حوبي..)

يا إلهي.. إهدِ من من سهَّل لي مشوار غيي.. فلقد حيَّرني أمر وليي.. أغبيٌّ ساذج أم مُتغابي..

لم يكن يسأل عن سر غيابي.. عن مجيئي وذهابي.. لم يكن يعنيه ما نوع صحابي.

كان معنياً بتوفير طعامي وشرابي..

جاء لي بـ(السائق الهندي) في عزِّ الشباب..

يتمشى بي في الأسواق من غير رقيب..

مشيتي مشية حمقاء لعوب.. أسلب الألباب من كل لبيب..

أشتري النار بمكياجي وطيبي..

(آه.. يامولاي ما أعظم حوبي..)

يا إلهي.. يا مجيب الدعوات.. يا مقيل العثرات..اعف عني.. أنت من أيقظ قلبي من سبات..

وأنا عاهدت عهد المؤمنات.. أن تراني..بين تسبيح وصوم وصلاة..

يا إلهي..جئت كي أعلن ذلي واعترافي..أنا ألغيت زوايا إنحرافي.. وتشبثت بطهري وعفافي..

أنا لن أمشيَ بعد اليوم في درب الرذيلة..جرَّب الفجار كي يردونني.. كلَّ وسيلة..

دبَّروا لي ألف حيلة..فليُعِدُّوا لقتالي ما استطاعوا.. فأمانيهم بقتلي مستحيلة..

يا إلهي.. جئت بالثوب الذي أذنبت فيه..وأنا آمل في ثوب قشيب.. من سميع قادر بَرٍ مجيب..

تُبتُ يارحمن فارحم عبراتي وشحوبي واغسلن بالعفو يامولاي حُوبي[1]

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٤٠٧.

كان رجل يسكن مدينة الرياض.. يعيش في ضياع ولا يعرف الله إلا قليلاً.. ومنذ سنوات لم يدخل المسجد، ولم يسجد لله سجدة واحدة.. يقول: .. كنت أسهر حتى الفجر مع رفقاء السوء في لهو ولعب وضياع، تاركاً زوجتي المسكينة وهي تعاني من الوحدة والضيق والألم ما الله به عليم، لقد عجزت عني تلك الزوجة الوفية، فهي لم تدخر وسعاً في نصيحتي وإرشادي ولكن دون جدوى.. وفي إحدى الليالي.. جئت من إحدى سهراتي العابثة.. وكانت الساعة تشير إلى الثالثة صباحاً فوجدت ابنتي الصغيرة وزوجتي تغطان في سبات عميق.. فاتجهت إلى الغرفة المجاورة لأكمل ماتبقى من ساعات الليل في مشاهدة الأفلام الساقطة من خلال جهاز الفيديو.. تلك الساعات التي ينزل فيها - ربنا ﷻ إلى السماء الدنيا – فيقول: هل من داع فأستجيب له ؟ هل مستغفر فأغفر له ؟ هل من سائل فأعطيه سؤله ؟.. وفجأة وأنا على هذه الحال المؤسفة.. فتح باب الغرفة.. فإذا هي ابنتي الصغيرة التي لم تتجاوز الخامسة من عمرها.. نظرت إليَّ نظرة تعجب واحتقار، وبادرتني قائلة: «بابا، عيب عليك، اتق الله »..رددتها ثلاث مرات، ثم أغلقت الباب وذهبت.. أصابني ذهول شديد فأغلقت جهاز الفيديو، وجلستُ حائراً، فكلماتها لا تزال تتردد في مسامعي، وتكاد تقتلني فخرجت في إثرها فوجدتها قد عادت إلى فراشها.. أصبحت كالمجنون ما أدري ما الذي أصابني في ذلك الوقت، وما هي إلا لحظات حتى انطلق صوت المؤذن من المسجد القريب ليمزق سكون الليل الرهيب منادياً لصلاة الفجر.. توضأت وذهبت إلى المسجد.. ولم تكن لديَّ رغبة شديدة في الصلاة، وإنما الذي كان يشغلني ويقلقني كلمات ابنتي الصغيرة.. وأقيمت الصلاة.. وكبر الإمام وقرأ ما تيسر من القرآن وما أن سجد وسجدت خلفه ووضعت جبهتي على الأرض حتى انفجرت ببكاء شديد لا أعلم له سبباً.. فهذه أول سجدة أسجدها لله ﷻ منذ سبع سنين.. كان ذلك البكاء فاتحة خير لي.. لقد خرج مع ذلك البكاء كل ما في قلبي من كفر ونفاق

وفساد، وأحسست بأن الإيمان بدأ يسري بداخلي.. بعد الصلاة جلست في المسجد قليلاً ثم رجعت إلى بيتي، فلم أذق طعم النوم حتى ذهبت إلى العمل.. فلما دخلت على صاحبي استغرب حضوري مبكراً.. فقد كنت لا أحضر إلا في ساعة متأخرة بسبب السهر طول الليل.. ولما سألني عن السبب أخبرته بالقصة فقال: احمد الله أن سخر لك هذه البنت الصغيرة التي أيقضتك من غفلتك، ولم تأتك منيتك وأنت على تلك الحال.. ولما حان وقت الظهر كنت مرهقاً، حيث لم أنم منذ وقت طويل، وطلبت من صاحبي أن يتسلم عملي، وعدت إلى البيت لأنال قسطاً من الراحة، وأنا في شوق لرؤية ابنتي الصغيرة التي كانت سبباً – بعد الله –في هدايتي ورجوعي إلى الله.. دخلت البيت فاستقبلتني زوجتي وهي تبكي.. فقلت لها مالك. فقالت: ماتت ابنتك.. لم أتمالك نفسي من هول الصدمة، وانفجرت بالبكاء طويلاً.. وبعد أن هدأت نفسي تذكرت أن ما حدث لي ما هو إلا ابتلاء من الله ﷻ ليختبر إيماني، فحمدت الله ﷻ ورفعت سماعة الهاتف واتصلت بصاحبي، وطلبت منه الحضور لمساعدتي.. حضر صاحبي وأخذ الطفلة وغسلها وكفنها، وصلينا عليها ثم ذهبنا إلى المقبرة، فقال لي صاحبي لا يليق أن يدخلها في القبر غيرك.. فحملتها والدموع تملأ عيني ووضعتها في اللحد.. أنا لم أدفن ابنتي وإنما دفنت النور الذي أضاء لي الطريق في هذه الحياة.. فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلها لي ستراً من النار، وأن يجزي زوجتي المؤمنة الصابرة خير الجزاء. انتهت القصة !!

نموت وننسى غير أن ذنوبنا … إذا نحن متنا لا تموت ولا تنسى

***

فما الدنيا بباقية لحي … وما حي على الدنيا بباق

***

اليوم تفعل ما تشاء وتشتهي … وغداً تموت وترفع الأقلام

واعلم أن الأنفاس تعد، والرحال تشد، والعارية ترد، والتراب من بعد ذلك ينتظر الخد، وعلى أثر من سلف يمشي من خلف، وما عقبى الباقي غير اللحاق بالماضي، وما ثم إلا أمل مكذوب وأجل مكتوب، فعيب أن تمضي أيّام المسكين ولياليه وهو يرتع في ملذاته وشهواته، غير عابىء بحلال أو حرام ودون تمييز بين طيّب وخبيث، فيُسيء إلى نفسه ويبخسها حقّها إذ يُضيع طاقتها على العمل النّافع خاصة الجهد للدين.

بل كيف تضيّع أوقات وأعمار الآخرين في القنوات والمسلسلات وصفحات الانترنت المشبوهة، والمجلات الماجنة والأغنيات والمعاكسات والتبرج والسفور والسفر إلى بلاد الكفر والعياذ بالله، أو في الورقِ والغيبة والنّميمة والكرة وغير ذلك فيما يضر ولا ينفع، وفيما يفسد ولا يُصلح .

فعليك أخي بما يلي:

١ - الإيمان الصادق.

٢- مراقبة الله وإشعار القلب بعظمته.

٣- المحافظة على الصلوات.

٤ -تلاوة القرآن وتدبره ودراسته والعمل به.

٥- تذكر اليوم الآخر وما فيه من حساب وعقاب و موت وقبر و قيامة و جنة ونار.

٦ -زيارة المقابر والتفكر في أحوالها وأهلها.

٧- مجالسة الصالحين و مجانبة المفسدين.

٨- حضور مجالس العلم والذكر والوعظ.

٩- قراءة أخبار السلف الصالح وسيرهم.

١٠- سماع الأشرطة النافعة والكتب المفيدة.

١١- الإلحاح والإكثار من الدعاء والاستمرار فيه واللجوء إلى الله أن يعينك على ذكره وشكره وحسن عبادته.

نداء أوجهه للشباب الملتزم فأقول:

القدوة.. ياشباب الصحوة ![1].

حينما يتعلق الشاب الملتزم بالمباريات الرياضية ويتعصب لها، ويجاهر بشغفه بنجوم الملاعب الدولية يقال: القدوة.. ياشباب الصحوة !.

حينما يعتاد بعض شباب الصحوة التأخر عن الركعة الأولى من صلاة الفجر والعصر أو يتأخرون عن الحضور لصلاة الجمعة يقال: القدوة.. ياشباب الصحوة!.

حينما يلحظ العامة منافسة بعض الصالحين للشباب الضائع في الاهتمام الزائد بالمظهر الزائف والكماليات المترفة وركوب موضة نغمات (الهاتف النقال) ونحوها، يقال: القدوة.. ياشباب الصحوة !.

حينما يجلس الشاب الملتزم أمام شاشة التلفاز يراقب المذيعة المتبرجة تنقل الأخبار ويتساهل في ذلك، يقال: القدوة.. ياشباب الصحوة !.

حينما يتساهل بعض الملتزمين في التأخر عن المواعيد أو يماطلون في سداد الديون، يقال: القدوة.. ياشباب الصحوة !.

حينما يغرق بعض الصالحين في المزاح والصخب في الأماكن العامة ويحصل من ذلك الإزعاج للآخرين ومضايقتهم، يقال: القدوة.. ياشباب الصحوة !.

حينما يدمن بعض الشباب الملتزم متابعة المسلسلات الهزلية المضحكة في شهر رمضان ويجاهرون بذلك أمام أهليهم، ويسهرون حتى الفجر ثم ينامون، وتفوتهم صلاة الظهر جماعة، يقال: القدوة.. ياشباب الصحوة !.

حينما يجلس شاباً ملتزماً يغتاب ويشتم ويتهجم على الآخرين أو يسخر من كلامهم وأفكارهم، يقال: القدوة.. ياشباب الصحوة !.

---

(١) يسألونك عن القدوة لعادل العبد العالي (٤٢-٤٣).

حينما يرى الناس الصالحين يترخصون في الدخول في الأماكن المختلطة أو الجلوس في المطاعم التي تضج بالمعازف، يقال: القدوة.. ياشباب الصحوة !.

حينما يتساهل الشاب الملتزم فلا يُلزم زوجته بالحجاب الشرعي، ويترك بناته يلبسن القصير أو الضيق، يقال: القدوة.. ياشباب الصحوة !.

حينما يسافر الشاب الملتزم بأهله إلى بلاد الكفار، أو يدخلهم في أماكن الملاهي والمنكرات، يقال: القدوة.. ياشباب الصحوة !.

حينما يبذر بعض الصالحين في حفلاتهم، فيكثرون من الولائم ويسرفون في مظاهر الترف، يقال: القدوة.. ياشباب الصحوة !. » أ.هـ

ليس عيباً أن نرى أخطاءنا، عيبنا الأكبر أن نبقى نعاب.

لتكن ذا همة وعزيمة وفأل كبير، ولا تتقاعس عن أن تكون قدوة صالحة بحجة أنك وقعت فيها أو في بعضها.

ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

هذا ما أرجوه منك أخي الشاب الملتزم.

وأنت أختي المسلمة إليك:

سؤال وجواب:

س/ ما هي صفات الفتاة والمرأة المسلمة ؟

جـ/ من صفاتها:

عقيدتها: على منهج أهل السنة والجماعة.

ومنهجها: قال الله وقال رسول الله ﷺ.

وخلقها: الخلق الإسلامي الفاضل.

أدبها: الحياء والعفة والطهارة والحجاب.

قدوتها: أمهات المؤمنين والصحابيات والنساء الصالحات.

محبتها: لله ولرسوله ولمن التزمت بدين الله تعالى.

خلوتها : تذكر للدار الآخرة وعمل تقدمه لظلمة القبور وضيق اللحود.

صديقتها: كل مسلمة ومؤمنة ملتزمة بدين الله تعالى.

بغضها : لليهود والنصارى والمنافقين والعلمانيين ودعاة تحرير المرأة.

عدوها: كل أغنية وطرب وكل مجلة تنشر الصور الخليعة والأفكار السقيمة، وكل مسلسلة وفلم في الحب والغرام والتيه والضلال، وكل امرأة متبرجة، وكل ما يغضب ربها.

حرصها: على التوبة الصادقة بشروطها فإن الله غفور رحيم.

همها: العمل للدين ونشره بين العالمين .

شعرها: الشعر الإسلامي الفياض لا شعر الحداثة الرقيع.

زواجها: إسلامي خال من المغنيات والرقص والنصة ولا تذهب للكوافيرة.

إجازتها: تقضيها في العلم النافع وحفظ شيء من القرآن والترويح المباح، ولا تسافر للخارج لما في ذلك من المفاسد الكثيرة.

لهوها: بالمباح فإن النفوس تمل.

نزهتها: للتأمل والتفكر والتدبر والترويح عن النفس.

وقولي أيتها الأخت المسلمة:

لست ممن تأسر الحلي صباها	فكنوزي قلائد القرآن
وحجاب الإسلام فوق جبيني	هو عندي أبهى من التيجان
لست أبغي من الحياة قصوراً	فقصوري في الخالدات الجنان

أخي وأخيتي:

لا سعادة بل لا حياة حقيقية إلا بسلامة العقيدة والمنهج.

وأزف إليك أخي قواعد السعادة السبعة:

(١) ارتبط بالله ولا تقلق أبدا.

(٢) توقع خيرا مهما كثر البلاء.

(٣) أعط كثيرا ولو حرمت.

(٤) عش في بساطة مهما علا شأنك .

(٥) ابتسم و لو أن القلب يقطر دما، فمفتاح القلوب القاسية بسط النفس ولين الجانب وبشاشة الوجه، وإذا أردت المحبة فالزم الابتسامة .

(٦) لا تكره أحدا مهما أخطأ في حقك.

(٧) لا تقطع دعاءك لأخيك بظهر الغيب وإن قطعك وهجرك.

العمل للدين:

أيها الابن المبارك الحبيب النجيب يا أمل الأمة ويا سليل المجد ويا حفيد العز ليكفك من الدنيا نعمة الإسلام ومن الشغل الطاعة ومن العبرة الموت. أحضر معي قلبك وأشغل فكرك وأعرني سمعك.

أيها الشاب المسلم: وأنت مسلم لا تحتقر نفسك ولا تقلل من شأنك، ولا تقل من أنا؟ أنت مسلم عزيز كريم عظيم عند الله، يقول الصحابي الجليل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: (**ما أطيبك وما أطيب ريحك؟ وما أعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم حرمة منك ماله ودمه وأن لا تظن به إلا خيراً**) ويقول: (**لأن تهدم الكعبة حجراً حجراً أهون عند الله من إراقة دم مسلم**) ويقول: (**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مسلم**)[1] ، ويقول: (**لو أن أهل السماء**

---

(١) الترمذي (١٣٩٥).

والأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار)[1] ، ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

ولا تقل ماذا أقدم لديني ؟ كيف أخدم أمتي ؟ ما هو دوري ووظيفتي في هذه الحياة؟ كيف أحظى بالسعادة وما هو دربها ؟.

أيها المسلم ماذا تنتظر ؟.. قلها وأسمعها الدنيا.. أنا مؤمن لله حياتي كلماتي حركاتي سكناتي خفقان قلبي جريان الدم في عروقي.أعلنها بصراحة مجلجلة وبصيحات مدوية تهز الوجدان وتعطر الآذان وتبعث في القلب الإيمان قل واصدح واصدع واصرخ:

أنا مسلم أبغي الحياة وسيلة ... للغاية العظمى وللميعاد

لرضا الإله وأن نعيش أعزة ... ونعد للأخرى عظيم الزاد

أنا مسلم أسعى لإنقاذ الورى ... للنور للإيمان للإسعاد

نعم:

يا مسلماً تدعي الإسلام مجاناً ... هلا أقمت على دعواك برهاناً

وأكثر من ذكر مولاك قال عز من قائل سبحانه: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ۞ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٤٢-٤٣]. ولله در القائل حينما قال: «لا يغفول يا جهول لو سمعت صرير الأقلام وهي تكتب اسمك عند ذكرك لمولاك لمت شوقاً إلى ربك».

يقول أحدهم: خرجتُ ذات يوم..وفي إحدى الطرق الفرعية الهادئة قابلني شاب يركب سيارة صغيرة لم يراني لأنه كان مشغولا بملاحقة بعض الفتيات في تلك الطريق الخالية من المارة..كنت مسرعاً فتجاوزته..فلما سرت غير بعيد قلت في نفسي أأعود فأنصح ذلك الشاب؟أم أمضي وأدعه يفعل ما يشاء؟.. وبعد صراع داخلي دام عدة ثواني

---

(١) الترمذي (١٣٩٨) زوائد تاريخ بغداد للأحدب (٨/ ١٧٤٣).

فقط اخترت الأمر الأول..عدت ثانية فإذا به قد أوقف سيارته وهو ينظر إليهن..ينتظر منهن نظرة أو التفاتة..فدخلن في أحد البيوت.

أوقفت سيارتي بجوار سيارته.. ونزلت واتجهت إليه سلمت عليه أولاً ثم نصحته.. فكان مما قلته له تخيل أن هؤلاء الفتيات أخواتك أو بناتك أو قريبتك، فهل ترضى لأحد من الناس أن يلاحقهن أو يؤذيهن ؟.. كنت أتحدث إليه وأنا أشعر بشيء من الخوف.. فقد كان شاباً ضخماً ممتلئ الجسم، كان يستمع إلي وهو مطرق الرأس لا يتكلم..وفجأة التفت إلي فإذا دمعة قد سالت على خده فاستبشرت خيراً.. وكان ذلك دافعاً لمواصلة النصيحة.. لقد زال الخوف مني تماماً فشددت عليه في الحديث حتى رأيت أني قد أبلغت في النصيحة.. ثم ودعته.. لكنه استوقفني وطلب مني رقم هاتفي وعنواني.. وأخبرني أنه يعيش فراغاً نفسياً قاتلاً.. فكتبت له ما أراد.. وبعد أيام جاءني في البيت.. لقد تغير وجهه، وتبدلت ملامحه، فقد أطلق لحيته وشع نور الإيمان في وجهه جلست معه.. فجعل يحدثني عن تلك الأيام التي قضاها في التسكع في الشوارع والطرقات وإيذاء المسلمين والمسلمات، فأخذت أسليه وأخبرته بأن الله سبحانه وتعالى واسع المغفرة، وتلوت عليه قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] فانفرجت أسارير وجهه واستبشر.. ثم ودعني وطلب مني أن أزوره.. فهو في حاجة إلى من يساعده على السير في الطريق المستقيم.. فواعدته بالزيارة.. فمضت الأيام وجعلت أُسوف في الزيارة.. ولما وجدت فرصة ذهبت إليه وطرقت الباب.. فإذا بشيخ كبير يفتح الباب وقد ظهرت عليه آثار الحزن والأسى.. إنه والده.. سألته عن صاحبي.. أطرق برأسه إلى الأرض.. وصمت برهة ثم قال بصوت خافت: يرحمه الله ويغفر له.. لقد مات.. ثم استطرد قائلاً: حقاً إن الأعمال بالخواتيم.. ثم أخذ يحدثني عن حاله وكيف أنه كان مفرطاً في جنب الله.. بعيداً عن طاعة الله..فمنَّ الله عليه بالهداية قبل موته بأيام.. لقد تداركه

الله برحمته قبل فوات الأوان.. فلما فرغ من حديثه..عزيته ومضيت، وقد عاهدتُ الله أن أبذل النصيحة لكل مسلم.

يا مسلم تواضع للغافلين اللاهين وادعهم إلى ربك لا تترفع عنهم، لم الترفع والاستطالة والتبختر على الآخرين وإن كانوا عصاة أنسيت أنك ربما كنت مثلهم بل ربما أعظم فمن الله عليك فهداك ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٤]، فاحمد الله واشكره وتواضع ولا تزهو بنفسك وتذكر قول مولاك : ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾، وقوله: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧].

فاللائق بمن يرى ويسمع أحوال هؤلاء الشباب الضائع التائه أن يشتد بكاؤه ويعظم خوفه على دينه – لا أن يتبختر ويزهو بنفسه ويترفع على إخوانه –.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

واجعل لقلبك مقلتين كلاهما ... من خشية الرحمن باكيتان

لو شاء ربك كنت أيضاً مثلهم ... فالقلب بين أصابع الرحمن

وإذا أعجب المرء بنفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه فحينئذ هلك فقل لمن صد وعن طاعة الله ند ممن ضاع وتاه – بابتسامة ولين ورفق وبشاشة وطلاقة وجه: أخي الشاب لتودع حياة الشقاء والضياع والهم والغم أقبل إلى طاعة الله إلى نعمة الهداية إلى الإيمان بالله ولذة الطاعة فالطاعة لها حلاوة ومذاق وطعم ولذة لا تعدلها أي لذة، يقول بعض السلف: «لو تعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من لذة لجالدونا عليها بالسيوف».

شريعة الله للإصلاح عنوان ... وكل شيء سوى الإسلام خسران

لما تركنا الهدى حلت بنا محن ... وهاج للظلم والإفساد طوفان

تاريخنا من رسول الله مبدؤه ... وما عداه فلا عز ولا شان

قرآننا مشعل يهدي إلى سبل   من حاد عن نهجها لاشك خسران
قد ارتضيناه حكما لا نبدله   ما دام ينبض فينا منه شريان

نعم لا علاج لما تعانيه الأمم من ضياع وحيرة وشقاء وضنك وتعاسة وخوف وغيرها مما يئن ويضج ويصيح ويصرخ العالم منه، لا علاج ولا حل ولا مخرج.. من ذلك كله إلا بدين الإسلام بل لا بديل سوى دين الله نعم دين الله ضرورة ملحة وفطرة فطر الله الخلق عليها، وهي ضرورة كضرورة الضوء للعينين، والهواء للرئتين، والروح للجسد لا غناء عنه فيامن يبحث عن التقدم والرقي والتطور والتحضر وأنت بعيد عن دين الله ظاناً أن ذلك عين السعادة. أقبل إلى دين الله الذي يمثل أكرم صلة بين الخالق والمخلوق. وينظم أوثق علاقة بين السماء والأرض كيف ذلك.

ذلك لأن أشرف ما في الأرض الإنسان، وأشرف ما في الإنسان قلبه، وأشرف ما في قلبه الإيمان بالله خالق الوجود وواهب الحياة سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨].

نعم ففي الإيمان راحة البدن... وقوة القلب... وطيب النفس... ونعيم الفؤاد... وانشراح الصدر... وقلة الهم والغم والحزن... وعزُّ المكانة... وصون نور القلب... ونضرة في الوجه... ومهابة في قلوب العباد... وزوال الوحشة... وقرب الملائكة... وبُعد الشياطين... وذوق حلاوة الطاعة... وطعم حلاوة الإيمان وهكذا فضائل الدنيا وعظيم فضائل الآخرة.

فاشكر مولاك بالعمل للدين، اعمل للدين اعمل للدين اعمل للدين أخي المسلم ليكن همك كيف يظهر هذا الدين وضاعف جهدك، واجعل كل وقتك في الدعوة إلى هذا الدين تسعد واحذر الفتور والتفريط والكسل، في هذا الأمر يقول أحد السلف «العمل للدين شكر لله » فمن أعطى الدين والدعوة إلى الله حثالة أوقاته والقليل من همه فكبر

عليه أربعاً، وقل للفاترين ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤]، فسابق ونافس وأتعب من بعدك في خدمة هذا الدين الذي لا وجود لك إلا به.

أقول: كم يسعد المرء في آخر لحظات العمر أن ينظر وراءه نظرة سريعة فيرى حياة مباركة مليئة بالأعمال الخيِّرة حافلة بالصالحات، ويرى رجالاً تربُّوا على يديه فأصبحوا مشاعل هداية ودعاة حق.

إذا أراد الدعاة أن يعرفوا مدى نجاحهم وتوفيقهم فليتصوروا أنفسهم في آخر لحظات الحياة، وليتأملوا كيف يكون حالهم، أيكونون سعداء عند ذاك أم أشقياء، كثيرون هم الذين يخدعون أنفسهم في الحياة، ويظنون أنهم على جادة الصواب، ويخدعهم الناس بثنائهم عليهم إذ يوهمونهم بذلك أنهم في الصدارة. ولكن عند لقاء الله ينكشف الغطاء ويعلم الناس الحقيقة ويندمون على إضاعة الحياة فيما لا يجدي، وقليل أولئك الذين يفرحون وهم ينظرون وراءهم فتطالعهم أعمالهم الخيرة وينتظرونها أمامهم ويشتاقون إلى لقاء الله راغبين فيما عنده ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٠: ٣٣].

ستبدو لكم في مضمر القلب والمشاعر ... سريرة حب يوم تبدو السرائر

ما أحوج الأمة في بذل كل الجهد للعمل للدين، خاصة في زمن لسان حالها يقول:

كنا عظاما فصرنا عظاما ... وكنا نقوت فها نحن قوت

متى نتفرغ لإصلاح القلوب ومحو الذنوب، وستر العيوب ومعاملة علام الغيوب.

المسلم يتيقن القدوم على الله والوقوف بين يدي الله وسؤاله عما له وعليه ولقاؤنا مع نبينا ﷺ على الحوض.

لا تقل: من أين أبدأ طاعة الله البداية. لا تقل: أين طريقي شرع الله الهداية. لا تقل: أين نعيمي جنة الله كفاية. لا تقل: غدا سأبدأ !! ربما تأتي النهاية. واعلم أن الله يراقبك ويراك وما الله بغافل عما تعمل !!والحساب يوم الحساب ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]. فارتبط بالله ولا تقلق أبدا، وجد في هذا الأمر وسارع إلى التوبة فيما مضى من تقصيرك في دينك فيما مضى من العمر، فليس للعبد مستراح إلا في الجنة تحت شجرة طوبى، ولا للمحب قرار إلا يوم المزيد يوم تقر عينه برؤية الله. وهب من الغفلة واعلم أن خير أيامك وأسعدها يوم العودة إلى الله ﷻ، فاصدق في ذلك السير والله ما عمرك من أول يوم ولدت، بل عمرك من أول يوم عرفت الله تعالى فيه.

أخي رعاك الله..

الإنسان قد يولد مرة واحدة وقد يولد مرتين..نعم يولد مرتين:

أما الميلاد الأول: فهو يوم يخرج من ظلمات رحِم أمه إلى نور الدنيا، ذلك ميلاد يشترك فيه كل البشر المسلمون والكفار، الأبرار والفجار بل وتشترك فيه الحيوانات أيضاً.

أما الميلاد الثاني: فهو يوم يخرج من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة، هذا الميلاد خاص بمن وفقه الله من البشر لطريق الهداية ومسلك الاستقامة. وقد صور الله عز وجل هذا الميلاد بقوله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٢]. إنه ميلاد لا يتقيد بعمر.. فقد تولد في أي عمر..وهنيئا لك إن لم يسبق الموت ميلادك هذا.

وفي قصة كعب بن مالك وتوبة الله عليه دليل على أن خير أيام العبد على الإطلاق وأفضلها يوم توبته لقول النبي ﷺ: (أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك)[1].

أسأل الله أن نكون ممن يهنأ بذلك اليوم.

(١) البخاري ومسلم.

حقيقة لا بد من التوقف عندها وتأملها :

يقول ابن القيم رحمه الله: «وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، فما كان وقته لله وبالله فهو حياته وعمره وغير ذلك ليس محسوباً من حياته، وإن عاش فعيشته عيشة البهائم فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأماني الباطلة وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة فموت هذا خير له من حياته. إن الليل والنهار رأس مال المؤمن ربحها الجنة وخسارتها النار».

أخي المسلم في قوله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]. تلك الحقيقة هي أن المسلم ليس له حق التصرف في شيء من أمر نفسه، بل وقف لله ولدعوته والجهاد في سبيله، فكل شعرة فيه، بل كل حاسة من حواسه، وعضو من أعضائه، بل كل نعمة أنعمها الله عليه أو موهبة يجب أن تصرف في الوجه الذي يحبه الله ، ومن هذه النعم الكثيرة التي أنعم الله على عباده بل أجلها، نعمة الوقت والفراغ، الذي هو أغلى من أي شيء، فالوقت هو حياته، فعلى العاقل أن يعطي كل لحظة حقها بستفيدها أو خير يفعله، فالواجبات أكثر من الأوقات، فاحرص على أوقاتك ولا تصرفها إلا في الجد، ولا يلهينك الناس عن ذات نفسك فإن الأمر يخلص إليك دونهم، ولا تقطع نهارك بِكَيْت وَكَيْت فإنه محفوظ عليك ما قلت وما عملت، فليس الزمان خطاً ممتداً إلى غير نهاية وغاية، ولا هو بمقياس الليل والنهار خلود دائم.

قال شوقي:

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق وثوان

يقول الحسن البصري رحمه الله: «ما من يوم ينشق فجره إلا وينادى: يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود منّي فإني إذا مضيت لا أعود إلا يوم القيامة».

يقول الحسن البصري رحمه الله: «أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم، وكانوا يقولون: من علامة المقت إضاعة الوقت».

وكانوا يحرصون كل الحرص على ألا يمر يوم أو بعض يوم أو برهة من الزمان وإن قصرت دون أن يتزودوا منها بعلم نافع أو عمل صالح، أو مجاهدة للنفس، أو إسداء نفع للغير، حتى لا تتسرب الأعمار سدى، وتضيع هباء وتذهب جفاء وهم لا يشعرون.

قال الشاعر:

إذا مرَّ بي يوم ولم أقتبس هدى ولم أستفد علماً فما ذاك من عمري

واستغل لحظات عمرك فيما يقربك لمولاك، قال ابن مسعود: (ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه نقص أجلي ولم يزد فيه عملي).

ورد عن أبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي أنه قال: «إنه لا يحلّ لي أن أضيع ساعة من عمري، وإن أجلّ تحصيل عند العقلاء بإجماع العلماء هو الوقت، فهو غنيمة تُنتهز فيه الفرص، فالتكاليف كثيرة».

والمؤمن إذا لم يكن حاضره خيراً من أمسه، وغده خيراً من حاضره، فهو على خطر عظيم، فالمؤمن يرتقي من حسن إلى أحسن، ومن هام إلى مهم إلى أهم.

فالوقت رأس مال العبد، وأنفاسه المعدودة خطاه إلى قبره، فإن ضيع وقته في غير ما يحب الله، كان ندمه شديداً وحسرته عظيمة؛ لأَنَّ ما فات لا يمكن أن يرجع ويعود.

ويوم القيامة لا يتحسَّر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة فاتت عليهم ولم يذكروا الله فيها، ومجالس الدنيا الخالية من ذكر الله والصلاة والسلام على نبيه تكون حسرة على أصحابها يوم القيامة، والكيس هو الذي يعرف أهمية الوقت، وأنه من أجلَ النعم؛ لكي يجتهد في شكرها، والإنسان يقطع منذ ولادته وحتى مماته رحلة تسمى: العمر أو الزمن أو الوقت، الذي اختصه الله بصفات وخصائص ليست في بقية الأشياء.

ولو علم المسلم أهمية الوقت في حياته لسقاه لأبنائه مع اللبن منذ طفولتهم، لكي ينشأوا عليه ؛ لأن الجهل به إغراق وضياع وخسران للأُمة الإسلامية.

إذا كنت أعلم علماً يقيناً بأن جميع حياتي كساعة
فلم لا أكون ضنيناً بها وأجعلها في صلاح وطاعة

وقد كان السلف أحرص ما يكونون على أوقاتهم؛ لأنهم كانوا أعرف الناس بقيمتها، فالمسلم ابن وقته، يضرب في كل غنيمة بسهم، «مع المتعلمين متعلم، ومع الغزاة غاز، ومع المصلين مصل، ومع المتصدقين متصدق، وهكذا ينتقل في منازل العبودية من عبودية إلى عبودية، وهو مستقيم على معبود واحد لا ينتقل عنه إلى غيره».

ومن أعظم الأشياء ضرراً على العبد: بطالته وفراغه، فإن النفس لا تقعد فارغة، بل إن لم يشغلها بما ينفعها، شغلته بما يضره ولابد ،«وقد خلق الله النفس شبيهة بالرحى الدائرة التي لا تسكن، ولا بد لها من شيء تطحنه، فإن وُضع فيها حب طحنته، وإن وُضع فيها تراب أو حصى طحنته».

فالواجب علينا أن نهتم بأوقاتنا، وأن نعمرها بطاعة الله وأن نتقي الله في أوقات الفراغ والإجازات وغيرها، فلا نضيعها فيما يضر ولا ينفع، من سفر محرم أو نظر محرم أو قول محرم، أو لهو محرم، أو قتل للوقت ونحو ذلك .

وختاماً:

(فليبلغ الشاهد الغائب) وأسأل الله أن تكون هذه الكلمة تذكرة لي ولإخواني، ومانعة لنا بإذن الله من الانزلاق في مهاوٍ لا يعلم مداها إلا الله، مهاوٍ من الانحرافات والأهواء ومضلات الفتن.

يا أيها السني خذ بوصيتي ... واخصص بذلك جملةَ الإخوان

وإليك أربع رسائل مهمة ضمنتها هذا المؤلف لكي تتم الفائدة المرجوة ويعم النفع: سائلا المولى عز وجل الهدى والرشاد.

[١] الرسالة الأولى : أما آن ان نعود يا شباب الأمة:

يا شباب الحق أدعوكم وفي قلبي لهيب ... أمة تشكو الأسى والمسجد الأقصى

كيف قلبٌ مسلم لله بالذل يطيب ... يا شباب الحق هُبّوا ليس يجدينا النحيب

شباب الأمة (رجالاً ونساء) أنتم الأمل بإذن الله ونحن نعلم أن فيكم الخير العظيم والنخوة والشهامة والغيرة على دماء المسلمين وأعراضهم.. ولكنكم أُلهِيتُم وضُيِّعتُم بما وُجِّهَ إليكم من إفساد وتضييع وإلهاء يَقُوده أعداء الدين ويُنَفذه بعض أبناء المسلمين، فأنتم أحد ضحايا هؤلاء، وحسبنا الله ونِعْمَ الوكيل .

مؤامرةٌ تدور على الشباب ... ليُعرِض عن معانقة الحراب

مؤامرةٌ تقول لهم تعالوا ... إلى الشهوات في ظل الشراب

مؤامرةٌ مَرامِيها عِظامٌ ... تُدَبِّرُها شياطين الخراب

وإن كان وجود هذا العامل ليس عذراً، فكل إنسان مسؤول عن أن يبعد نفسه عن كل مالا يرضي الله عز وجل وأن يبادر لمرضاته .

قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٣-١٤].

استشعـــروا يا شبابنا دائماً (لا في لحظات عابرة فقط) مـا تعيشه الأمـة مـن ذلٍ وهـوانٍ وواقعٍ مبكٍ وحالٍ مُرٍ يُعتبر أسـوأ حـالٍ مَرَّ عليهـا على مـدى تاريخهـا، واستشعـروا ولا تنسوا المذابح والمحـن والآلام العظيمـة الرهيبـة المبـكية التـي يتعـرض لهـا إخـوانكم وأخـواتكم بل وحتى أطفالهـم!!وفي شتـى بقاع العالم !!!

والأهم الأهم.. استشعروا أنكم بتأخيركم التوبة والعودة وبذل الجهد للدعـوة تكونون سبباً في تأخر نصر أمتكم وتأخيـر إنقاذ إخوانكم وأخواتكم المُذَبَّحِين!!! لأن الله وعدنا بتحقيق العزة والنصر إذا قمنا بتنفيذ أوامره والتزمنا بشرعه، قال تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

استمعوا يا شبابنا بقلوب مُصْغِيَة خاشعة وَجِلَة خاضعة لهذا النداء الرباني العظيم من خالقكم رب العالمين سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

تذكـروا أيها الشباب المؤمن بـالله ولقائـه.. المـوت وسـكراته، والقـبر ونعيمـه وعذابـه، وتذكروا القيامة وأهوالها، والعرض وشدته، وتذكروا الوقـوف بين يدي الله في ذلك اليوم العظيم .

قال ﷺ: (**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه،فاتقوا النار ولو بشق تمرة**) [١].

وتذكـــروا في كـل لحظـة تعيشونها أن الله العظيم الجبـار الـذي يـسبح الرعـد بحمـده والملائكة من خيفته يراكم ومُطَّلِعٌ عليكم، فـــلا تجعلـوا الخـالق ذا العـزة والجـلال الكبير

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

المتعال الذي يسبحه كل الكون والذي الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه أَهْـوَنَ الناظرين إليكم !!!

قال رسول الله ﷺ: (**إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً..**) الحديث[1].

اعلمـوا يا شباب الإسلام أن سعادة الدنيا والآخرة في سلوك طريق الاستقامة والدعوة إلى الله، وحتى سعادة الدنيا الحقيقية التامة التي يلهث كثير من الناس وراءها وخاصة الشباب ليست إلا في طريق العودة إلى الله، واقرؤوا كتيبات (العائدون إلى الله) لتروا بأنفسكم كيف كان أثر التوبة على حياتهم، إلى حد أن بعضهم يقولون بصدق: «نحن ولـدنا من جديد وعمرنا الحقيقي نحسبه من بداية عودتنا إلى الله».

وتأملوا أحبتنا بعض كلماتهم الرائعة التي سطَّـروها بأقلامهم، ومن الجميل في كلمات بعضهم أنها توضح اتجاههم بجدٍ للدعوة بعد صلاحهم.

(عـودة ودعـوة) :

(أ) «وعزمت على التوبة النصوح والاستقامة على دين الله، وأن أكون داعيـة خيرٍ بعد أن كنت داعية شرٍ وفساد.. وفي ختام حديثي أوجهها نصيحة صادقة لجميع الشباب فأقول: يـا شباب الإسلام لـن تجِـدوا السعادة في السفر ولا في المخدرات والتفحيط، لن تجدوها أو تشموا رائحتها إلا فـي الالتزام والاستقامة.. في خدمة دين الله.. فـي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

ماذا قدمتـم يا أحبة للإسلام؟ أين آثاركم؟ أهذه رسالتكم؟

شـباب الجيـل للإسـلام عـودوا ... فـأنتم رُوحُـهُ وبكـم يَـسُود
وأنتـم سِـرُّ نهـضتِهِ قديمـاً ... وأنـتم فَجْـرُهُ الزاهـي الجديـد

---

(١) رواه الترمذي.

(من شباب التفحيط سابقاً).

(ب) «فخرجت من البيت إلى المسجد ومنذ ذلك اليوم وأنا - ولله الحمد - ملتزم ببيوت الله لا أفارقها، وأصبحت حريصاً على حضور الندوات والدروس التي تقام في المساجد، وأحمد الله أن هداني إلى طريق السعادة الحقيقية والحياة الحقة» [الشاب ح.م.ج].

(جـ) «كما أصبحت بعد الالتزام أشعر بسعادة تغمر قلبي فأقول: بأنه يستحيل أن يكون هناك إنسان أقل مني التزاماً أن يكون أسعد مني، ولو كانت الدنيا بين عينيه، ولو كان من أغنى الناس.. فأكثر ما ساعدني على الثبات بعد توفيق الله هو إلقائي للدروس في المصلى، بالإضافة إلى قراءتي عن الجنة بأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من اللباس والزينة والأسواق والزيارات بين الناس، وهذه من أحب الأشياء إلى قلبي، فكنت كلما أردت أن أشتري شيئاً من الملابس التي تزيد عن حاجتي أقول: ألبسها في الآخرة أفضل» [فتاة انتقلت من عالم الأزياء إلى كتب العلم والعقيدة].

(د) «وكلما رأيت نفسي تجنح لسوء أو شيء يغضب الله أتذكر على الفور جنة الخلد ونعيمها السرمدي الأبدي، و أتذكر لسعة النار فأفيق من غفلتي.. والحمد لله أني قد تخلصت من كل ما يغضب الله عز وجل من مجلات ساقطة وروايات ماجنة وقصص تافهة، أما أشرطة الغناء فقد سجلت عليها ما يرضى الله عز وجل من قرآن وحديث» [فتاة تائبة].

(هـ) «لقد أدركنا الحقيقة التي يجب أن يدركها الجميع وهي أن الإنسان مهما طال عمره فمصيره إلى القبر، ولا ينفعه في الآخرة إلا عمله الصالح» [الممثل محسن محي الدين وزوجته الممثلة نسرين].

(و) «لقد وُلدتُ تلك الليلة من جديد، وأصبحت مخلوقاً لا صلة له بالمخلوق السابق.. وأقبلت على تلاوة القرآن وسماع الأشرطة النافعة» [شاب تائب].

(ز) «أتمنى من الله وأدعوه أن يجعل مني قدوة صالحة في مجال الدعوة إليه، كما كنت من قبل قدوة لكثيرات في مجال الفن» [الممثلة التائبة شهيرة].

استبدلوا يا شبابنا ما شُغِلتُم به مما يضركم في حياتكم وأُخراكم بما يرضي الله ويجلب لكم الطمأنينة ويسعد وينقذ الأمة الذبيحة الجريحة المكلومة الذليلة، بل ويسعد بكم مستقبلاً العالم المتخبط بأسره؛ من سماع أشرطة الخير، وحضور للمحاضرات النافعة، وصحبة الصالحين، واجتهاد في الدعوة والإصلاح، وَبُعْدٍ عما يضر من وسائل الشر والفتنة أو الصحبة التي لا تعين على الحق وإرضاء الله .

شبابنا إننا نريد شباباً يشتاقون إلى الجنة كما اشتاق حرام بن ملحان ﷺ إليها؛ فظهر شوقه الصادق عندما غدر به الكفار فطعنوه بالرمح من خلفه فخرج من أمامه فما كان منه لما رأى الدم النازف إلا أن نَضَحَ منه على وجهه ورأسه وهو يقول: (فزت ورب الكعبة. .. فزت ورب الكعبة).

نريد شباباً يشتاق إلى عز الأمة ونصر الإسلام لا إلى الترهات التي يفرح بانشغالكم بها أعداء الله.

تُرى هل يَرْجِعُ الماضي فإني … أذوب لذلك الماضي حنيناً

نريد شباباً يتحدى أعداء الدين والمفسدين، ويقلب الطاولة عليهم، الطاولة التي قدموا لهم فيها السم محلاً بالعسل.

نحن صممنا وأقسمنا اليمين … أن نعيش ونموت مسلمين
مستقيمين على الحق المبين … مُتَحَدِّين ضلال المُبطِلين

نريد شباباً صادقاً يحترق لخدمة دينه ونشر الدعوة.

جَدِّدِ العهدَ واترك الوساد … بَلِّغِ الدعوةَ في كل البلادِ
طَفَحَ الكيلُ بظلمٍ في الورى … وسَرَى الكفر مُجِداً في العبادِ

وإليكم من القلب أيضاً هذه المجموعة من الأبيات الشعرية لمجموعة من شعراء الأمة الأفاضل الذين طالما خاطبوا الشباب أمل الأمة منتظرين استيقاظهم ودورهم الكبير.

أعيدوا مجدنا دنياً ودينا وذُودُوا عن تراث المسلمينا

فمن يَعْلُو لغير الله فينا ونحن بنو الدعاة الفاتحينا

***

شبابنا قد حان أن تعودوا لواحة الإيمان كي تسودوا

غداً بِكُم سَيُسعَدُ الوُجُودُ ويُكْبَتُ المستعبِدُ العنيدُ

وليكن شعاركم:

أنا مسلمٌ أبغي الحياةَ وسيلةً للغاية العُظمَى وللميعادِ

لِرِضا الإله وأن نعيش أعزةً وَنُعِدّ للأخرى عظيم الزادِ

أنا مسلمٌ أسعى لإنقاذ الورى للنور للإيمان للإسعادِ

ويرُوعُنِي هذا البلاء بالأمة لما تَخَلَّتْ عن طريق الهادي

وليكن همكم:

همنا نَمْضِي ونُعلِي راية القرآن همنا في الكون أن تَعْلُو ذرى الإيمان

همنا أن يَسعدَ الإنسان في كل مكان همنا أن تُسعدَ الدنيا بترديد الأذان

همنا يا إخوتي.. أن تَسُودَ أمتي أن تُرَى في القمةِ.. تحمل القرآن

همنا أن نقتدي.. بالرسول الأمجدِ كي نفوز في الغدِ.. في حِمَى الرحمن

فهل آن يا شباب أن نعود... ونطرح الران والذنوب.. ونكون دعاة إلى الحق والهدى؟؟

قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

بَنِي الإسلامِ قد آنَ لنَا أن نَطْرَحَ الرانَا ونُصبحَ للهُدى جُنداً وفي الإسلام إخوانَا
ونُحيي مجدنا الماضي ونُرْجِعَهُ كما كَانَا

بني الإسلام يا أحفاد عمارٍ وصفوانِ وزيدٍ وابن عوفٍ وابن عباسٍ وسلمانِ
على آثارهم سِيرُوا تكونوا خَير فِتيانِ

***

غداً يا إخوتي نحيا حياة جُدودِنا الصيدِ غداً سَنُحَرر الأقصى من الرجس المناكيدِ
غداً سُنرتل القرآنَ في روما ومدريدِ
شبابنا ننتظركم !! فلا تُخيِّبوا الآمال فيكم!!!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٢٤].

[٢] الرسالة الثانية: أنت من يؤخر النصر عن هذه الأمة:

بينما كنت مهموما أتابع أخبار المسلمين وما أصابهم من مصائب، خاطبتني نفسي قائلة: يا هذا، أنت من يؤخر النصر عن هذه الأمة، بل وأنت سبب رئيس في كل البلاء الذي نحن فيه !

قلت لها: أيا نفسي كيف ذاك وأنا عبد ضعيف لا أملك سلطة ولا قوة، لو أمرت المسلمين ما ائتمروا ولو نصحتهم ما انتصحوا. .

فقاطعتني مسرعة، إنها ذنوبك ومعاصيك التي كتبها ملك الشمال عليك، إنها معاصيك التي بارزت بها الله ليل نهار.. إنه زهدك عن الواجبات وحرصك على المحرمات. .

قلت لها: وماذا فعلت أنا حتى تلقين عليّ اللوم في تأخير النصر..

قالت: يا عبدالله والله لو جلست أعد لك ما تفعل الآن لمضى وقت طويل، فهل أنت ممن يصلون الفجر في جماعة؟

قلت: نعم أحيانا، ويفوتني في بعض المرات. .

قالت مقاطعة: هذا هو التناقض بعينه، كيف تدّعي قدرتك على الجهاد ضد عدوّك، وقد فشلت في جهاد نفسك أولا، في أمر لا يكلفك دما ولا مالا، لا يعدو كونه دقائق قليلة تبذلها في ركعتين مفروضتين من الله الواحد القهار..كيف تطلب الجهاد، وأنت الذي تخبّط في أداء الصلوات المفروضة، وضيّع السنن الراتبة، ولم يقرأ ورده من القرآن، ونسي أذكار الصباح والمساء، ولم يتحصّن بغض البصر، ولم يكن بارّا بوالديه، ولا واصلا لرحمه ؟

واستطردت: كيف تطلب تحكيم شريعة الله في بلادك، وأنت نفسك لم تحكمها في نفسك وبين أهل بيتك، فلم تتق الله فيهم، ولم تدعهم إلى الهدى، ولم تحرص على إطعامهم من حلال، وكنت من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، فكذبت وغششت وأخلفت الوعد فاستحققت الوعيد ..

قلت لها مقاطعا: ومال هذا وتأخير النصر؟ أيتأخر النصر في الأمة كلها بسبب واحد في المليار ؟

قالت: آه ثم آه ثم آه..

فقد استنسخت الدنيا مئات الملايين من أمثالك إلا من رحم الله.. كلهم ينتهجون نهجك فلا يعبئون بطاعة ولا يخافون معصية وتعلّل الجميع أنهم يطلبون النصر لأن بالأمة من هو أفضل منهم، لكن الحقيقة المؤلمة أن الجميع سواء إلا من رحم رب السماء..

أما علمت يا عبدالله أن الصحابة إذا استعجلوا النصر ولم يأتهم علموا أن بالجيش من أذنب ذنبا..

فما بالك بأمة واقعة في الذنوب من كبيرها إلى صغيرها ومن حقيرها إلى عظيمها – إلا من رحم ربك –.

ألا ترى ما يحيق بها في مشارق الأرض ومغاربها ؟

بدأت قطرات الدمع تنساب على وجهي، فلم أكن أتصوّر ولو ليوم واحد وأنا ذاك الرجل الذي أحببت الله ورسوله وأحببت الإسلام وأهله، قد أكون سببا من أسباب هزيمة المسلمين..

أنني قد أكون شريكا في أنهار الدماء المسلمة البريئة المنهمرة في كثير من بقاع الأرض. .

لقد كان من السهل عليّ إلقاء اللوم، على حاكم وأمير، وعلى مسؤول ووزير، لكنني لم أفكر في عيبي وخطئي أولا.. ولم أتدبّر قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، فقلت لنفسي: الحمد لله الذي جعل لي نفسا لوّامة، يقسم الله بمثلها في القرآن إلى يوم القيامة. .فبماذا تنصحين ؟

فقالت: ابدأ بنفسك، قم بالفروض فصل الصلوات الخمس في أوقاتها وادفع الزكاة وإياك وعقوق الوالدين، تحبّب إلى الله بالسنن، لا تترك فرصة تتقرّب فيها إلى الله ولو كانت صغيرة إلا وفعلتها، وتذكر أن تبسّمك في وجه أخيك صدقة، لا تدع إلى شيء وتأت بخلافه فلا تطالب بتطبيق الشريعة إلا إذا كنت مثالا حيا على تطبيقها في بيتك وعملك، ولا تطالب برفع راية الجهاد وأنت الذي فشل في جهاد نفسه، ولا تلق اللوم على الآخرين تهرّبا من المسؤولية، بل أصلح نفسك وسينصلح حال غيرك، كن قدوة في كل مكان تذهب فيه.. إذا كنت تمضي وقتك ناقدا عيوب الناس، فتوقّف جزاك الله خيرا فالنقّاد كثر وابدأ بإصلاح نفسك..

وبعدها اسأل الله بصدق أن يؤتيك النصر أنت ومن معك، وكل من سار على نهجك، فتكون ممن قال الله فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

واعلم أن كل معصية تعصي الله بها وكل طاعة تفرّط فيها هي دليل إدانة ضدّك في محكمة دماء المسلمين الأبرياء. .

فرفعت رأسي مستغفرا الله على ما كان مني ومسحت الدمع من على وجهي. وقلت يا رب.. إنها التوبة إليك.. لقد تبت إليك. .

ولنفتح صفحة حياة جديدة.. بدأتها بركعتين في جوف الليل.. أسأل الله أن يديم عليّ نعمتها. .

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

[٣] الرسالة الثالثة : رسالة دعوة إلى كل شاب:

الحمد لله الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

أما بعد: فمن الفقير إلى ربه أبي عبد الله معيلي الشمراني إلى كل شاب، إلى من ملّ السير في طريق الهلاك وطريق الغواية...، إلى من يريد السعادة...، إلى من يريد أن يتعرف على طريق الاستقامة...، إلى من تدعوه نفسه المطمئنة إلى الطاعة وتزين له نفسه الأمارة بالسوء الذنوب والمعاصي...، إلى من أسره الهوى، وتمكن من قياده الشيطان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فيا أخي الحبيب، كلمات صادقة، ودليل محبة، ولغة تواصل، وباقة ورد أنثرها بين يديك، راجياً من الله أن تمس حروفها شغاف قلبك، وأن تهز سطورها أركان فؤادك، فمنه - سبحانه - العون وعليه التكلان .

أخي العزيز: أشهد الله أنني أحبك في الله، ومصداقاً لذلك فهذه رسالة أبعثها إليك وأنا لك ناصح وعليك مشفق وحريص على سعادتك وهنائك في الدنيا والآخرة إن شاء الله.

أخي العزيز :قد سطرت إليك هذه الرسالة فأبى قلمي أن يكتبها إلا إذا عصرت على مداده لواعج الحسرات وسواكب العَبَرات، فأعطيته ذلك فها هو يكتب بليلاً، رقيقاً، ليهديك أخي هذه الكلمات .

أخي الحبيب: متّعني الله وإيّاك بالصحة وأسبغ علينا جلباب العافية، وأسدل علينا أستار طاعته ومحبته...، أخي بعد ما لم نستطع أن نجلس سوياً نتجاذب أطراف الحديث ونشكي هموم بعضنا لبعض، فإنني كتبت لك هذه الرسالة التي أملاها قلبي، وحملها إليك النصح والحرص على ما ينفعك، فأملي أخي فيك أن تفتح لها أبواب قلبك، وتضمّنها في سويدائه، فإن فعلت أخي فإنك أن شاء الله لن تعدم خيراً تجده فيها، أخي الحبيب والله العظيم لو كنت أملك الهداية والسعادة لبذلتها لك من أول وهلة، لكي أخرجك مما أنت فيه من الهموم والأحزان، والتعب والنصب والأرق، ولكنني أستطيع كغيري بإذن الله فعل السبب، من كلمة طيبة ونصح صادق وتوجيه وإرشاد فخذها من قلب محب، فهل قلب الحبيب يسمع؟!!.

أخي الحبيب: إنني أعرف فيك خيراً كثيراً، فاسمح لي أن آخذك بعيداً بمفردك عن طيش الشباب وشهوات النفس، بعيداً عن وسائل الفساد والضياع، بعيداً عن المعاصي والآثام، بعيداً عن المغنين والمغنيات، بعيداً عن التقليد الأعمى، بعيداً عن رفقاء السوء، بعيداً عن المضللين والمضلين والمخادعين، بعيداً عن كل المؤثرات والمنغصات.

أخي وصديقي: أريدك أن ترجع معي إلى الوراء قليلاً، فأنت تريد أن تكون سعيداً، مسروراً، فرحاً، مازحاً، تبتسم للصغير والكبير، تُداعب هذا وتمزح مع ذاك، تود أن تكون سعيداً مرتاح النفس والضمير والقلب، لا همّ ولا غم ولا ضيق ولا طفش.

أخي الحبيب: بعد ما عرفت وسمعت عنك كل هذا، أريد أن أخاطب قلبك الطيب، ونظراتك البريئة، وفطرة الخير فيك، نعم أريد أن أخاطب فيك الشاب البسيط الحيّ لألتقي معك لقاء لا يرتبط بالمادة، ولا بالمصلحة، ولا بالمجاملة، لقاء الأخ لأخيه الرحيم البار به، اسمعها مني كلمات وادعة، ومشاعر نابعة من القلب، فأرجو أن تكون هذه الرسالة لقاء القلب بالقلب، يعبر عنها اللسان ببيان رقيق جميل، وحس مرهف.

سؤال؟

أخي الحبيب: أريد أن أسألك سؤالاً وآمل أن تجيب عليه بكل صراحة بعد خشوع وتفكر وخضوع وهو:

أين الآباء والأجداد.. ! وأين الكثيرون من الأهل والأحباب؟ !! بل كيف تُجيب ربك يوم تقف بين يديه حافي القدمين، عاري الجسد، شاخص البصر، بل كيف تُجيب الملكان عندما يُحثا عليك التراب، ويفارقك الأهل والأصحاب، عندما تكون في ضيق اللحود! ومراتع الدود!، فلا أم تؤانسك ولا صديق يخاطبك ويمازحك؟

ستجد الجواب مصحوباً بدموع الحزن... وأزيز القلوب على الفراق، هم تحت طيات الثرى والتراب؟!! نعم هذا هو المآل... وهذا هو المصير... ؟؟ !

همسة:

أخي الحبيب: إذا كان الأمر كذلك :

فعلى صاحب البصر الناقد أن يتزود من نفسه لنفسه، ومن حياته لموته، ومن شبابه لهرمه، ومن صحته لمرضه. فما بعد الموت من عتاب، ولا بعد الدنيا سوى الجنة أو النار، فمن هنا فأنني أهمس في أذنك وأدعوك للانضمام لقوافل الخير التي تُضيء لك النور بإذن الله وتدلك على طريق الخير والفلاح والصلاح والنور، وتبعدك عن طريق الفساد، والشر، والضياع والظلام، والوحشة، والهم، والغم، إن شاء الله .!!!

وقفة:

أخي الحبيب :إذاً لا بد من وقفة صادقة مع النفس وقفة محاسبة ومساءلة، فوالله لتموتن كما تنام، ولتبعثن كما تستيقظ، ولتجزين بما تعمل، فجنة الخلد للمُطيعين، ونار جهنم للعاصين .

أخي الحبيب: من غفل عن نفسه تصرمت أوقاته، ثم اشتدت عليه حسراته، وأي حسرة على العبد أعظم من أن يكون عمره عليه حجة، وتقوده أيامه إلى المزيد من الردى

والشقاوة، واعلم أن الزمان وتقلباته أنصح المؤدبين، وأن الدهر بقوارعه أفصح المتكلمين، فانتبه بإيقاظه، واعتبر بألفاظه.

أخي الحبيب: من غرّه شبابه فنسي فقدان الأقران، وغفل عن سرعة المفاجآت، وتعلق بالآمال والأماني فما هي والله إلا أوهام الكسالى، وأفكار اللاهين وما الاعتماد عليها إلا بضائع المغبونين، ورؤوس أموال المفاليس،.... والتمني والتسويف إضاعة للحاضر والمستقبل .

إيَاك والتسويف:

أخي الحبيب :إنك الآن في مقتبل عمرك وفي سن الشباب والقوة والفراغ، وقد اغتر كثيرٌ من الشباب بهذا السن فقالوا: دعونا نمتع أنفسنا في شبابنا، وسوف نتدارك ذلك إذا تقدمت بنا السن ونسوا أن الموت يأتي في أي لحظة .

هل أكثر الشباب سعداء؟

أخي الحبيب :هل أكثر شبابنا اليوم سعداء؟ الجواب لا!! ولو تأملت في أحوال الكثير منهم لوجدتهم على حال سيئة، وإن رأيت منهم الابتسامة والضحكة؟! ولو سألت أحدهم: هل أنت سعيد في حياتك؟ وهل ضحكك ومزاحك مع الآخرين نابع من سعادة حقيقية؟!، لرد عليك بقوله: والله لولا ما أتناسى ما أنا فيه لرأيتني مرمياً على الأرض لا أستطيع الوقوف من ثقل ما أحمل من هموم الدنيا، نعم هذه الحقيقة...، وأي هموم يحملونها؟! هموم ماذا التي أثقلت عليه!!! هموم هذا الدين والدعوة إليه؟ أم هموم القدس وتدنيس اليهود لها؟! أم هموم الأمة الإسلامية وتكالب الأعداء عليها؟!... ولو سألته أين توجد السعادة؟ وهل بحثت عنها؟ لقال لك: لا سعادة في هذه الدنيا أبداً، ولقد بحثت عن السعادة في كل مكان ولم أجدها !!!

ولو سألته عن حاله وحال رفقائه الشباب لقال: صدور ضيقة، وأموال ضائعة، وتصرفات طائشة، وسهرات دائمة، وجلسات فارغة، ولا نعرف لنا قيمة ولا لحياتنا معنى ولا يقدرنا أحد، ونكره أنفسنا دائماً ونتمنى الموت من ضيق ما نحن فيه!!! لماذا هذا كله؟؟؟!!

لماذا شبابنا لم يجدوا السعادة؟

أخي الحبيب: أتعلم لماذا شبابنا لم يجدوا السعادة؟

لأنهم بحثوا عن السعادة في اللهو والطرب والسهر والدخان والمخدرات والمسلسلات وصفحات الإنترنت المشبوهة والمجلات الخليعة الماجنة و... ؟ فلم يجدوها! بحثوا عن السعادة في غير محلها، بحثوا عنها في المحرمات بشتى أنواعها فلم يجدوها ولن يجدوها ! ! لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، فهم بعيدين عن الله ويبحثون عن السعادة؟؟ فكيف يجدونها وقد هجروا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وفيهما السعادة والنجاة، نعم هذا هو حال شبابنا اليوم .

أخي الحبيب: ارجو الله أن لا نكون ممن ضيّع دربه وتاه في طريقه، ويا سبحان الله العظيم ما أبين الطريق، وما أوضح الدرب، وما أسعد الركب على سير الصحابة والسلف رضوان الله عنهم أجمعين .

أين توجد السعادة؟

أخي الحبيب: إذاً أين توجد السعادة؟ لكي نجيب على هذا السؤال اقرأ قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [ألنحل: ٩٧].

فاعلم رحمك الله أن السعادة الحقيقية هي السعادة الداخلية سعادة القلب وبهجته، وانشراح الصدر وسعته، ولن يكون هذا أبداً إلا في التقرب إلى الله والالتزام بتعاليم

دينه... ذلك الدين الذي تخلى عن صدق تطبيقه كثير من الشباب،.. وأملنا أن يعودوا لرحابه، ففيه كل الطمأنينة والفرح والسرورقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

أخي الحبيب: إذا أردت السعادة في الدنيا والآخرة فسوف تجدها بشرط أن تتبع أوامر الله ورسوله ﷺ، وطاعتها بدون اعتراض أو تردد، وإيّاك ومَنْ يصور لك هذا الدين بأوامره وتكاليفه أنها نوع من تقييد الحرية وحرمان من المتع الدنيوية، فهؤلاء لا يريدون لك إلاّ السعادة المزيفة والمتعة المؤقتة ثم تكون الحسرة في الدنيا والعذاب في الآخرة، نسأل الله العافية .

أخي الحبيب: إنني أدعوك مرة ثانية أن تسلك طريق الاستقامة والصلاح ففيها السعادة والفلاح، والحذر كل الحذر من رفقاء السوء، فلا تنغر بهم وتنحرف معهم، وعليك بالبحث عن الرفيق الصالح الذي يعينك على الاستقامة والسعادة والخير إن شاء الله، واعلم أن صلاحك في تقواك، وفوزك في قربك من الله تعالى، فاستعصم أخي بتقوى الله فهي خير حصن تحصنت به، أخي: أوَمَا تحب أن تكون في الدنيا من الهانئين السعداء، ويوم القيامة من الناجين الفرحين إن شاء الله!!. فإن أردت أخي ذلك فلتتق مولاك - تعالى - في كل صغيرة وكبيرة، وسوف تجد عاقبة ذلك برداً وسلاماً .

فكن يا أخي الحبيب من هؤلاء الشباب حتى تكون من السعداء:

شباب مؤمن بالله يمضي	وللإسلام يندفع اندفاعا
ويعلنُها بعزمٍ إن دَربي	إلى الجنَّات يا خُذُني سِراعاً
شبابٌ لم تُدنِّسه المعاصي	ولم تتركهُ في الدنّيا ضَياعا
أولئكَ هُم شبابٌ للمعالي	لقد بُعثِوا لدُنيانا شُعاعا

أخي على درب الخير :إليك أهدي هذه الصفحات المتواضعة، راجياً من الله أن ينفع بها، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، فقد حاولت أن أكتب لك ولو الشيء اليسير الذي يعبر لك عن علو مكانتك وقدرك في نفسي، فإنه يؤنسني ويثلج صدري بهجةً وسروراً أن أرى لك موقفاً إيمانياً في يوم من الأيام مع إخوانك الشباب الذين سبقوك بالهداية ولزموا الطريق الصحيح ووجدوا السعادة الحقيقية .

أخي الحبيب: متى تتحدى الصعاب وتعلنها رجعة إلى الله؟! وتنقذ نفسك وشبابك وتخدم دينك الذي سوف تسأل عنه في قبرك، فأنت بالدين شيء وبدون الدين لا شيء...، وفي أثناء قراءتك لهذه الرسالة ارجو أن لا تحمل عليّ إن كنت قاسياً معك في بعض الأحيان، ولكن صدقني إنها هيجان المشاعر حين تلتقي بمن تهواه وتحبه.

منـاي مـن الـدنيا علـوم أبثـها وأنـشرها في كـل بـادٍ وحـاضـر
دعـاءٌ إلى القـرآن والـسنن التـي تناسـى رجـال ذكرهـا في المحـاضر

أخـي الحبيب: إنني سطرت إليك هذه الكلمات، لتكون دليل محبة، ولغة تواصل، وباقة ورد أنثرها بين يديك، استخرجتها لك من مكامن جوانحي، وخلطتها لك بصدق النصيحة، وقدمتها إليك في قوالب الأخوة في الله، وكم أنا سعيد إن أنت قبلتها، وبقي أخي أني حاولت جهدي، وما عليّ إلا البلاغ، فإن أنت عملت بذلك فلن تكون بسيئ المكانة، فليس عيباً أخي أن تفتح صفحة جديدة في حياتك لتدون عليها أعمالاً صالحة تكون ضياء ونوراً لك في دنياك، ويوم لقائك لربك، وأنت يومها السعيد، الفائز، المفلح، والله يرعاني ويرعاك، ويحفظني ويحفظك، واستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه .

[٤] الرسالة الرابعة : كيف يسترجع المسلمون عزتهم؟

كان أجدادنا المسلمون إذا وقعت عليهم هزيمة من قبل الأعداء.. كانوا يفتشون في أنفسهم ويبحثون عن سبب هذه الهزيمة التي حلت عليهم، فإذا وجدوا في أنفسهم مخالفة لسنة النبي محمد ﷺ في شأن من شؤونهم سارعوا بتغييرها والتحول عنها إلى متابعة السنة وتربية الأمة..

ومع أنهم كانوا أقل من أعدائهم عدداً وعدة إلا أنهم بعد تنفيذ هذه الخطوة كان الله ينصرهم سبحانه وتعالى.. تحقيقا لما ذكره في كتابه: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وهذه خطوات عملية من أجل استجلاب النصر للأمة المسلمة إن شاء الله:

١ - حاول جاهدا الآن وفورا الإقلاع عن المعاصي التي ترتكبها وتداوم عليها، واسأل الله عز وجل أن يعينك على الإقلاع عنها..﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ﴾ [هود: ١٠٣]... «استمع: آثار المعاصي والذنوب على الأمم والشعوب».

٢- حافظ على الصلاة جماعة في المسجد خمس مرات في اليوم.. وخاصة صلاة الفجر.. ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]... «اقرأ: أنت من يؤخر النصر عن هذه الأمة».

٣- حاول أن تتصدق على الفقراء والمساكين ولو بشيء بسيط جدا من مالك.. فإن: «صدقة السر تطفئ غضب الرب»..

٤- احرصي على الاحتشام والحجاب الكامل من الآن.. ولا تقولي سوف أفعل ذلك غدا.. «استمعي: حجاب المرأة المسلمة».

٥- احرص على تربية أولادك تربية إيمانية حقة ليكونوا مثل أولاد الصحابة ويكونوا جيلا أفضل من جيلنا.. بعض الدروس المهمة في التربية.

٦- أكثر من صلاة النافلة كل يوم..

٧- مر أصحابك وأهلك بالمعروف بطريقة حسنة جميلة وذكرهم أن الأمة في حاجة إليهم وذكرهم بأن تكون أنت ويكونوا هم مثل صحابة النبي ﷺ اتباعا وعملا.. «استمع: الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر».

٨- افعل ما أمرك الله به من إعداد نفسك وولدك نفسيا وبدنيا وعلميا: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].. «استمع: وأعدوا لهم».

٩- احرص على الإخلاص في عملك.. سواء كان دراسة أو صناعة أو زراعة، وتعلم فقه أي شيء تعمله، فليتعلم الزارع فقه الزراعة، وليتعلم التاجر فقه التجارة، وليتعلم الطالب فقه طلب العلم..

١٠- ذكر إمام مسجدك أن يجمع الناس في المسجد كل يوم بعد صلاة المغرب، ويقرأ عليهم درسا من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ، ويمكنه أن يسترشد في ذلك بكتاب "المسجد وبيت المسلم" للشيخ أبي بكر الجزائري....

١١- ساعد في نشر الخير بأي وسيلة مباحة تستطيعها.. «استمع: التعاون على الخير».

١٢- أكثر من الدعاء أن يثبتك الله على هذا الطريق، وتضرع إلى الله عز وجل.. «استمع: سهام الليل».

١٣- ثق في نصرة الله عز وجل لعباده المؤمنين الصادقين.. «استمع: الثقة بالله».

١٤ - لا تيأس ولا تقنط من طول الطريق ومشقته، فإن الفساد قد عم الأمة منذ سنين طويلة، ويحتاج تغييره لوقت.. «استمع: الأندلس..من الفتح إلى السقوط»

وفي النهاية.. إذا وجدت أن المسلمين يجتمعون للصلاة مع كل أذان في المسجد كما يجتمعون لصلاة الجمعة، وأنه قد فشا فيهم العلم وساد الدين.. فاعلم أن النصر قاب قوسين أو أدنى إن شاء الله.... انتهت الرسائل.

وفي نهاية المطاف وفي ختام هذا الكتاب أحببت ذكر أبيات شعرية زهدية وقصائد وعظية، لما للمنظوم فضل على الكلام المنثور؛ لأنه كلام باقٍ سائر، فذلك فضله على الكلام، فحقُّه حقٌّ وباطله باطل، وحسنه حسن و قبيحه قبيح، ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (الشِّعرُ بِمَنزِلةِ الكلامِ، حَسَنُهُ كَحَسَنِ الكلامِ وقَبيحُهُ كَقَبيحِ الكَلامِ)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سُئِلَ رسول الله ﷺ عَنِ الشِّعرِ فَقَال: (هُوَ كلامٌ: فَحَسَنُهُ حَسَنٌ، وقَبيحُهُ قَبيحٌ)[1].

وقَالَ ﷺ: (إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً)[2].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّها سُئِلَت: هَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَمَثَّلُ بِشَيْءٍ مِنَ الشِّعْرِ؟ فَقَالَتْ: كَانَ يَتَمَثَّلُ بِشِعْرِ ابْنِ رَوَاحَةَ، وَيَتَمَثَّلُ وَيَقُولُ: (وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ)[3].

قال الشَّافعي رحمه الله: «الشِّعرُ كلامٌ، حَسنه كحسن الكلام، و قبيحه كقبيحه، غير أنه كلام باقٍ سائر، فذلك فضله على الكلام».فما ورد من مدحٍ للشِّعرِ فيقصد به الحق الحسن، وما ورد في ذمِّ الشعر فيقصد به الباطل القبيح.

جاء قومٌ إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فشكوا إليه إمامهم وأخبروه أنه يردد الشعر، فقام معهم إليه واستخرجه من منزله وسأله عمّا بلغه عنه واستنشده الأبيات التي كان يرددها، فأنشده:

---

(١) انظر: السلسلة الصَّحيحة للعلامة الألباني (١/ ح٤٤٧).

(٢) أخرجه البُخاري (٦١٤٥) وأبو داود (٥٠١٠) وابن ماجه (٣٧٥٥).

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٨٤٨) والشمائل (٢٤١) وأحمد (٦/ ٢٢٢،١٥٦،١٣٨) والبُخاري في الأدب المفرد (٨٦٧،٧٩٢) والنسائي في عمل اليوم (٩٩٧،٩٩٥) وأبو يعلى (٤٩٤٥) من طرقٍ عن عائشة. وقال الترمذي: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» ووافقه العلامة الألباني في السلسلة الصَّحيحة (٥/ ح٢٠٥٧).

وفـــــؤادي كلـــــما عاتبتـــــه   عـــاد في اللـــذات يبغـــي نـــصبي
لا أراه الـــــدهر إلا لاهِيـــــا   في تماديـــــه فقـــــد بـــــرَّح بي
يـا قـرين الـسوء مـا هـذا الـصِّبا   فنـــي العمـــر كـــذا باللعـــبِ
وشـباب بـــان منـــي ومـــضى   قبـــل أن أقـــضي منـــه أربي
مـــا أرجـــى بعـــده إلا الفَنـــا   طبَّـــقَ الـــشيب عـــليّ مطلبـــي
ويـــح نفـــسي لا أُراهـــا أبـــدا   في جميـــــــــــل لا ولا في أدَبِ
نفـس لا كُنـتِ ولا كـان الهـوى   اتَّقـــي الله وخـــافي وارْهَبـــي

فَرَدَّدَ عمر رضي الله عنه:

نفـس لا كُنـتِ ولا كـان الهـوى   اتَّـــقي الله وخـــافي وارْهَبـــي

ثُم قال: (مَن كان منكم مُنشداً فليُنشد هكذا)[1].

وروى ابن الجوزي[2]: بسنده: عن أبي حامد الخلقاني أنه قال: قُلت للإمام أحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة والنار، أي شيء تقولُ فيها ؟.

فقال أحمد بن حنبل: مثل أي شيء ؟.

فقال الخلقاني: يَقولون:

إذا مـــــا قـــــال لي ربي   أمـــــا اســـــتحييت تعـــــصيني
وتُخفـــي الـــذنب عـــن خَلقـــي   وبالعِـــــصيـــــانِ تـــــأتيني

فقال: أعد.

فأعدت عليه، فقام ودخل بيته وردّ الباب،فسمعت نحيبه من داخل البيت وهو يردد البيتين.

(١) كنز العمال ٣/ ٨٩٤٤ وعزاه لابن السمعاني في الدلائل.

(٢) صَفحة (٢٤.) من كتاب تلبيس إبليس.

ومن ذلك أشعار ينشدها المتزهدون بتطريب وتلحين، تزعج القلوب إلى ذكر الآخرة، ويسمونها (الزهديات) كَقولِ بعضهم:

يا غادياً في غفلة ورائحاً ... إلى متى تستحسن القبائحا
وكم إلى كم لا تخاف موقفاً ... يستنطق الله به الجوارحا
يا عجباً منك وأنت مبصر ... كيف تجنبت الطريق الواضحا[1]

وفي هذا رد على من عاب وذم وانتقد وتنقص الشعر على إطلاقه .

واليك نماذج من قصائد مختارة في الوعظ والزهد:

يا نفس قد أزف الرحيل ... وأظلك الخطب الجليل
فتأهبي يا نفس لا ... يلعب بكِ الأمل الطويل
لتنزلن بمنزلٍ ... ينسى الخليل به الخليل
وليركبن عليك فيه ... من الثرى ثقلٌ ثقيل
قُرن الفناء بنا فما ... يبقى العزيز ولا الذليل
والموت آخر علة ... يعتلها البدن العليل
ولرب جيل قد مضى ... يتلوه بعد الجيل جيل

أيا إخوتي آجالنا تتقرّبُ:

أيا إخوتي آجالُنا تتقرَّبُ ... ونحنُ معَ الأهلينَ نَلْهُو ونَلْعَبُ
أُعَدّدُ أيّامي، وأُحْصِي حِسابَها، ... ومَا غَفْلَتِي عَمَّا أعُدُّ وَأحسِبُ
غَداً إنَّا منْ ذَا اليومِ أدْنَى إلى الفَنَا ... وبَعْدَ غَدٍ إليهِ أدنى وأقرَبُ

* * *

---

(١) تحريمُ آلات الطرب للعلامة الألباني (١٣٣-١٣٤).

حتـــى متـــى وإلى متـــى نتـــوانى ونظــــن هـــــذا كلـــــه نـــسيانا
والمـــوت يطلبنـــا حثيثـــاً مـــسرعاً إن لم يزرنـــــا بكـــــرةَ مـــــسانا
إنـــا لنـــوعظ بكـــرة وعـــشيه وكـــأنها يعنـــى بـــذاك ســـوانا
غلب اليقـين عـلى التشكك في الـردى حتـــى كـــأني قـــد أراه عيانـــا
يـــا مـــن يـــصير غـــداً إلى دار الـــبلى ويفـــارق الإخـــوان والخلانـــا

***

إذا ما خلوْتَ، الـدّهرَ، يوْماً، فلا تَقُلْ خَلَــوْتَ ولكِــنْ قُــلْ عَــلَيَّ رَقِيــبُ
ولاَ تحْـسَبَنَّ اللهَ يغفِــلُ مَــا مــضَى وَلا أنَ مَـــا يخفَـــى عَلَيْـــهِ يغيـــب
لَـــهوْنَا، لَعَمــرُ اللهِ، حتـــى تَتابَعَـــتْ ذُنـــوبٌ عـــلى آثـــارهِنّ ذُنُـــوبُ
فَيــا لَيــتَ أنّ اللهَ يَغفِــرُ مــا مــضَى، ويـــأْذَنُ فِي تَوْباتِنَـــا فنتُـــوبُ
إذَا مــا مــضَى القَــرْنُ الــذِي كُنــتَ فــيهمِ وخُلّفْـــتَ فِي قَـــرْنٍ فَأنْـــت غَريـــبُ
وإنَّ امــرءً قَــدْ ســارَ خمــسِينَ حِجَّــةٍ إلى مَنْهِـــلِ مِـــنْ وردِهِ لقَرِيـــبُ
نَــسِيبُكَ مَــنْ ناجــاكَ بِــالوُدِّ قَلبُــهُ ولَــيسَ لَمــنْ تحــتَ الــتّرابِ نَــسيبُ
فأحْــسِنْ جَــزاءَ مــا اجْتَهَــدتَ فــإنّما بقرضِـــكَ تُجْـــزَى والقُـــرُوضُ ضُروبُ

***

أتـــترك مـــن تحـــب وأنـــت جـــار و تطلـــبهم إذا بعـــد المـــزار
وتبكـــي بعـــد نـــأيهم اشـــتياقا وتـــسأل في المنـــازل أيـــن ســـاروا
تركـــت ســـؤالهم وهـــم حـــضور وترجـــو أن تخـــبرك الـــديار
فنفـــسك لم ولا تلـــم المطـــايا ومـــت كمـــدا فلـــيس لـــك اعتـــذار

***

سألت الدار تخبرني عن الأحباب ما فعلوا؟

فقالت أناخ القوم أياما وقد رحلوا

فقلت: فأين أطلبهم وأي منازل نزلوا ؟

فقالت في القبور وقد لقوا والله ما فعلوا

أناس غرهم أمل فبادرهم به الأجل

فنوا وبقي على الأيام ما قالوا وما فعلوا

وأثبت في صحائفهم قبيح الفعل والزلل

فلا يستعتبون ولا ملجا لهم ولا حيل

ندامى في قبورهم وقد لقوا و الله ما فعلوا

(يا ساكن الدنيا تأهب وانتظر يوم الفراق)

(واعد زادا للرحيل فسوف يحدى بالرفاق)

(وابك الذنوب يا دمع تنهل من سحب المآق)

(يا من أضاع زمانه أرضيت ما يفنى بباق)

* * *

يا نفسَ أينَ أبي، وأينَ أبو أبي؛

يا نَفسُ أيـنَ أبي، وأيـنَ أبـو أبي، وأبُوهُ عـدِّي لا أبَا لـكِ واحْسُبِي

عُـدّي، فإنّي قد نَظَرْتُ، فلم أجِدْ بيني وبيْنَ أبيكِ آدَمَ مِنْ أبِ

أفأنتِ تَرْجينَ السّلامَةَ بَعدَهمْ، هَلاّ هُديتِ لسَمتِ وجهِ المَطلَبِ

قَدْ ماتَ ما بينَ الجَنينِ إلى الرَّضيعِ إلى الفطِيمِ إلى الكبيرِ الأشيبِ

فإلى متى هذا أراني لاعباً وأرَى المَنِيَّةَ إنْ أتَتْ لم تلعَبِ

ألاَ للهِ أنتَ مَتَى تَتُوبُ:

ألاَ لله أنْتَ مَتَى تَتُوبُ … وقد صَبَغَتْ ذَوائِبَكَ الخُطُوبُ
كأنَّكَ لَستَ تَعلَمُ أي حَثٍّ … يَحُثُّ بكَ الشّروقُ، كما الغُروبُ
ألَسْتَ تراكَ كُلَّ صَبَاحِ يَوْمٍ … تُقابِلُ وَجْهَ نائِبَةٍ تَنُوبُ
لَعَمْرُكَ ما تَهُبّ الرّيحُ، إلاّ … نَعاكَ مُصرِّحاً ذاكَ الهُبُوبُ
ألاَ لله أنْتَ فتىً وَكَهْلاً … تَلُوحُ عَلَى مفارِقِكَ الذُّنُوبُ
هوَ المَوْت الذي لا بُدّ منْهُ، … فلا يَلعَبْ بكَ الأمَلُ الكَذوبُ
وكيفَ تريدُ أنْ تُدعى حَكيماً، … وأنتَ لِكُلِّ مَا تَهوى رَكُوبُ
وتُصْبِحُ ضاحِكاً ظَهراً لبَطنٍ، … وتذكُرُ مَا اجترمْتَ فَما تَتُوبُ
أراكَ تَغيبُ ثمّ تَؤوبُ يَوماً، … وتوشِكُ أنْ تغِيبَ ولا تؤُوبُ
أتطلِبُ صَاحِباً لاَ عَيْبَ فِيهِ … وأيُّ النَّاسِ ليسَ لَهُ عيوبُ
رأيتُ النّاسَ صاحِبُهمْ قَليلٌ، … وهُمْ، واللهُ مَحمودٌ، ضُرُوبُ
ولَسْتُ مسمياً بَشَراً وهُوباً … ولكِنَّ الإلهَ هُوَ الْوَهُوبُ
تَحاشَى رَبُّنَا عَنْ كلّ نَقْصٍ، … وحَاشَا سائِليهِ بأنْ يَخيبُوا

***

تالله لو عاش الفتى في دهره … ألفاً من الأعوام مالك أمره
متنعماً فيها بكل نفيسة … متلذذاً فيه بنعمى عصره
لا يعتريه السقم فيها مرة … كلا ولا ترد الهموم بفكره
ما كان هذا كله في أن يفي … بمبيت أول ليلة في قبره

وقال الآخر:

انظر لماذا ترى يا أيُّها الرجل — وكن على حذرٍ من قبلِ تنتقلُ
وقدِّم الزادَ من خير تسر به — فكل ساكن دار سوف يرتحل
وانظر إلى معشرٍ باتوا على دَعَةٍ — فأصبحوا في الثَّرى رهناً بما عملوا
بنوا فلم ينفع البنيان وادَّخروا — مالا فلم يُغنهم لَمَّا انقضى الأجل
باتوا على قلل الأجبال تحرسهم — غُلْبُ الرجال فلم تنفعهم القلل

* * *

أين أهل الديار من قوم نوح — ثم عاد من بعدهم وثمود
بينما هم على الأسرة والأنما — ط أفضت إلى التراب الخدود
وأطباء بعدهم لحقوهم — ضلَّ عنهم سعوطهم واللدود
وصحيح أضحى يعود مريضاً — وهو أدنى ممن يعود

* * *

إلى كم ذا التراخي والتمادي — وحادي الموت بالأرواح حادي
فلو كنَّا جماداً لاتعظنا — ولكنا أشد من الجماد
تُنادينا المنيّة كل وقت — وما نُصْغي إلى قول المنادي
وأنفاس النفوس إلى انتقاص — ولكن الذنوب إلى ازدياد
إذا ما الزرع قارنه اصفرار — فليس دواؤه غير الحصاد
كأنك بالمشيب وقد تبدى — وبالأخرى مناديها ينادي
وقالوا: قد مضى فاقروا عليه — سلامكم إلى يوم التناد

ولله در الآخر حين يقول:

بادر شبابك أن يهرما
وصحة جسمك أن يسقما

وأيام عيشك قبل الممات
فما دهر من عاش أن يسلما

ووقت فراغك بادر به
ليالي شغلك في بعض ما

وقدم فكل امرئ قادم
على بعض ما كان قد قدَّما

قال الشّاعر:

كم تصابى وقد علاك المشيب
وتعاطى جهلاً وأنت اللبيب

كيف تلهو وقد أتاك نذير
وشباك الحمام منك قريب

يا مقيماً قد حان منه رحيل
بعد ذاك الرحيل يوم عصيب

إن للموت سكرة فارتقبها
لا يداويك إن أتتك طبيب

ثم تثوى حتى تصير رهينا
ثم تأتيك دعوة فتجيب

بأمور المعاد أنت عليم
فاعملن جاهدا لها يا أريب

وتذكر يوما تحاسب فيه
إن من يذكر الممات ينيب

ليس في ساعة من الدهر إلا
للمنايا عليك فيها رقيب

كل يوم ترميك منها بسهم
سهمها نافذٌ وحتماً يُصيب

«يا نفس توبي فإن الموت قد حانا»:

يا نفس توبي فإن الموت قد حانا واعصي الهوى فالهوى مازال فتانا

أما ترين المنايا كيف تلقطنا لقطا وتلحق أخرانا بأولانا

في كل يوم لنا ميت نشيعه نرى بمصرعه آثار موتانا

يا نفس مالي وللأموال أتركها خلفي وأخرج من دنياي عريانا

أبعد سنين قد قضيتها لعبا قد آن تقتصري قد آن قد آنا

ما بالنا نتعامى عن مصائرنا ننسى بغفلتنا من ليس ينسانا

نزداد حرصا وهذا الدهر يزجرنا كان زاجرنا بالحرص أغرانا

أين الملوك وأبناء الملوك ومن كانت تخر له الأذقان إذعانا

صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا مستبدلين من الأوطان أوطانا

خلوا مدائن كان العز مفرشها واستفرشوا حفرا غبرا وقيعانا

يا راكضا في ميادين الهوى مرحا ورافلا في ثياب الغي نشوانا

مضى الزمان وولى العمر في لعب يكفيك ما قد مضى قد كانا ما كانا

***

شَمِّرْ عَسَى أَنْ يَنْفَعَ التَّشْمِيرُ

وانْظُرْ بِفِكْرِكَ مَا إِلَيْهِ تَصِيرُ

طوَّلْتَ آمالاً تكَنَّفَهَا الهَوَى

ونَسِيتَ أَنَّ العُمْرَ منكَ قَصيرُ

قد أفْصَحَتْ دُنْيَاكَ عن أحوالها

وأَتَى مَشِيبُكَ والمشيبُ نَذيرُ

دَارٌ لَهَــوْتَ بِزَهْوِهَــا مُتَمَتِّعًــا
تَرْجُــو المقَــامَ بِهَــا وَأَنْــتَ تَـسيرُ

واعْلَــمْ بأنـــكَ رَاحِـــلٌ عَنْهَـــا ولَـــوْ
عُمِّــرْت فيهـــا مَـــا أقـــامَ ثَبِـــيرُ

لَـــيْسَ الغِنَـــى في العَـــيْشِ إلا بُلْغَــةٌ
وَيَـــسِير مَـــا يَكْفِيـــكَ منـــه كثـــيرُ

لا يَـــشْغَلَنَّكَ عَاجِـــلٌ عَـــن آجـــلٍ
أبَـــدًا فَمُلْـــتَمِسُ الحَقِـــيرِ حَقِـــيرُ

وَلَقَـــدْ تَـــسَاوَى بَـــيْنَ أَطْبَـــاقِ الثَّـــرى
في الأَرْضِ مَـــأْمُورٌ بِهَـــا وأمِـــيرُ

* * *

مثـــل وقوفـــك أيهـــا المغـــرور
يـــوم القيامـــة والـــسماء تمـــور

إذ كـــورت شـــمس النهـــار وأدنيـــت
حتـــى عـــلى رأس العبـــاد تـــسير

وإذا النجـــوم تـــساقطت وتنـــاثرت
وتبـــدلت بعـــد الـــضياء كـــدور

وإذا البحـــار تفجـــرت مـــن خوفهـــا
ورأيتهـــا مثـــل الجحـــيم تفـــور

وإذا الجبـــال تقلعـــت بأصـــولها
فرأيتهـــا مثـــل الـــسحاب تـــسير

وإذا الـــصحائف عنـــد ذاك تـــساقطت
تبـــدي لنـــا يـــوم القـــصاص أمـــور

وإذا الـــصحائف نـــشرت فتطـــايرت
وتهتكـــت للمـــؤمنين ســـتور

وإذا الـــسماء تكـــشطت عـــن أهلهـــا
ورأيـــت أفـــلاك الـــسماء تـــدور

وإذا الجحـــيم تـــسعرت نيرانهـــا
فلهـــا عـــلى أهـــل الـــذنوب زفـــير

وإذا الجنـــان تزخرفـــت وتطيبـــت
لفتـــى عـــلى طـــول الـــبلاء صـــبور

وإذا الجنين بأمه متعلق ... يخشى القصاص وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف جناية ... كيف المصر على الذنوب دهور
ماذا تقول إذا نقلت إلى البلى ... فرداً وجاءك مُنكرٌ ونكيرُ
ماذا تقول إذا وقفت بموقف ... فرداً ذليلاً والحساب عسير
وتعلقت فيك الخصوم وأنت في ... يوم الحساب مسلسل مجرور
وتفرقت عنك الجنود وأنت في ... ضيق القبور مُوَسَّدٌ مقبور
ووددت أنك ما وليت ولاية ... يوماً ولا قال الأنام أمير
وبقيت بعد العز رهن حفيرة ... في عالم الموتى وأنت حقير
وحشرت عُرياناً حزيناً باكياً ... قلقاً ومالك في الأنام مجير
أرضيت أن تحيا وقلبك دارس ... عافي الخراب وجسمك المعمور
أرضيت أن يحظى سواك بقربه ... أبداً وأنت معذب مهجور
مهد لنفسك حجة تنجو بها ... يوم المَعاد ويوم تبدو العور
يا عين ابكي بالدموع وهاتي ... لابد من بعد الحياة ممات
يا عين جودي بالمدامع واذرفي ... على شباب فات بالغافلات
يا عين قد قرب الرحيل وقد دنا ... يا عين ابكي واسكبي العبرات
يا عين قد فات الشباب وقد مضى ... آه وما قدمت لي حسنات
يا نفس توبي من ذنوبك واتقي ... واتقي رب السماء لتظفري بنجات
يا نفس ويحك راقبيه واقرعي ... باب الإله وغافر الزلات
يا نفس خافي الله واخشيه غدا ... يوم الوقوف هناك في العرصات
يا نفس ويلك من وقوفك في غد ... هذاك يوم العرض والهلكات
يا نفس هذي النار تأكل بعضها ... من غيظها ويل لكل عصاة
فذاك يوم الحشر يوم معصب ... يوم يفر المرء من أخوات

والكـــافرون بقعرهـــا يـــا ويلهـــم ليـــسوا بأحيـــاء ولا أمـــوات
يـــا نفـــس يـــسقون الحمـيم شرابهـم يـــسقون مـــن زقومهـــا كاســـات
لمـــا ســـقوا مـــاء الحمـيم تـساقطت لحـــم الوجـــوه ونـــاعم الوجنـــات
يـــا نفـس ويلـك مـن عـذاب جهـنم خـــافي مـــن الله واتركـــي الـــشهوات
يـــا نفـس كـوني للـصلاة مديمـة قـــومي عليهـــا راقـــب الأوقـــات
أدي حقـــوق الله واقـــضي واجبـــا صـــلي وصـــومي والزمـــي الطاعـــات
وتمـــسكي بحبالـــه و وحـــدي فهـــو الـــذي ينجـــي مـــن الهلكـــات

شعرٌ لأبي العتاهية:

خانـــك الطـــرف اتئـــد أيهـــا القلـــب الجمـــوح
فـــدواعى الخـــير والـــشـ ـــر دنـــو ونـــزوح
كيـــف إصـــلاح قلـــوب إنـــما هـــنّ قـــروح
أحـــسن الله بنـــا أن الخطايـــا لا تفـــوح
فـــإذا المـــشهور منـــا بـــين ثوبيـــه فـــضوح؟!
كـــم رأينـــا مـــن عزيـــز طويـــت عنـــه الكـــشوح
صـــاح منـــه برحيـــل طـــائر الـــدهر الـــصدوح
مـــوت بعـــض النـــاس في الأ رض علـــى بعـــض فتـــوح!
سيـــصير المـــرء يومـــا جـــسدا مـــا فيـــه روح
بـــين عينـــي كـــل حـــي علـــم المـــوت يلـــوح
كلنـــا فى غفلـــة والدهـــ ـــر يغـــدو ويـــروح
لبنـــي الـــدنيا مـــن الدنيـــ ـــا غبـــوق وصـــبوح
رحـــن في الـــوشي وأصـــ ـــبحن علـــيهن المـــسوح

كــــل نطَّـــاحٍ مـــن الــدهر لـــــه يــــومٌ نطـــــوح!

نُــخ عــلى نفـسك يــا مســـــكين إن كنـــت تنــوح

لتنــــوحنَّ ولــــو عمِّــــرت مــا عمــر نــوح

***

تَـــذَكَّرْ وَلاَ تَـــنْسَ المَعَـــادَ وَلا تكُــــنْ
كَأنَّـــكَ مُخَـــلَّى لِلمَلاعِـــبِ مُمْـــرَجُ

وَلاَ تَـــنْسَ إذْ أنْـــتَ المُوَلْـــوَلُ حَوْلَـــهُ
ونَفْـــسُكَ مِـــن بَـــيْنِ الجَـــوَانِحِ تَخْـــرُجُ

وَلاَ تَـــنْسَ إذَا أنْـــتَ المُـــسَجَّى بِثَوْبِـــهِ
وَإذْ أنْـــتَ فِي كَـــرْبِ الــسِّيَاقِ تُحَـــشْرَجُ

وَلاَ تَـــنْسَ إذْ أنْـــتَ المُعَـــزَّى قَرِيبُـــهُ
وَإذْ أنْـــتَ فِي بِـــيضٍ مِـــن الـــرَّيْطِ مُـــدْرَجُ

وَلاَ تَـــنْسَ إذْ يَهْـــدِيكَ قَـــوْمٌ إلَى الثَّـــرَى
إذَا مَـــا هَـــدَوْكَاهُ انْثَنَـــوا لَمْ يُعَرِّجُـــوا

وَلاَ تَـــنْسَ إذْ قَـــبْرٌ وإذْ مِـــن تُرَابِـــه
عَلَيْـــكَ بِـــهِ رَدْمٌ وَلِـــبْنٌ مُـــشَرَّجُ

وَلاَ تَـــنْسَ إذْ تُكْـــسَى غَـــدًا مِنْـــهُ وَحْـــشَةً
مَجَـــالِسُ فِـــيهِنَّ العَنَاكِـــبُ تَنْـــسِجُ

وَلاَ بُـــدَّ مِـــنْ بَيْـــتِ انقطـــاعٍ وَوَحْـــدَةٍ
وَإنْ سَرَّكَ البَيْـــتُ العَتِيـــقُ المُـــدَبَّجُ

أَلاَ رُبَّ ذِي طِمْرٍ غَدًا فِي كَرَامَةٍ
وَمَلِكٍ بِتِيجَانِ الْهَوَانِ مُتَوَّجُ

لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ
وَإِنْ زَخْرَفَ الغَاوُونَ فِيهَا وَزَبْرَجُوا

«متى يستقيم الظل والعود أعوج»

متى يستقيم الظل والعود أعوج
وهل ذهب صرف يساويه بهرج

ومن رام إخراج الزكاة ولم يجد
نصاباً يزكيه فمن أين يُخرج

هي النفس والدنيا وإبليس والهوى
بطاعتهم عن طاعة الله أزعج

أروح وأغدو شارباً كأس غفلة
بماء الأماني الكواذب يمزج

أمسي وأضحي حاملاً في بطاقتي
ذنوباً تكاد الأرض منهن تخرج

إذا قلت للنفس استعدي بتوبة
أبت وشقي الحظ لا يتحجج

وإن قلت للقلب استقم بي تعرضت
له شهوات نارها تتأجج

فكم أتزيا بالعبادة والتقى
رياءً وباب الرشد دوني مرتج

أُريد مقام الصالحين وليس لي
كمنهجهم في الدين دين ومنهج

وإن حضر الإخوان للذكر والبكا
حضرت كأني لاعب متفرج

فواخجلتي شيب وعيب وقد دنا
رحيلي ولا أدري علام أعرج

وللمرء يوم ينقضي فيه عمره
وموت وقبر ضيق فيه يولج

ويلقى نكيراً في السؤال ومنكراً
يسومان بالتنكيل من يتلجلج

ولا بد من طول الحساب وعرضه
وهول مقام حَرُّهُ يتوهج

وديان يوم الدين يُبرزُ عرشه
ويحكم بين الخلق والحق أبلج

فطائفة في جنة الخلد خلدت
وطائفة في النار تصلى فتنضج

فيا شؤم حظي حين ينكـــشف الغطا إذا لم يكـــن لـــي مـــن ذنـــوبي مخـــرج

رحلة و مصير:

يـــا مـــن يتـــابع ســـيد الـــثقلان كـــن للمهـــيمن صـــادق الإيـــمان

واعلـــم بـــأن الله خالقـــك الـــذي ســـــواك لم يحـــتج إلى إنـــــسان

خلـــق البريـــة كلهـــا مـــن أجـــل أن تـــدعوه بـــالإخلاص والإذعـــان

قـــد أرســـل الآيـــات منـــه مخوفـــا لعبـــاده كـــي يخلـــص الـــثقلان

وأبـــان للإنـــسان كـــل طريقـــة كـــي لا يكـــون لـــه اعتـــذار ثـــان

ثـــم اقتـــضى أمـــرا و نهيـــا علهـــا تتميـــز التقـــوى عـــن العـــصيان

وولـــدت مفطـــورا بفطرتـــك التـــي ليـــست ســـوى التـــصديق والإيـــمانِ

وبليـــت بـــالتكليف أنـــت مخـــير وأمامـــك النجـــدان مفتتحـــانِ

فعملـــت مـــا تهـــوى وأنـــت مراقـــب مـــا كنـــت محجوبـــا عـــن الـــديانِ

ثـــم انقـــضى العمـــر الـــذي تهنـــأ بـــه وبـــدأت في ضـــعف وفي نقـــصان

ودنـــا الفـــراق و لات حتـــى تهـــرب أيـــن المفـــر مـــن القـــضاء الـــداني؟

والتـــف صـــحبك يرقبـــون بحـــسرة مـــاذا تكـــون عواقـــب الحـــدثان

واســـتل روحـــك والقلـــوب تقطعـــت حزنـــا وألقـــت دمعهـــا العينـــانِ

فاجتـــاح أهـــل الـــدار حـــزن بـــالغ واجتـــاح مـــن حـــضروا مـــن الجـــيرانِ

فالبنـــت عـــبرى للفـــراق كئيبـــة والـــدمع يمـــلأ ســـاحة الأجفـــانِ

والـــزوج ثكـــلى والـــصغار تجمعـــوا يتطلعـــون تطلـــع الحـــيرانِ

والابـــن يـــدأب في جهـــازك كاتمـــا شـــيئا مـــن الأحـــزان والأشـــجان

وسرى الحـــديث وقـــد تـــساءل بعـــضهم أو مـــا ســـمعتم عـــن وفـــاة فـــلانِ

قـــالوا ســـمعنا والوفـــاة ســـبيلنا غـــير المهـــيمن كـــل شيء فـــان

وأتى الحديث لوارثيك فأسرعوا | من كل صوب للحطام الفاني
وأتى المغسل والمكفن قد أتى | ليجللوك بحلة الأكفان
ويجردوك من الثياب وينزعوا | عنك الحرير وحلة الكتان
وتعود فردا لست حامل حاجة | من هذه الدنيا سوى الأكفان
وأتى الحديث لوارثيك فأسرعوا | فأتوا بنعش واهي العيدان
صلوا عليك وأركبوك بمركب | فوق الظهور يحف بالأحزان
حتى إلى القبر الذي قد جهزوا | وضعوك عند شفيره بحنان
ودنا الأقارب يرفعونك بينهم | للحد كي تمسي مع الديدان
وسكنت لحدا قد يضيق لضيقه | صدر الحليم و صابر الحيوان
وسمعت قرع نعالهم من بعدما | وضعوك في البيت الصغير الثاني
فيه الظلام كذا السكون مخيم | والروح ردت وجاءك الملكان
وهنا الحقيقة والمحقق قد أتى | هذا مقام النصر والخذلان
إن كنت في الدنيا لربك مخلصا | تدعوه بالتوحيد والإيمان
فتظل ترفل في النعيم مرفها | بفسيح قبر طاهر الأركان
ولك الرفيق عن الفراق مسليا | يغني عن الأحباب والأخدان
فتحت عليك من الجنان نوافذ | تأتيك بالأنوار والريحان
وتظل منشرح الفؤاد منعما | حتى يقوم إلى القضاء الثقلان
تأتي الحساب وقد منحت صحيفة | بالنور قد كتبت وبالرضوان
وترى الخلائق خائفين لذنبهم | وتسير أنت بعزة وأمان
ويظلك الله الكريم بظله | والناس في عرق إلى الأذقان
وترى الصراط وليس فيه صعوبة | كالبرق تعبر فيه نحو جنان

فــترى الجنــان بحــسنها وجمالهــا ... وتــرى القــصور رفيعــة البنيــان
طــب في رغيــد العيش دون مــشقة ... تكفـــي مـــشقة ســـالف الأزمـــان
والبس ثياب الخلد واشرب واغتسل ... وابعـــد عـــن الأكـــدار والأحـــزان
خـل وانظـر الأنهـار واشرب ماءهـا ... مـــن فوقهـــا الأثـــمار في الأفنـــان
والــشهد جــار في العيــون مطهــر ... مـــع خمـــرة الفـــردوس والألبـــان
والــزوج حــور في القــصور كواعــب ... بـــيض الوجـــوه خـــوامص الأبـــدان
أبكـــار شـــبه الـــدر في أصـــدافه ... واللؤلـــؤ المكنـــون والمرجـــان
وهنـــا مقـــر لا تحـــول بعـــده ... فيـــه الـــسرور برؤيـــة الـــرحمن
أمـــا إذا مـــا كنـــت فيهـــا مجرمـــا ... متتبعـــا لطرائـــق الـــشيطان
ثكلتــك أمــك كيــف تحتمــل الأذى ... أم كيـــف تـــصبر في لظـــى النـــيران
فــإذا تفــرق عنــك صــحبك وانثنــى ... حمّـــال نعـــشك جـــاءك الملكـــان
جـــاءاك مرهـــوبين مـــن عينـــيهما ... ترمـــى بأشـــواظ مـــن النـــيران
ســـألاك عـــن رب قـــدير خـــالق ... وعـــن الـــذي قـــد جـــاء بـــالقرآن
فتقـــول لا أدري وكنـــت مـــصدقا ... أقـــوال شـــبه مقالـــة الـــثقلان
فيوبخانـــك بـــالكلام بـــشدة ... وســيـــضربانك ضربـــة الـــسجان
فتــصيح صــيحة آســف متوجــع ... ويجـــي الـــشجاع وذاك هـــول ثـــان
ويجـي الرفيــق فيــا قباحــة وجهــه ... فكأنــــه متمـــرد مـــن جـــان
وتقــول يــا ويــلا أمــا لي رجعــة ... حتـــى أحـــل بـــساحة الإيـــمان
يــوم القيامــة لــو علمــت بهولــه ... لفـــررت مـــن أهـــل ومـــن أوطـــان
يــوم تــسير لــه الجبــال وتنطــوي ... فيـــه الـــسماء ويجمـــع القمـــران
وتــرى الجبــال وقــد تــأجج ماؤهــا ... وغـــلا فغطـــى جوهـــا بـــدخان

فتقـوم للحـشر الخلائـق كلهـا ... متـوجهين إلى عظـيم الـشان
وتجـيء مكتئبـا حزينـا خائفـا ... تبكـي بـدمع سـائل هتـان
تلقـى الـصحيفة بالـشمال ولا تـرى ... فيهـا سـوى الأكـدار والأحـزان
وتخـبر الله الجـوارح بالـذي ... فعلتـه مـن جـور ومـن عـصيان
وهنـاك تـسحب للجحـيم مكـبلا ... بـسلاسل ومـسربل القطـران
يـضعونك في نـار كـأن دخانهـا ... قـصر ولكـن لـست منـه بهـان
فيهـا مـن الأهـوال شيء مفـزع ... فيهـا مـن الحمـيم أعـد للظمـآن
فيهـا الأفـاعي والهـوام كأنهـا ... أعجـاز نخـل داخـل النـيران
والـريح منتنـة وجـسمك منهـك ... والحـر منـصب عـلى الأبـدان
والخلـق في ضـيق فـذا متـشفع ... وهنـاك مغـشي وذاك يعـاني
والنـار مطبقـة ولـيس بناصـب ... لهـب لهـا فاصـبر مـدى الأزمـان
خلـد ولـيس ذلـك الخلـد يـا فتـى ... لا راحـة ترجـى ولـست بفـاني
يـا شـارب الخمـر المحـب لـشربها ... يـا مـن عليـه دائـم الإدمـان
بـالأمس تـشرب مـن مدامـة شـارب ... واليـوم فـاشرب مـن حمـيم آن
يـا ظالمـا يـا فاسـقا يـا مجرمـا ... هـذا جـزاء الظلـم والعـدوان
تـشوي الجلـود إلى العظـام وتـبري ... لتعـود تثبـت للحريـق الثـاني
يـا هـاجر القـرآن حـسبك عـبرة ... هـذا الجـزاء لهـاجر القـرآن
يـا تـارك المفـروض في أوقاتـه ... متـذرعا بالـشغل والنـسيان
ادخـل مـع الكفـار نـار جهـنم ... واصـحب إليهـا عابـد الأوثـان
ادخـل مع هـذا مآل الناس فليعمـل لـه ... راجـي الجنـان وراهـب النـيران
يـا غـافلا عـما خلقـت لـه انتبـه ... جـد الرحيـل فلـست باليقظـان

ولسوف تعلم حين ينكشف الغطا — ماذا صنعت وكنت ذا إمكان

كل سيحصد غرسه بيمينه — لا يظلم المولى بني الإنسان

من رام طيب الورد يغرس بذره — لا يجتني ورد من السعدان

يا رب فارحمنا وخفف أوزارنا — وامنن علينا رب بالإحسان

«أنا العبد الذي كسب الذنوبا»:

أنا العبد الذي كسب الذنوبا — وصدته المعاصي أن يتوبا

أنا العبد الذي أضحى حزيناً — على زلاته قلقاً كئيبا

أنا العبد الذي سطرت عليه — صحائف لم يخف فيها الرقيبا

أنا العبد المسيء عصيت سراً — فمالي الآن لا أبدي النحيبا

أنا العبد المفرط ضاع عمري — فلم أرع الشبيبة والمشيبا

أنا العبد الغريق بلج بحرٍ — أصيح لربما ألقى مجيبا

أنا العبد السقيم من الخطايا — وقد أقبلت ألتمس الطبيبا

أنا العبد المخلف عن أناسٍ — حووا من كل معروفٍ نصيبا

أنا العبد الشريد ظلمت نفسي — وقد وافيت بابكم منيبا

أنا العبد الحقير مددت كفي — إليكم فادفعوا عني الخطوبا

أنا الغدار كم عاهدت عهداً — وكنت على الوفاء به كذوبا

أنا المهجور هل لي من شفيعٍ — يكلم في الوصال لي الحبيبا

أنا المضطر أرجو منك عفواً — ومن يرجو رضاك فلن يخيبا

أنا المقطوع فارحمني وصلني — ويسر منك لي فرجاً قريبا

فوا أسفي على عمرٍ تقضى — ولم أكسب به إلا الذنوبا

واحذر أن يعاجلني ممات — يحير هول مصرعه اللبيبا

ويـا حزنـاه مـن حـشري ونـشري ... ليـومٍ يجعـل الولـدان شـيبا
تفطـرت الـسماء بـه ومـارت ... وأصـبحت الجبـال بـه كثيبـا
إذا مـا قمـت حيرانـاً ظميـا ... حـسير الطـرف عريانـاً سـليبا
ويـا خجـلاه مـن قـبح اكتـسابي ... إذا مـا أبـدت الـصحف العيوبـا
وذلـة موقـفٍ وحـساب عـدلٍ ... أكـون بـه عـلى نفـسي حـسيبا
ويـا حـذراه مـن نـار تلظـى ... إذا زفـرت فأقلقـت القلوبـا
تكـاد إذا بـدت تنـشق غيظـاً ... عـلى مـن كـان معتـدياً مريبـا
فيـا مـن مـدّ في كـسب الخطايـا ... خطـاه أمـا بـدا لـك أن تتوبـا
ألا فـاقلع وتـب واجهـد فإنـا ... رأينـا كـل مجتهـدٍ مـصيبا
وأقبِـل صـادقاً في العـزم واقـصد ... جنابـاً نـاضراً عطـراً رحيبـا
وكـن للـصالحين أخـاً وخـلاً ... وكـن في هـذه الـدنيا غريبـا
وكـن عـن كـل فاحـشةٍ جبانـاً ... وكـن في الخـير مقـداماً نجيبـا
ولاحـظ زينـة الـدنيا بـبغضٍ ... تكـن عبـداً إلى المـولى حبيبـا
فمـن يخـبر زخارفهـا يجـدها ... مخادعـةً لطالبهـا خلوبـا
وغـض عـن المحـارم منـك طرفـاً ... طموحـاً يفـتن الرجـل الأريبـا
فخائنـة العيـون كأسـد غـاب ... إذا مـا أهملـت وثبـت وثوبـا
ومـن يغـضض فـضول الطـرف عنهـا ... يجـد في قلبـه روحـاً وطيبـا
ولا تطلـق لـسانك في كـلامٍ ... يجـر عليـك أحقـاداً وحوبـا
ولا يـبرح لـسانك كـل وقـتٍ ... بـذكر الله ريّانـاً رطيبـا
وصـل إذا الـدجى أرخـى سـدولاً ... ولا تكـن للظّـلام بـه هيوبـا
تجـد أجـراً إذا أدخلـت قـبراً ... فقـدت بـه المعـاشر والنـسيبا

وصـم مهـما اسـتطعت تجـده ريـاً | إذا مـا قمـت ظمآنـاً سـغيا
وكـن متـصدقاً سراً وجهـراً | ولا تبخـل وكـن سـمحاً وهوبـا
تجـد مـا قدمتـه يـداك ظـلاً عليـك | إذا اشـتكى النـاس الكروبـا
وكـن حـسن الخلائـق ذا حيـاء | طليـق الوجـه لا شكـساً قطوبـا
فيـا مـولاي جـد بـالعفو وارحـم | عبيـداً لم يـزل يـشكي الـذنوبا
وسـامح هفـوتي وأجـب دعـائي | فإنـك لم تـزل أبـداً مجيبـا
وشـفِّع فيّ خـير الخلـق طـراً | نبيـاً لم يـزل أبـداً حبيبـا
هـو الهـادي المـشفّع في البرايـا | وكـان لهـم رحـيماً مـستجيبا
عليـه مـن المهمـين كـل وقـتٍ | صـلاة تمـلأ الأكـوان طيبـا

***

ذنوبـك يـا مغـرور تحـصى وتحـسب
وتجمـع في لـوح حفـيظ وتكتـب
وقلبـك في سـهو ولهـو وغفلـة
وأنـت عـلى الـدنيا حـريص معـذب
تبـاهي بجمـع المـال مـن غـير حلـه
وتـسعى حثيثـا للمعـاصي وتـذنب
أمـا تـذكر المـوت المفاجيـك في غـد
أمـا أنـت مـن بعـد الـسلامة تعطـب
أمـا تـذكر القـبر الـوحيش ولحـده
بـه الجـسم بعـد العـمارة يخـرب
أمـا تـذكر اليـوم الطويـل وهولـه

وميــــزان قـــسط للوفــــاء سينــــصب

تــــروح وتغـــدو في مراحــــك لاهيــــا

وســــوف بــــأشراك المنيــــة تنــشب

تعـــالج نـــزع الـــروح مـــن كـــل مفـــصل

فـــلا راحـــم ينجـــي ولا ثـــم مهـــرب

وغمـــضت العينــــان بعـــد خروجهــــا

وبـــسطت الـــرجلان والـــرأس يعـــصب

وقـــاموا سراعـــا في جهـــازك أحـــضروا

حنوطـــا وأكفانـــا وللـــماء قربـــوا

وغاســـلك المحـــزون تبكـــي دموعـــه

بـــدمع غزيـــر واكـــف يتـــصبب

وكـــل حبيـــب لبـــه متحـــرق

يحـــرك كفيـــه عليـــك وينـــدب

وقـــد نـــشروا الأكفـــان مـــن بعـــد طيهـــا

وقـــد بخـــروا منـــشورهن وطيبـــوا

وألقـــوك فـــيها بيـــنهن وأدرجـــوا

عليـــك مثـــاني طـــيهن وعـــصبوا

وفي حفـــرة ألقـــوك حـــيران مفـــردا

تـــضمك بيـــداء مـــن الأرض سبـــسب

إذا كـــان هـــذا حالنـــا بعـــد موتنـــا

فكيــــف يطيــــب اليـــوم أكـــل ومـــشرب
وكيـــف يطيـــب العـــيش والقـــبر مـــسكن
بـــه ظلـــمات غيهـــب ثـــم غيهـــب
وهـــول وديـــدان وروع ووحـــشة
وكـــل جديـــد ســـوف يـــبلى ويـــذهب
فيـــا نفـــس خـــافي الله وارجـــي ثوابـــه
فهـــادم لـــذات الفتـــى ســـوف يقـــرب
وقـــولي إلهـــي أولنـــي منـــك رحمـــة
وعفـــوا فـــإن الله للـــذنب يـــذهب
ولا تحـــرقن جـــسمي نـــارك ســـيدي
فجـــسمي ضـــعيف و الرجـــا منـــك أقـــرب
فـــمالي إلا أنـــت خـــالق الـــورى
عليـــك اتكـــالي أنـــت للخلـــق مهـــرب
وصـــل إلهـــي كـــل مـــا ذر شـــارق
عـــلى أحمـــد المختـــار مـــا لاح كوكـــب

«خل ادكار الأربع»:

خـــل ادكـــار الأربـــعِ والمعهـــــد المرتبـــــعِ
والـــضاعـن المـــودعِ وعـــــد عنـــــه ودعِ
وانـــدب زمانـــاً سلـــف ســـوّدت فيـــه الـــصحف
ولم تـــزل معتكـــــفا عـــلى القبـــيح الـــشنع
كـــم ليلـــة أودعتـــها مـــآثماً أبدعتـــها

لشهوة أطعتها في مرقد ومضجعِ

وكم خطى حثثتها في خزيةٍ أحدثتها

وتوبة نكثتها للمعب ومرتعِ

وكم تجرأت على رب السماوات العلى

ولم تراقبهُ ولا صدقت فيما تدعّي

وكم غمصت بِرهُ وكم أمنت مكرهُ

وكم نبذت أمرهُ نبذ الحذا المرقّعِ

وكمْ ركضت في اللعب وفهت عمداً بالكذب

ولم تراعِ ما يجب في عهدهِ المتبعِ

فالبس شعار الندمِ واسكب شآبيب الدمِ

قبل زوال القدمِ وقبل سوء المصرعِ

واخضع خضوع المعترف ولذ ملاذ المقترف

واعصِ هواك وانحرف عنه انحراف المُقلعِ

إلام تسهو وتني ومعظم العمر فني

فيما يضر المقتني ولست بالمرتدعِ

أما ترى الشيب وخط وخط في الرأس خطط

ومن يلح وفد الشمط بفودهِ فقد نُعيّ

ويحك يا نفسُ احرصي على ارتياد المخْلصِ

وطاوعي وأخلصي واستمعي النصح وعي

واعتبري بمن مضى من القرون وانقضى

واخشي مفاجاة القضا وحاذري أن تخدعي

وانتهجـي سُبل الهـدى ... وادّكـري وشـك الـردى
وأن مثـواكِ غـدا ... في قعـر لحـد بلقـعِ
آه هـل لـه بيـت الـبلى ... والمنـزل القـفر الخـلا
ومـورد الـسفر الأُلى ... واللاحـق المتبـعِ
بيـت يُـرى مـن أودعـه ... قـد ضـمّه واستـودعه
بعـد الفـضاء والـسعه ... قِيـدُ ثـلاث أذرعِ
لا فـرق أن يحلـهُ ... داهيـة أو أبلـه
أو معـسرٌ أو مـن لـه ... مُلـكُ كـملك تُبـعِ
وبعـده العـرض الـذي ... يحـوى الحيـي والبـذي
والمبتـذي والمحتـذي ... ومـن رعـى ومـن رُعـي
فيـا مفـاز المتقـي ... وربـح عبـد قـد وُقـي
سـوء الحـساب الموبـق ... وهـول يـوم الفـزع
ويـا خـسار مـن بغـى ... ومـن تعـدى وطغـى
وشـب نـيران الـوغى ... لمطعـم أو مطمـع
يـا مـن عليـه المتكـل ... قـد زاد مـا بي مـن وجـل
لمـا اجترحـت مـن زلـل ... في عمـري المـضيع
فـاغفر لعبـد مجـترم ... وارحـم بكـاه المنـسجم
فأنـت أولى مـن رحـم ... وخـير مدعـو دُعـي

«تفت فؤادك الأيام فتا»:

تفـت فـؤادك الأيـام فتـا ... وتنحـت جـسمك الـساعات نحتـا
وتـدعوك المنـون دعـاء صـدق ... ألا يـا صـاح أنـت أريـد أنتـا

أراك تحب عرساً ذات خدر ... أبتَّ طلاقها الأكياس بتا
تنام الدهر ويحك في غطيط ... بها حتى إذا مت انتبهتا
فكم ذا أنت مخدوع وحتى ... متى لا ترعوي عنها وحتى
أبا بكر دعوتك لو أجبتا ... إلى ما فيه حظك لو عقلتا
إلى علم تكون به إماماً ... مطاعاً إن نهيت وإن أمرتا
ويجلو ما بعينك من غشاها ... ويهديك الطريق إذا ضللتا
وتحمل منه في ناديك تاجاً ... ويكسوك الجمال إذا عريتا
ينالك نفعه ما دمت حياً ... ويبقى ذكره لك إن ذهبتا
هو العضب المهند ليس ينبو ... تصيب به مقاتل من أردتا
وكنز لا تخاف عليه لصاً ... خفيف الحمل يوجد حيث كنتا
يزيد بكثرة الإنفاق منه ... وينقص إن به كفاً شددتا
فلو قد ذقت من حلواه طعماً ... لآثرت التعلم واجتهدتا
ولم يشغلك عنه هوى مطاعٌ ... ولا دنيا بزخرفها فُتنتا
ولا ألهاك عنه أنيق روضٍ ... ولا دنيا بزينتها كلفتا
فقوت الروح أرواح المعاني ... وليس بأن طعمت ولا شربتا
فواظبه وخذ بالجد فيه ... فإن أعطاكه الله انتفعتا
وإن أعطيت فيه طويل باعٍ ... وقال الناس إنك قد علمتا
فلا تأمن سؤال الله عنه ... بتوبيخ: علمتَ فما عملتا
فرأس العلم تقوى الله حقاً ... وليس بأن يقال لقد رأستا
وأفضل ثوبك الإحسان لكن ... نرى ثوب الإساءة قد لبستا
إذا ما لم يفدك العلم خيراً ... فخير منه أن لو قد جهلتا

وإن ألقاك فهمك في مهاوٍ فليتك ثم ليتك ما فهمتا
ستجني من ثمار العجز جهلا وتصغر في العيون إذا كبرتا
وتُفقد إن جهلت وأنت باق وتوجد إن علمت ولو فُقدتا
وتذكر قولتي لك بعد حين إذا حقا بها يوما عملتا
وإن أهملتها ونبذت نصحا وملت إلى حطام قد جمعتا
فسوف تعض من ندم عليها وما تغني الندامة إن ندمتا
إذا أبصرت صحبك في سماء قد ارتفعوا عليك وقد سفلتا
فراجعها ودع عنك الهوينى فما بالبطء تدرك ما طلبتا
ولا تختل بمالك والهُ عنه فليس المال إلا ما علمتا
وليس لجاهل في الناس مغن ولو مُلك العراق له تأتا
سينطق عنك علمك في ملاءٍ ويكتب عنك يوما إن كتمتا
وما يغنيك تشييد المباني إذا بالجهل نفسك قد هدمتا
جعلت المال فوق العلم جهلا لعمرك في القضية ما عدلتا
وبينهما بنص الوحي بون ستعلمه إذا طه قرأتا
لئن رفع الغني لواء مال لأنت لواء علمك قد رفعتا
لئن جلس الغني على الحشايا لأنت على الكواكب قد جلستا
وإن ركب الجياد مسومات لأنت مناهج التقوى ركبتا
ومهما افتض أبكار الغواني فكم بكر من الحِكم افتضضتا
وليس يضرك الإقتار شيئا إذا ما أنت ربك قد عرفتا
فماذا عنده لك من جميل إذا بفناء طاعته أنختا
فقابل بالقبول لنصح قولي فإن أعرضت عنه فقد خسرتا

وإن راعيتـــه قــــولا وفعــــلا وتـــاجرت الإلـــه بـــه ربحتـــا
فليـــست هـــذه الـــدنيا بـــشيء تـــسوؤك حقبـــة وتـــسر وقتـــا
وغايتهـــا إذا فكـــرت فيهـــا كفيئـــك أو كحلمـــك إذ حلُمتـــا
ســـجنتَ بهـــا وأنـــت لهـــا محـــب فكيـــف تحـــب مـــا فيـــه ســـجنتا
وتطعمـــك الطعـــام وعـــن قريـــب ســـتطعم منـــك مـــا فيهـــا طعمتـــا
وتعـــرى إن لبـــست بهـــا ثيابـــا وتكـــسى إن ملابـــسها خلعتـــا
وتـــشهد كـــل يـــوم دفـــن خـــل كأنـــك لا تـــراد لمـــا شـــهدتا
ولم تخلـــق لتعمرهـــا ولكـــن لتعبرهـــا فجـــد لمـــا خلقتـــا
وإن هـــدمت فزدهـــا أنـــت هـــدما وحـــصن أمـــر دينـــك مـــا اســـتطعتا
ولا تحـــزن عـــلى مـــا فـــات منهـــا إذا مـــا أنـــت في أخـــراك فزتـــا
فلـــيس بنـــافع مـــا نلـــت منهـــا مـــن الفـــاني إذا البـــاقي حرمتـــا
ولا تـــضحك مـــع الـــسفهاء يومـــا فإنـــك ســـوف تبكـــي إن ضـــحكتا
ومـــن لـــك بالـــسرور وأنـــت رهـــن ومـــا تـــدري أتُفـــدى أم غللتـــا
وســـل مـــن ربـــك التوفيـــق فيهـــا وأخلـــص في الـــسؤال إذا ســـألتا
ونـــاد إذا ســـجدت لـــه اعترافـــا بـــما نـــادا ذو النـــون ابـــن متـــى
ولازم بابـــه قرعـــا عـــساه ســـيفتح بابـــه لـــك إن قرعتـــا
وأكثـــر ذكـــره في الأرض دأبـــا لتُـــذكر في الـــسماء إذا ذكرتـــا
ولا تقـــل الـــصبا فيـــه امتهـــال وفكـــر كـــم صـــغير قـــد دفنتـــا
وقـــل يـــا ناصـــحي بـــل أنـــت أولى بنـــصحك لـــو لفعلـــك قـــد نظرتـــا
تقطعنـــي عـــلى التفـــريط لومـــا وبـــالتفريط دهـــرك قـــد قطعتـــا
وفي صـــغري تخـــوفني المنايـــا ومـــا تـــدري بحالـــك حيـــث شـــختا

وكنت مع الصبا أهدى سبيلا فما لك بعد شيبك قد نكثتا
وها أنا لم أخض بحر الخطايا كما قد خضته حتى غرقتا
ولم أشرب حُميا أم دفرٍ وأنت شربتها حتى سكرتا
ولم أنشأ بعصر فيه نفع وأنت نشأت فيه وما انتفعتا
ولم أحلل بواد فيه ظلم وأنت حللت فيه وانتهكتا
لقد صاحبتَ أعلاما كبارا ولم أرك اقتديت بمن صحبتا
وناداك الكتاب فلم تجبه ونبهك المشيب فما انتبهتا
ويقبح بالفتى فعل التصابي وأقبح منه شيخ قد تفتا
ونفسك ذم لا تذمم سواها لعيب فهي أجدر من ذممتا
وأنت أحق بالتفنيد مني ولو كنت اللبيب لما نطقتا
ولو بكت الدما عيناك خوفا لذنبك لم أقل لك قد أمنتا
ومن لك بالأمان وأنت عبد أُمرت فما ائتمرت ولا أطعتا
ثقلت من الذنوب ولست تخشى لجهلك أن تخف إذا وزنتا
وتشفق للمصر على المعاصي وترحمه ونفسك ما رحمتا
رجعت القهقرى وخبطت عشوى لعمرك لو وصلت لما رجعتا
ولو وافيت ربك دون ذنب ونوقشت الحساب إذاً هلكتا
ولم يظلمك في عمل ولكن عسير أن تقوم بما حملتا
ولو قد جئت يوم الحشر فردا وأبصرت المنازل فيه شتى
لأعظمت الندامة فيه لهفا على ما في حياتك قد أضعتا
تفر من الهجير وتتقيه فهلا من جهنم قد فررتا
ولست تطيق أهونها عذابا ولو كنت الحديد بها لذبتا

ولا تنكر فإن الأمر جد ... وليس كما حسبت ولا ظننتا

أبا بكر كشفت أقل عيبي ... وأكثره ومعظمه سترتا

فقل ما شئت في من المخازي ... وضاعفها فإنك قد صدقتا

ومهما عبتني فلفرط علمي ... بباطنه كأنك قد مدحتا

فلا ترض المعايب فهو عار ... عظيم يورث المحبوب مقتا

وتهوي بالوجيه من الثريا ... ويبدله مكان الفوق تحتا

كما الطاعات تبلك الدراري ... وتجعلك القريب وإن بعدتا

وتنشر عنك في الدنيا جميلا ... وتلقى البر فيها حيث شئتا

وتمشي في مناكبها عزيزا ... وتجني الحمد فيما قد غرستا

وأنت إن لم تُعرف بعيبٍ ... ولا دنست ثوبك مذ نشأتا

ولا سابقت في ميدان زورٍ ... ولا أوضعتَ فيه ولا خببتا

فإن لم تنأ عنه نشبت فيه ... ومن لك بالخلاص إذا نشبتا

تدنس ما تطهر منك حتى ... كأنك قبل ذلك ما طهرتا

وصرت أسير ذنبك في وثاق ... وكيف لك الفكاك وقد أُسرتا

فخف أبناء جنسك واخش منهم ... كما تخشى الضراغم والسبنتا

وخالطهم وزايلهم حِذارا ... وكن كالسامري إذا لُمستا

وإن جهلوا عليك فقل سلام ... لعلك سوف تسلم إن فعلتا

ومن لك بالسلامة في زمان ... تنال العصم إلا إن عصمتا

ولا تلبث بحي فيه ضيمٌ ... يميت القلب إلا إن كُبلتا

وغرب فالتغرب فيه خير ... وشرق إن بريقك قد شرقتا

فليس الزهد في الدنيا خمولا ... لأنت بها الأمير إذا زهدتا

ولـــو فـــوق الأمـــير تكـــون فيهـــا ... ســـموا وارتفاعـــا كنـــت أنتـــا

فـــإن فارقتهـــا وخرجـــت منهـــا ... إلى دار الـــسلام فقـــد ســـلمتا

وإن أكرمتهـــا ونظـــرت فيهـــا ... لإكـــرام فنفـــسك قـــد أهنتـــا

جمعـــتُ لـــك النـــصائح فامتثلهـــا ... حياتـــك فهـــي أفـــضل مـــا امتثلتـــا

وطولـــتُ العتـــاب وزدت فيـــه ... لأنـــك في البطالـــة قـــد أطلتـــا

ولا يغـــررك تقـــصيري وســـهوي ... وخـــذ بوصـــيتي لـــك إن رشـــدتا

وقـــد أردفتهـــا تـــسعا حـــسانا ... وكانـــت قبـــل ذا مائـــة وســـتا

وصـــلى عـــلى تمـــام الرســـل ربي ... وعترتـــه الكريمـــة مـــا ذكرتـــا

قـــرب الرحيـــل إلى ديـــار الآخـــرة ... فاجعـــل إلهـــي خـــير عمـــري آخـــره

وارحـــم مبيتـــي في القـــبور ووحـــدتي ... وارحـــم عظـــامي حـــين تبـــدوا نـــاخرة

وبهذا انتهى ما رمناه وتم ما أردناه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

اللهـم ثبتنـا بـالقول الثابـت في الحيـاة الـدنيا والآخـرة، اللهـم ثبتنـا عـلى لا إلـه إلا الله واحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

اللهم ارحم في الدنيا غربتنا

وعنـد المـوت صرعتنا

وفي القـبر وحدتنا

ومقـامنا غـداً

بين يديك

قاله بفمه وكتبه بقلمه أخوك ومحبك:

شيخ كبير له ذنوب تعجز عن حملها المطايا

قد بيضت شعره الليالي وسودت قلبه الخطايا

***

يدوم خطي زماناً وأنا تحت التراب ويبقى وجه بارينا

فأعجب لرسم بقي قد مات راسمه وهذه سنة الباري جرت فينا

فرحمة الله تهدى نحو كاتبه يا ناظراً فيه قل آمينا

***

تبلى يدي بعد ما خطت أناملها كأنه لم يكن طوعا لها القلم

يا نفس ويحك نوحي حسرة وأسى على زمانك إذ وجدانك عدم

واستدركي فارط الزلات واغتنمي شرخ الشبيبة فالأوقات تغتنم

وقدمي صالحا تزكو عواقبه يوم الحساب إذا ما أبلت الأمم

***

كتبت وقد أيقنت يوم كتابتي بأن يدي تفنى ويبقى كتابها

فإن عملت خيرا ستجزى بمثله وإن عملت سوءا عليها حسابها

أموت ويبقى كل ما قد كتبته فيا ليتَ من يقرأ كتابي دعا ليا

لعل إلهي يعفو عني بفضله ويغفر لي ذنبي وسوء فعاليا

***

يا رب غفراً إن طغت أقلامنا يا رب معذرة من الطغيان

المتمثل قول القائل:

إلهي لا تعذبني فإني مقر بالذي قد كان مني

وما لي حيلةٌ إلا رجائي لعفوك إن عفوت وحسن ظني

وكـــم مـــن زلـــة لي في الخطايـــا وأنـــتَ عـــليّ ذو فـــضلٍ ومـــنِ
إذا فكـــرتُ في نـــدمي عليهـــا عضـــضتُ أنـــاملي وقرعـــتُ ســـني
أجـــنّ بزهـــرة الـــدنيا جنونـــا وأقـــضي العمـــرَ فيهـــا بـــالتمني
ولـــو أني صـــدقت الزهـــدَ عنهـــا قلبـــتُ لأهلهـــا ظهـــرَ المِجـــنّ
وبـــينَ يـــديّ مُحتـــبسٌ طويـــلٌ كـــأني قـــد دُعيـــتُ لـــه، كـــأني
يظـــنُّ النـــاسُ بي خـــيراً وإني لـــشرُّ الخلـــق، إن لم تعـــفُ عنـــي

***

يـا ذا الجـلال و يـا ذا الجـود والكـرم قـد جئتـك خـائفا مـن زلـة القـدم
ذنبـي عظيـم وأرجـو منـك مغفـرة يـا واسـع العفـو والغفـران والكـرم
دعـوت نفسي إلى الخيـرات فامتنعـت وأعرضـت عـن طريـق الخيـر و النعـم
خسـرت عمري و قد فرطت في زمني في غيـر طاعـة مـولاي فيـا نـدمي
حملت ثقـلا من الأوزار في صغـري يـا خجـلتي في غـد مـن زلـة القـدم
راح الـشبـاب وولى العمـر في لعـب ومـا تحـصلت مـن خير ولـم أقـم
زمـان عزمـي قـد ضيعتـه كـسـلا والعمـر مني انقـضى في غفلـة الحلـم
قـد انقـضـت عيشتي بالـذل وا أسفي إن لـم تجـد خـالقي بالعفـو والكـرم
ذي حـالتي وانكـساري لا تخيبنـي إذا وقعـت ذليـلا حـافي القـدم
أتيـت بالـذل والتقـصير والنـدم أرجـو الرضـا منـك بـالغفران والكـرم
سـار المجدون في الخيرات واجتهدوا يـا فـوزهم غنمـوا الجنـات والـنعم
شفـاء قلبـي ذكـر اللـه خالقنـا يـا فـوز عبـد إلى الخيـرات يـستقم
صفـت لأهـل التقـى أوقـاتهم سـعدوا نـالوا الهنـا والمنـى بـالخير والكـرم
ضيعـت عمـري ولا قدمـت لي عمـلا أنجـو بـه يـوم هـول الخـوف والـزحم

طـوبى لعبـد أطـاع الله خالـقه وقـام جـنح الـدجى بالدمـع منسجم

ظهـري ثقيـل بـذنبي آه وا أسـفي يـوم اللقـاء إذ الأقـدام في زحـم

أرجـوك يـا ذا العـلا ذنبـي تفرجـه واشـف بفـضلك لي بلـواي مـع سـقمي

غفـلت عـن ذكـر معبـودي وطاعتـه وقـد مـشيت إلى العـصيان في همـم

فاغفـر ذنـوبي وكـن يـا رب منقـذنا مـن الـشدائد و الأهـوال و التهـم

كـن منجدي يا إلهي واعف عن زللي وتـب عـلي مـن الآثـام واللـمـم

لاح المـشيب وولى العمـر في لعـب وصـرت مـن كثـرة الأوزار في نـدم

مـضى زمـاني ومـا قـدمت مـن عمـل يـا خجـلتي مـن إلهـي بـاري النسم

نامـت عيـوني وأهـل الخير قـد سهـروا أجفانهـم في ظـلام الليـل لم تـنم

قـاموا إلى مولاهـم فقربهـم وخـصهم بالرضـا والفـضل والكـرم

ولـيس لي غـير رب الخلـق مـن سـند أرجـوه يـوليني بـالغفران والكـرم

لا أرتجـي أحـدا يـوم الـزحام سـوى رب البـرية مـولى الفـضل والكـرم

ثـم الـصلاة عـلى المختـار مـن مـضر محمـد المـصطفى المخـصوص بـالكرم

عفا عني مولاي عز وجل وغفر لي أنا العبد الفقير الأقل.

الراجي من مولاه التجاوز والعفو من كل زلل و خطأ و خطل المنتظر للأجل.

المتمثل قول القائل:

فمالـك يـوم الحـشر شيء سـوى الـذي تزودتـه قبـل المـمات إلى الحـشر

أعينـاي هـلا تبكيـان عـلى عمـري تنـاثر عمـري مـن يـدي ولا أدري

إذا كنـت قـد جـاوزت خمـسين حجـة ولم أتأهـب للمـمات فـما عـذري

أبو عبد الملك: أحمد بن عبد الله السلمي..

غفر الله لي ولوالدي ولمشايخي ولجميع المسلمين..

يوم السبت الموافق لليوم الثالث من شهر الله المحرم الحرام لعام ألف و أربعمائة و واحد وثلاثين من هجرة المصطفى ﷺ.

رجاء:

ما دعوة أنفع يا صاحبي	من دعوة الغائب للغائب
ناشدتك الرحمن يا قارئاً	أن تسأل الغفران للكاتب

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «تأمّلت أنفع الدعاء فإذا هو: سؤال الله العون على مرضاته» كيف لا يكون ذلك ونحن نطلب ذلك من الله في كل ركعة من صلواتنا فنقول: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

قال بعض السلف: «متى أطلق الله لسانك بالدعاء والطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك؛ وذلك لصدق الوعد بإجابة من دعاه، ألم يقل الله تعالى: ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]».

وأكثر من الدعاء بظهر الغيب لأخيك المسلم فلك من الدعاء نصيب ويؤمن على دعائك ملك وأيضا مستجاب وغير أنك تساعد أخيك المسلم..

عَن أَبِي الدَّردَاءِ رضي الله عنه أَنَّهُ سمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُول: **(ما مِن عبْدٍ مُسْلِمٍ يَدعُو لأَخِيهِ بِظَهرِ الغَيْبِ إلاَّ قَالَ الملَكُ ولَكَ بمِثْلٍ)**[١]، وعَنْهُ أَنَّ رسُول الله ﷺ كانَ يقُولُ: **(دَعْوةُ المرءِ المُسْلِمِ لأَخيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابةٌ عِنْد رأْسِهِ ملَكٌ مُوكَّلٌ كلَّما دعا لأَخِيهِ بخيرٍ قَال المَلَكُ المُوكَّلُ بِهِ: آمِينَ، ولَكَ بمِثْلٍ)**[٢].

فلنتواصل بالقلوب وإن أبعدتنا الدروب ولنحيا بالدعاء وإن صعب اللقاء لنستغل المحبة بالنصح والمودة وليكن شعارنا لن نقف إلا في الجنة بمشيئة الله.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة